

العلاقات السودانية التشادية
وأثرها في نشر الثقافة العربية الاسلامية



د. كمال محمد عبيد

محرم 1422 هـ أبريل 2001 م



جامعة افريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الافريقية
اصـــــدارة (43)

العلاقات السودانية التشادية

وأثرها في نشر الثقافة العربية الاسلامية



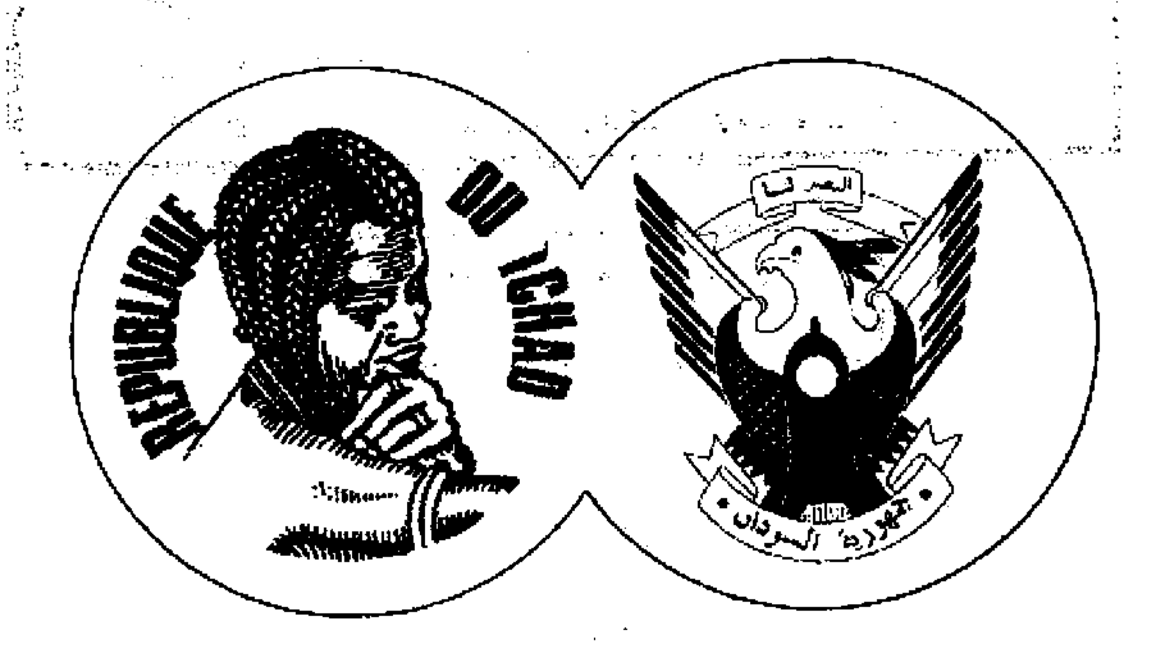
د. كمال محمد عبيد

محرم 1422 هـ ابريل 2001 م

جامعة افريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الأفريقية
إصـــــدارة (43)

العلاقات السودانية التشادية

وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية



د. كمال محمد عبيد

محرم 1422هـ - أبريل 2001م

© كمال محمد عبيد

العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية . — الخرطوم: مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، ٢٠٠١م . — ٢٩١ص.:

٢٤ × ١٧,٥ سم .—.

بيب : ص ص – ٢٢٣ – ٢٣٣.

١/ العلاقات الدولية ٢/ السودان – علاقات – تشاد ٣/ الثقافة العربية الإسلامية

٤/ الدعوة الإسلامية

أ/ العنوان ب/ السلسلة

ديوي . ط١٨: ٣٢٧,٦٢٤٠٦٧٤٣

تمت الفهرسة أثناء النشر بمعرفة إدارة المكتبات بجامعة إفريقيا العالمية .

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٠٩

الطبعة الأولى
محرم ١٤٢٢هـ — أبريل ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

لوالدتي عليها من الله الرضوان . .

لوالدي متّعه الله بالصحة والعافية . . .

لأسرتي حفظها الله ورعاها . . . .

خاتمة :

رسخ عند السودانيين حب الأشراف ، ورسخ في بعض طوائف السودان النظر لأنفسهم عرباً لا غير ، حتى تنكروا لحضاراتهم القديمة في كرمة ونبته ومروي وسوبا – علماً بأنه في السودان يحسن الكلام عن التفاعل العرقي لا النقاء وحده – وقديماً وحديثاً أدى إيعاد النجعة في حب الأشراف – أي سلالة الدوحة النبوية المباركة – أن استغل عدد من الرحالة والمستكشفين هذا الحب ، وضحكوا على السودانيين حينما تمثلوا دور الشريف ، الغريب ، مثل اليهودي رابين الذي لعله جاء لكتابة تقرير للبابا حول خسوف المسيحية في سوبا وقيام مملكة سنار الإسلامية ولتحقيق ذلك أدعى الشرف مكاناً عليّاً وأصبح من المقربين لمؤسس المملكة عمارة دنقس ممّا مكّنه من أداء دوره المطلوب ، وما تزال دراسة رابين أهمّ دراسة عرفت عن سنار في أيامها الأولى لأنّ دور الشريف مكنّه من الإطّلاع على أسرار وخفايا المملكة . وقام الرحالة الأوربي بوركهارت بأداء ذات الدور دور الشريف ممّا مكّنه من اختراق أفئدة وقلوب السودانيين في عصر سنار الوسيط ثم جاء على خطاه وفي أيام حكم الصفوة العلمانية التركية المتمصرة ادوارد سنينتزر والذي سُمي بأمين باشا علماً بأنه جرماني الأصل يهودي العقيدة أصبح شريفاً يعطى الطريقة القادرية وتابع ترقياته في حكم السودان حتى أصبح حاكماً في خط الاستواء في ١٨٨٤م ولكن انكشف أمره بعد الثورة المهدية ، إذ دخلّ في طاعة ألمانيا وحاول تجيير الاستوائية لصالحها ولقي مصرعه في مجاهيل الكنغو .

ولعل مقلوب هؤلاء بعض الدجالين الذين يأتون من غرب إفريقيا بعقيدة أنهم تشرّبوا الذين حتى كادوا يأتون بالمعجزات من شفاء للمرض وإبعاد للحسد وتحصين الجسم من السكين وما عليها وطلاسم أخرى كثيرة . وفي الحالتين كان الضحية التشكيل العقلي والفكري لإنسان وادي النيل الوسيط .

ولكن ليس هذا هو كل قصة إنسان هذا (الوادي) الذي وجد نفسه في مساحة شاسعة من اليابسة ، هي الأولى من حجمها في إفريقيا ، هجمت عليها القبائل والعشائر والأفراد من الشمال والشرق والجنوب والغرب مما أدّى إلى تكوين هذا الهجين المتجانس أحياناً والمتنافر في أحيان أخرى . وما يزال إنسان السودان يحمل تنّوع بلده وما فيها من اختلاط قبائل وعشائر وألسن وكذلك لا يكاد إنسان السودان يحيط بتاريخ وجغرافية بلده ويتوسل في معرفة ذلك بما خطه الغرباء من مستكشفين واستعماريين .

وبين يدي القارئ ، هذه الدراسة التي كتبت أصلاً رسالة لنيل درجة الدكتوراه ، وموضوعها العلاقات السودانية التشادية ، ولعل جهلنا بالسودان الغربي الذي أساسه تشاد، قد يجعلنا نتحقق من أهمية هذا البحث ، ولكن حين نعلم أن ما يقارب ربع السودانيين أو أكثر تعود أصولهم إلى السودان الغربي في وقت أصبحت مجموعة السودان الغربي هي المجموعة العرقية الأولى في عددها في الخرطوم وفي وقت انتبه بعضنا إلى أنّ أنجمينا أو تشاد أشد عروبة من السودان وفي وقت ازداد فيه الكلام أنّ هناك تطفيف في رؤية حركة انبساط الإسلام في السودان وأنّ هناك مؤثر هام في بسط الإسلام في السودان وهو دور حركة الإسلام الوافد من السودان الغربي ، في ظل هذه الفرضيات تظل هذه الدراسة العلمية التي كتبها د. كمال محمد عبيد وهو من المهتمين بأمور الدعوة الإسلامية عامة وبمسارها في إفريقيا خاصة ، يسعدنا أنّ نقدّم هذه الدراسة عن العلاقات السودانية التشادية عساها أنّ تشجع الباحثين على ارتياد هذه المنطقة البحثية الخصبة ، مستصحبين أنّ أقدار السودان وتشاد واحدة ، ومن قبل جاءت أسرة الخليفة عبدالله " تورشين" من السودان الغربي وأصبح حاكماً على السودان وخليفة للمهدي ، بل لعله يظل أهمّ حاكم مرّ على السودان في العصور المتأخرة .

وهاهي تشاد ، تستيقظ من غفلتها ، ويتدفق فيها البترول كما تدفق في السودان وتتداخل قبائلها وتتشكل مجموعاتها الحاكمة هنا وهناك من القبائل المشتركة (السودانية / تشادية) عريقة مثل قبيلة الزغاوة وغيرها وبين يدّي هذه التحولات وبين يدّي تكامل مرتقب بين السودان وتشاد تبرز أهمية نشر هذه الدراسة التي نأمل أنّ تقع موقعاً حسناً بين يدي القارئ .



أ.د. حسن مكي

شكـــر :

يستحق شكري خلق كثير ، وبما أن ذلك متعذر – في مثل هذا المقام – فأذكر نفـــرا آمل أن يجد كل واحد نفسه فيهم .

شكري لعصبة الخير التي حضتني على تقوية العزم للمضي في هذا الأمـــر وعلـــى رأسهم الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام والأستاذ الدكتور عبدالرحيـــم علـــي والأســـتاذ الدكتور حسن مكي والدكتور عبدالرحمن أحمد عثمان والدكتور سيف الإسلام سعد عمـــر والدكتور محجوب أحمد طه الكردي والأستاذ إبراهيم محمد السنوسي والأســـتاذ محمـــد الحسن الرضي .

والشكر لأساتذتي بجامعة القرآن الكريم وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور أحمـــد خـــالد بابكر والأستاذ الدكتور سليمان عثمان والدكتور عبدالحليم محمد حامد والدكتور عبـــدالله عبدالحي .

والشكر لزملائي بجامعة إفريقيا العالمية وأخص منهم الأستاذ الدكتور عمر الســـماني وأسرة الشئون العلمية بالجامعة والبروفيسور محجوب الحسين والمرحوم الأستاذ عبـــدالله الصافي . كما أشكر إخوتي بمركز الدعوة وتنمية المجتمع وعلي رأسهم الشيخ الجليـــل محمد الأمين صبير الذي كان لتشجيعه المستمر أثر كبير ، والأخ عبدالحميـــد البشـــرى الذي عاونني في كل مراحل البحث بلا كلل ولا ملل .

والشكر للأخوة في جامعة الملك فيصل بأنجمينا وعلـــى رأســـهم الأســـتاذ الدكتـــور عبدالرحمن عمر الماحي رئيس الجامعة والدكتور محمد صالح أيوب عميد كليـــة اللغـــة العربية والدكتور عبدالله حمدنا الله رئيس قسم الدراسات العليا، وشكر خـــاص ودعـــاء بالرحمة للأخ المرحوم المهندس يوسف بريمة الذي أمدني بمادة وفيرة وملاحظات قيمة ، كما أشكر أسرة السفارة التشادية بالخرطوم والإدارة الإفريقية بوزارة الخارجية وأســـرة السفارة السودانية بأنجمينا ومجلس الصداقة الشعبية العالمية وجمعية الصداقة الســـودانية التشادية ومكتبة جامعة إفريقيا العالمية وأسرة معهد المرحـــوم مبـــارك قســـم الله ، وطلابي من جمهورية تشاد.

والشكر للأستاذ حسن الناطق الذي قام بالمراجعة النهائية .

أما الأخوان الكريمان بشير محمد عيسى وطارق فاروق فإن شـــكري فـــي حقـــهما سيكون ناقصا وذلك لتفضلهما بطباعة البحث وتنسيقه ومراجعته في مراحله المختلفة .

ولمـــن ضاقت به هذه الأسطر ، وما ضاقت به الذاكرة ولا حافظة الوفاء ، العتبـــى حتى يرضى .

والله يتولى الجميع بعونه وشكره ..

د. كمال محمد عبيد

الخرطوم – مايو ٢٠٠٠م

المقدمة :

مدخل:

عندما تم انتدابي للعمل بالمركز الإسلامي الإفريقي عام ١٩٨٢م كلفت في أيامي الأولى بمراقبة جلسة امتحان لبعض طلاب المركز ، ولعلمي أن المركز إنما يقبل طلابه من الدول الإفريقية فقد لفت انتباهي طالب تشبه ملامحه ملامح الطلاب السودانيين وكلما حاولت تخيل جنسية له غير الجنسية السودانية لم أجد دليلا يصرفني عن وصفه بأنه سوداني ، وعندما فرغ من الإجابة عن الأسئلة وقام بتسليم كراسته بادرته بسؤال: من أي منطقة من السودان أنت؟ فأجابني : لست سودانيا. قلت : من أي البلاد أنت؟ قال: من تشاد . فعجبت لهذا التشابه الشديد ، ودار بخلدي سؤال ، كم من التشاديين قابلت ولم يتيسر لي أن أسأله نفس السؤال؟ وبالتالي كم من الناس لم أتمكن من تمييز السوداني من التشادي بينهم ؟ . ثم دارت الأيام دورتها وتعرفت على عدد كبير من الطلاب التشاديين الدارسين بالمركز الإسلامي وكانت دهشتي كبيرة عندما لاحظت أن التشابه ليس فقط في الشكل والسحنة ولكنه كذلك في الأخلاق والمزاج ، واستهواني الأمر لمزيد من البحث ، حتى تلقيت – قدرا – طلبا كريما من الأخ د.مصطفي عثمان إسماعيل الأمين السابق لمجلس الصداقة الشعبية العالمية أن أتولى رئاسة جمعية الصداقة السودانية التشادية[١] وساعدني ذلك في التعرف على المجتمع التشادي معرفة لصيقة كما ساعدني أن أكون طرفا في الكثير من الأحداث ذات الصلة بالعلاقة بين البلدين ، وتيسر لي بذلك أن ألتقي بعدد كبير من الشخصيات وأن أتصل بعدد كبير من المؤسسات في البلدين .

هدف البحث:

يهدف هذا البحث لدراسة العلاقة بين الشعبين السوداني والتشادي وأثر هذه العلاقة في المساهمة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الحزام الممتد من نهايات الهضبة الحبشية وحتى بدايات الساحل الشرقي للمحيط الأطلسي ، وهو الحزام الذي اصطلح على تسميته بالحزام السوداني . كما يهدف البحث لدراسة التداخل الاجتماعي والسياسي والثقافي وأثره في انتشار حركة الدعوة الإسلامية .

وبما أن المنطقة تعرضت في حقبة من حقب تاريخها للغزو الاستعماري فيهدف هذا البحث لتتبع بدايات النشاط الاستعماري ومراحله التحضيرية الأولى من رحلات

---

[١] تأسست الجمعية في أبريل ١٩٩٢م.

للمستكشفين ونشاط للمبشرين والإداريين حتى مراحل إحكام القبضة الاستعمارية على البلدين والآثار السالبة التي ترتبت من ذلك الوجود الاستعماري على علاقة الشعبين وأثره في نشر الدعوة .

كما يهدف البحث لدراسة مظاهر الرفض والثورة الشعبية للاستعمار وكيف عمقت هذه المرحلة من وحدة الشعبين بل أدت إلى انصهارهما ومكنتهما من القيام ببعض الأعمال المشتركة التي ظهرت آثارها في نشاط الثورة المهدية وفتوحات رابح فضل الله وكفاح الفصائل التشادية .

كما يهدف البحث لدراسة الآثار الموجبة والسالبة وانعكاساتها على الأوضاع المعاصرة للبلدين .

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في أنه حاول دراسة العلاقة بين الشعبين خلال فترة زمنية تمتد من العام ١٠٨٥م وحتى العام ١٩٩٩م أي ما يقارب العشرة قرون من الزمان (حوالي٩١٤ عاما) ، وهي فترة طويلة ، تفيد دراستها في إمكانية تصور مستقبل العلاقة بناء على معطيات ونتائج العلاقة خلال هذه الفترة الطويلة .

كما تأتي أهمية البحث في أنه حاول دراسة أثر هذه العلاقة على نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة وبذلك تستطيع الدراسة أن تعطي مؤشرات لما يلزم عمله من برامج حتى تستمر مسيرة الدعوة الإسلامية في المنطقة بوصفها عاملا من عوامل التلاقي والتعاون بين الشعبين.

كما تأتي أهمية البحث في أنه يسعى للفت الأنظار إلى أهمية هذه المنطقة بوصفها مجالا حيويا ومهما للدعوة ، وبالتالي فإن للمنطقة ميزات نسبية تميزها عن بعض المناطق التي حاولت بعض النخب في كلا البلدين صرف الاهتمام إليها عوضا عن الاهتمام ببرامج التعاون المشترك بين الشعبين السوداني والتشادي.

مشكلة البحث :

يعنى البحث بالإجابة عن عدد من الأسئلة المهمة ويمكن تلخيص هذه الأسئلة فيما يلي:

١- ما هي العوامل التي ساعدت على الاستقرار في العلاقات بين البلدين خلال الفترة موضع الدراسة ؟

٢- وما هي العوامل التي أدت إلى تدهور وتوتر العلاقات في بعض الأحيان خلال الفترة موضع البحث ؟

ويمكن تفتيت السؤالين السابقين إلى عدد من الأسئلة :

١- كيف نشأت وتطورت العلاقة بين البلدين عبر التاريخ ؟

٢- ما هو دور الثقافة العربية الإسلامية في توطيد تلك العلاقة ؟

٣- ما هو الأثر المتبادل للشعبين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة ؟

٤- ما هي مظاهر النصرة والتأييد التي قدمها الشعبان لبعضهما البعض خدمة لمشروع نشر الإسلام والثقافة العربية ؟

٥- كيف كانت علاقة البلدين في مرحلة ما قبل الاستعمار ؟

٦- ما هو أثر الاستعمار في تعويق مسيرة العلاقة بين البلدين ؟

٧- ما هو أثر الاستعمار وخططه في صرف الشعبين عن القيام بدورهما في نشر الثقافة العربية الإسلامية ؟

٨- كيف استطاع الشعبان التمرد على مخططات الاستعمار وهل نجحا في إفشال مخططاته ، وما هو مدى ذلك النجاح ؟

٩- ما هي الخصائص القومية المشتركة بين الشعبين ؟

١٠- ما هو حجم الوجود والاختلاط بين الشعبين ؟

١١- ما هو مستقبل العلاقة بين الشعبين ؟

فروض البحث :

حتى يتسنى للباحث دراسة العلاقات السودانية التشادية فقد إفترض فروضا احتمالية مؤقتة للإجابة عن الأسئلة المتقدمة :

١-هناك علاقات تاريخية ضاربة في القدم بين الشعبين تشكل الأساس الذي يمكن أن تفسر عليه العلاقات الحالية والمستقبلية .

٢-هناك علاقة طردية بين التقارب الثقافي (الديني واللغوي) واستقرار العلاقات بين البلدين .

٣-تمثل قضية نشر الثقافة العربية الإسلامية هما مشتركا للشعبين وقد اضطلع الشعبان بعمل مقدر في هذا المجال .

٤-يشكل النفوذ الأجنبي في المنطقة عاملا سالبا وخطرا على تسارع وتيرة العلاقة بين البلدين .

٥-تؤدي المؤسسات الشعبية دورا مهما في التعبير عن قوة العلاقة بين الشعبين .

٦-هناك مؤشرات تدل على اتجاه العلاقة بين البلدين نحو مزيد من التماسك والاستقرار .

ويسعى البحث لجمع الأدلة والأسانيد والشواهد لتأكيد صحة أو عدم صحة هذه الفروض .

الإطار النظري :

رغم أن الدراسة أعدت كدراسة في إطار الدعوة كعلم وفن إلا أنها تقع في إطار العلوم السياسية وتأخذ بطرف من تداخل علم الاجتماع السياسي وعلم الأجناس وذلك بقصد تحليل أصول العلاقات الثقافية والسياسية والاجتماعية وما يستتبعها من علاقات.

الدراسات السابقة :

لم يحظ موضوع العلاقات السودانية التشادية بدراسة وافية والبحوث التي كتبت في هذا المجال هي :

أولا: العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد وجمهورية السودان (١٩٦٠ – ١٩٩٠) م إعداد الباحث محمد شريف جاكو وهو بحث مقدم لمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة وقد صدر البحث في شكل كتاب تولت نشره مكتبة مدبولي بالقاهرة عام ١٩٩٧م ، والبحث عبارة عن خمسة فصول، تحدث الفصل الأول عن الأوضاع الجغرافية والاجتماعية لكل من السودان وتشاد ، والفصل الثاني والثالث تناولا تطور العلاقات السياسية والاجتماعية التشادية السودانية ، والفصل الرابع والخامس تناولا أثر المتغيرات السياسية في السودان في تطور العلاقات السياسية والاجتماعية التشادية السودانية .

ورغم الجهد الطيب الذي بذله الباحث والذي حاول فيه استقصاء الموضوع من كل جوانبه إلا أن ملاحظتنا حول الدراسة تتلخص فيما يلي :

١- اعتمد الباحث على عدد قليل من المراجع و معظمها بعيد الصلة عن لب الموضوع.
٢- هناك تشابه شديد في عناوين الفصل الثالث والرابع والخامس حيث تتحدث جميعها عن التطورات السياسية والاجتماعية ومع ذلك أدخل في هذه الفصول موضوعات لا علاقة لها بالعنوان كحديثه عن الإطار القانوني للعلاقات الدولية الإفريقية في الفصل الثالث بعد حديثه عن التطورات السياسية والاجتماعية في كل من تشاد والسودان في الفترة من ١٩٤٥م وحتى ١٩٦٥م . كما أدخل في الفصل الرابع رسم الحدود والخصائص المشتركة في مبحث واحد عند حديثه عن تطور العلاقات السياسية والاجتماعية التشادية السودانية ، وهذه أخطاء منهجية في التناول .

ثانيا : المشكلة التشادية : إعداد الباحث عمر محمد أحمد صديق وهو بحث قدم لمعهد الدراسات الإفريقية والأسيوية بجامعة الخرطوم عام ١٩٨٢م .(بحث غير منشور) ،

والبحث عبارة عن مقدمة وخمسة أبواب ، الباب الأول عن الخلفية التاريخية والاجتماعية تحدث فيه عن السكان ودخول العرب تشاد والممالك التي قامت في تشاد حتـــى نشـــأة الأحزاب السياسية ، الباب الثاني وتناول فترة حكم الرئيس تمبلباي وجذور المشكلة ، أما الباب الثالث فتحدث فيه عن الثورة في شرق تشاد وتأسيس " فرولينات " وخصص الباب الرابع للتمرد والثورة في شمال تشاد أما الباب الخامس فقد خصص لحكومـــة الرئيـس مالوم وتطور الثورة .

ورغم أن البحث خصص أساسا لدراسة المشكلة التشادية والحروب الأهلية الداخليـة إلا أنه وردت فيه إشارات لعلاقات السودان بالأوضاع التشادية وبما أنها كانت دراســة عارضة فلـم تحـظ برعـاية الباحث – وهذا له ما يبرره – والبحث في مجمله توثيـق جيد لفترة مهمة من فترات التاريخ التشادي .

ويأتي بحثنـا هـذا لاسـتدراك بعـض الأخطـاء المنهجيـة فـي البحـث الأول ولاستكمال دراسة العلاقات السـودانية التشـادية التـي وردت عرضـا فـي البحـث الثاني مع اهتمام هذا البحـث بصفـة خاصـة بتحليـل بعـض الأحـداث التاريخيـة وتأثيرها على طبيعة العلاقات بين الشعبين والبلدين وتـأثير هـذه العلاقـة فـي نشـر الثقافة العربية الإسلامية وهي جوهر هذه الدراسة وروحـها الأساسـية . كمـا ركـز هذا البحث على دراسة أثر المؤسسات الشعبية في تطـور العلاقـات وتأثيرهـا علـى مستقبلها . وهي جملة إضافات لم ترد في أي مـن البحثيـن السـابقين ، هـذا فضـلا عن أنه غطى فترة أطول تمتـد مـن ١٠٨٥م وحتـى ١٩٩٩م .

منهج البحث :

بما أن البحث يقع في مجـال الدعـوة ويـأخذ بطـرف مـن العلـوم السياسـية والاجتماعية وبما أن إطاره الجغرافي هو إفريقيـا فـإن البـاحث مضطـر لاسـتخدام منهج متعدد المداخل ، فالمنهج التاريخي مـهم لمعالجـة الجـزء الواقـع فـي إطـار الدراسة التاريخية للعلاقات بين البلدين وما يسـتلزم الأمـر مـن نقـد للتحقـق مـن صحة بعض المعلومات والوثائق ، والمنهج الوصفـي ضـروري حيثمـا كـان فـي الأمر سرد للوقائع كمـا هـي أو استشـهاد ببعـض الخصـائص المميـزة لشـعوب المنطقة والمنهج التحليلي لازم لتصحيـح بعـض المفـاهيم الخاطئـة حـول بعـض الظواهر والأحداث المتعلقة بالمنطقـة وشـعوبها .

أدوات البحث :

لصلة الباحث بموضوع البحث فإنه بالإضافة للرجوع لعدد وافر من المصادر والمراجع والبحوث ذات الصلة بالموضوع فإنه قد أخذ بالأدوات الآتية :

١- الملاحظة :

الباحث بحكم علاقته المباشرة بالموضوع وصلاته مع الجهات الرسمية وزياراته المتكررة لتشاد من خلال موقعه بوصفه رئيساً لجمعية الصداقة السودانية التشادية تيّسر له أن يلاحظ عن كثب بعض الظواهر وأن يكون طرفاً في بعض الأحداث ولذلك كان التعويل على هذه الأداة كبيراً في قراءة التاريخ والتعريف بالحاضر واستكناه المستقبل .

٢- المقابلات :

أجرى الباحث عدداً من المقابلات مع قادة العمل السياسي وصناع القرار في البلدين وبعض الأكاديميين واطلع على مقابلات تفضلّ بإجرائها بعض الباحثين المهتمين بالأمر[١]، وبلغت تلك المقابلات العشرات وكانت بذلك مصدراً مهماً لإلمام الباحث بالموضوع والإحاطة به من مختلف جوانبه .

٣- الزيارات الميدانية :

قام الباحث بعدد من الزيارات للتحقق من صحة بعض البيانات وللاطلاع على بعض الوثائق[٢] ولإجراء بعض المقابلات الوارد ذكرها آنفاً وللتدقيق في الملاحظات العابرة لمزيد من الاطمئنان .

هيكل البحث :

يتكون هيكل البحث من مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة على النحو التالي :

١- مقدمة : وتشتمل على :

أ- هدف البحث .

ب- أهمية البحث .

ج- مشكلة البحث .

د- فروض البحث .

هـ- الإطار النظري للبحث .

---

[١] يرجع الفضل في إجراء معظم هذه المقابلات للأخ المرحوم المهندس يوسف بربة (رحمه الله) والذي عُني بهذا الأمر عناية فائقة .

[٢] تمكن الباحث من الاطلاع على مخطوطة كتاب "رحلة إلى وداي" لمؤلفه محمد بن عمر التونسي والذي كان ظن بعض الباحثين أن هذه المخطوطة غير موجودة وتسنى للباحث أن يحصل على نسخة مصورة من المخطوطة هي الآن بحوزة الباحث .

و- الدراسات السابقة .

ز- منهج البحث .

ح- أدوات البحث .

ط- هيكل البحث .

٢- **الباب الأول** : الإطار التاريخي والاجتماعي للدراسة ويشمل :

الفصل الأول : حقبة الممالك الإسلامية ١٠٨٥م - ١٩٢٠م ، وبه خمسة مباحث .

الفصل الثاني : المجموعات السكانية التي تقطن بلاد السودان وتشاد ، وبه ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث : الخصائص المشتركة بين الشعبين السوداني والتشادي ، وبه ثلاثة مباحث .

٣- **الباب الثاني** : جهود نشر الإسلام في المنطقة بين يدي الحقبة الاستعمارية ١٨٦٩ - ١٩٠٠م ويشمل :

الفصل الأول : دولة بحر الغزال الإسلامية ١٨٦٩ - ١٩٠٠م ، وبه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : دولة المهدية الإسلامية ١٨٨١ - ١٨٩٩م ، وبه مبحثان .

٤- **الباب الثالث** : الحقبة الاستعمارية وأثرها في تعويق المد الإسلامي ١٩٠٠-١٩٥٦م ويشمل :

الفصل الأول : أثر الرحالة والمبشرين ، وبه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : الاستعمار البريطاني في السودان ١٨٩٩ - ١٩٥٦م ، وبه مبحثان .

الفصل الثالث : الاستعمار الفرنسي في تشاد١٩٠٠-١٩٦٠م ، وبه مبحثان .

٥- **الباب الرابع** : حقبة الحكم الوطني بعد الاستقلال ١٩٥٦ - ١٩٩٩م ، ويشمل :

الفصل الأول : الفترة الأولى للحكم الوطني ١٩٥٦-١٩٦٨م ، وبه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : الفترة الثانية للحكم الوطني ١٩٦٩ - ١٩٨٨م ، وبه ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث : الفترة الثالثة للحكم الوطني ١٩٨٩ -١٩٩٩م، وبه ثلاثة مباحث .

٦- **الباب الخامس** : مؤسسات التواصل الشعبي بين البلدين ويشمل :

الفصل الأول : المؤسسات الاجتماعية ، وبه مبحثان .

الفصل الثاني : المؤسسات الثقافية ، وبه مبحثان .

٧- **الخاتمة** : وتشتمل على النتائج والتوصيات .

٨- **المصادر والمراجع** .

٩- **الملاحق** .

الباب الأول :

الإطار التاريخي والاجتماعي للدراسة

الفصل الأول

حقبة الممالك الإسلامية ١٠٨٥ - ١٩٢٠م

الفصل الثاني

المجموعات السكانية التي تقطن بلاد السودان وتشاد

الفصل الثالث

الخصائص المشتركة بين الشعبين السوداني والتشادي

تمهيد :

يشمل هذا الإطار دراسة الممالك والقبائل واللغات السائدة والخصائص المشتركة في منطقة ما صار يعرف الآن بجمهوريتي السودان وتشاد وذلك لمعرفة القدر الذي تتمتع به المنطقة من التجانس والاشتراك في قواسم عديدة فقد أشار المسعودي إلى أن أصول السكان في المنطقة ترجع إلى أصل واحد حيث يقول "ولما تفرّق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة مُيَمّنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركة وكوكو وغانه وغير ذلك من أنواع السودان"[1].

وأشار في موضع آخر " أمّا غير هؤلاء من الحبشة الذين قدّمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب مثل الزغاوة والكوكو والقراقر ومديدة ومريس والمبرس والملانه والقوماطي ودويلة والقرمة فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم من الأحباش ملك ودار مملكة "[2] .

واستخدام كلمة السودان والحبشة كاسم علم على شعوب المنطقة هو استخدام قديم حفلت به كتب الأقدمين فقد أشار القزويني إلى ذلك في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد ، غير أنه فرق بين استخدام المصطلحين ولم يستخدمها مرادفا مثل ما فعل المسعودي يقول القزويني " السودان بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط "[3] ومصطلح السودان مأخوذ من لون بشرة السكان في المنطقة ويماثلها استخدام كلمة (أثيوبيا) والتي تعني الوجه المحروق ورغم أنه حدث تداخل بين العديد من السلالات البشرية في المنطقة عرب وغيرهم إلا أن المنطقة احتفظت باسم السودان ويرجع نعوم شقير في كتابه جغرافية وتاريخ السودان أصل سكان السودان إلى شبه السود (Negroid) ويقول في ذلك" أما شبه السود فهم من أقدم الأصول في البلاد بعد السود ويظن أنهم أولاد كوش بن حام الذين هاجروا إلى السودان بعد الطوفان وسكنوا الحضر ومنهم معظم سكان دارفور من بلاد السودان (المصري) ومعظم سكان وداي وكانم وباغرمي وبرنو

---

[1] المسعودي – مروج الذهب – ص ٤٢٢ .

[2] المسعودي المرجع السابق : ص ٤٤١ .

٣ القزويني :آثار البلاد وأخبار العباد – دار صادر – بيروت ص٢٤ .

وسوكوتو وملّي من السودان الغربي"[٤] كما أشار نعوم شقير إلى فئة أخرى من سكان المنطقة أسماهم (التكارنة) ووصفهم بأنهم " في التخصيص مهاجرو بلاد التكرور التي إلى جنوب برنو المعروفة الآن بالكتكو وفي التعميم يشملون سائر مهاجري السودان الغربي من فلاتة وبرنو وباغرمي وغيرهم وهم متفرقون في جميع جهات السودان ولاسيما في دارفور وكردفان وسنار وكسلا وأكثرهم في القلابات من أعمال كسلا حيث يجتمع منهم في الرجبية نحو (٤٥٠٠٠) نسمة "[٥].

وإشارة نعوم هذه تؤكد مدى التداخل بين سكان المنطقة حيث إنهم يتحركون في منطقة جغرافية منبسطة لا تعوق حركة السكان فيها إيّ عوائق طبيعية وهذه المنطقة التي سمّاها تقع أجزاءً منها في عدة دول إفريقية معاصرة هي السودان وتشاد والكميرون ونيجيريا .

قامت في هذه المنطقة عدة ممالك ، يشير الأستاذان د. خليل عساكر ود. مصطفى مسعد في مقدمة تحقيقهما لكتاب (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) لمؤلفه محمد بن عمر التونسي (حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي) " قامت في هذه البلاد (بلاد الفور) سلطنة إسلامية كانت تُكوّن وقتذاك حلقة في سلسلة الممالك الإسلامية السودانية الواقعة بين الصحراء الكبرى ومصر في الشمال وبين الغابات الاستوائية في الجنوب وتمتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً وتشمل ممالك سنار وكردفان ودارفور ووداي وباغرمي وبرنو أو الكانم وممالك الحوصة (الهوسا) ثم مالي"[٦].

وقامت ست من هذه الممالك في السودان وتشاد وهي (سنار ، كردفان، دارفور، ودّاي ، باغرمي ، برنو) .

أما مصطلح تشاد فهو تحريف للكلمة العربية (شط) وسميت بذلك لوقوعها على أطراف البحيرة المتقطعة التي تقع غرب المنطقة والتي صارت تعرف ببحيرة تشاد ومرت الكلمة بعدة تحورات فقد تحولت من شط إلى (شت) بلسان الأهالي الذي يقلب الطاء تاءً وعندما دخل الاستعمار الفرنسي استخدم الحروف اللاتينية لكتابة الاسم فتمت كتابته على الطريقة الفرنسية التي تكتب الشين (TCH) فصارت تكتب (TCHAD) وعندما كتبت بالعربية كتبت (تشاد) وهو الاسم الذي اتخذته جمهورية تشاد علماً عليها بعد الاستقلال .

---

[٤] نعوم شقير – جغرافية و تاريخ السودان ص٥٦ .
[٥] المصدر السابق ص٨١ .
[٦] محمد بن عمر التونسي – تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان – تحقيق د. خليل عساكر و د. مصطفى سعد – القاهرة ١٩٦٥م ص٥ .

الفصل الأول

حقبة الممالك الإسلامية ١٠٨٥ - ١٩٢٠م

المبحث الأول : مملكة كانم – برنو الإسلامية ١٠٨٥ – ١٨٩٤م .

المبحث الثاني: مملكة دارفور الإسلامية ١٤٤٥ – ١٩١٦ م .

المبحث الثالث: مملكة سنار الإسلامية ١٥٠٥ – ١٨٢١م .

المبحث الرابع: مملكة باغرمي الإسلامية ١٥٦١ – ١٩٢٠م .

المبحث الخامس: مملكة وداي الإسلامية ١٦٣٥ – ١٩١٧م .

المبحث الأول: مملكة كانم - برنو الإسلامية ١٠٨٥م - ١٨٩٤م :

لم يتفق الباحثون على تحديد تاريخ نشأة دولة كانم " فقد ذهب بعضهم إلى أنها نشأت في القرن الثامن الميلادي قال بذلك كرودر بينما ذهب دافرسون إلى أن قيامها كان منتصف القرن التاسع الميلادي "[1]

وردت الإشارة إلى دولة كانم في كتابات المؤرخين العرب حيث ذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان وذكرها القلقشندي في (صبح الأعشا) "وبلادهم بين إفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط "[2] ولأن دولة كانم قد عمرت طويلاً فقد تعددت مواقعها الجغرافية اتساعاً وانكماشاً حسب تقلبات الأحوال ، بل إنها أخذت اسمين، فقد كان اسمها في الأول كانم وكانت تقع شرق بحيرة تشاد ، ثم انتقلت غرباً إلى غرب بحيرة تشاد وصارت تعرف من بعد ببرنو ولأجل ذلك اصطلح المؤرخون على تسميتها كانم – برنو إذ أن برنو إنما كانت امتداداً لكانم .

ويذهب عدد من المؤرخين إلى أن اتصال العرب السياسي بدولة كانم كان بسبب هجرة بعض الأمويين بعد سقوط خلافتهم وكان ذلك في القرن الثاني الهجري حوالي ١٣٣هـ (٧٥٠م) وقد أشار إلى ذلك البكري وياقوت الحموي ، وتذهب المصادر الفرنسية إلى أن أول اتصال تم بين العرب وكانم كان في القرن الهجري الأول إبان حملة عقبة بن نافع إلى شمال أفريقيا حيث وصلت إلى جبال كوارتسي من أنحاء كانم[3] .

ورغم أن الإسلام دخل كانم في وقت مبكر ، إلا أن دولة كانم لم يتبلور شكلها الإسلامي إلا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وتذهب روايات المؤرخين إلى أن أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم ، هو الملك (أومي جلمي) الملك الثاني عشر في عداد ملوكهم والأول بالنسبة لملوك الإسلام في كانم وكان عهده فيما بين عامي (٤٧٩-٤٩٠هـ) (١٠٨٥م – ١٠٩٧م) "[4] وقوي شأن كانم بانتمائها للإسلام لا سيما وأن حكامها قد انتسبوا إلى الأسرة اليمنية السيفية (أسرة سيف بن ذي يزن) ولكن الراجح أن حكام كانم كانوا من

---

[1] راجع زين العابدين السراج – دولة كانم الإسلامية – أطروحة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٧٥م ، ص٥١ .

[2] القلقشندي : صبح الاعشا في صناعة الانشا ص٢٨٠ .

[3] الشاطر بصيلي ص٤١٥ كما راجع محمد صالح ايوب : مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر – دراسات أفريقية العدد ١٤ يناير ١٩٩٦م ص ١٢٦.

[4] د. عبد الرحمن زكي – الإسلام والمسلمون في أفريقيا – القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٦٢، زين العابدين سراج الدين المرجع السابق ص٦١.

قبيلة الزغاوة المعروفة[1] وكانت عاصمتهم جيمي وكانوا يلقبون بالمايات (مفردها ماي)[2].

ينقسم تاريخ كانم إلى فترتين :

١/ **الفترة الأولى:** وهي فترة وجود الدولة شرق بحيرة تشاد وامتدت هذه الفترة من أواخر القرن التاسع الميلادي حتى القرن الرابع عشر .

٢/ **الفترة الثانية:** وهي فترة انتقال الدولة إلى غرب البحيرة وأمتدت هذه الفترة من أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، عشية دخول الاستعمار الأوربي إلى المنطقة .

ذكرنا أن أول حكام كانم المسلمين كان هو (الماى أومي جلمي) والذي حكم من ١٠٨٥ إلى ١٠٩٧م ، واهتم بنشر الإسلام وتثبيت عقائده ، ومات في طريقه إلى الحج بأرض مصر ، وخلفه أبنه دونامه والذي دام حكمه ثلاثاً وخمسين سنة من ١٠٩٧ وحتى ١١٥٠ " وفي عهده أزدهر الإسلام حتى صار الدين الرسمي للدولة وكان متديناً حتى أنه حج مرتين إلى بيت الله الحرام كما أنه وسّع علاقات مملكته مع الممالك المجاورة. وقد بنى دونامة في عهده جيشاً قوياً أسس به دعائم شهرته وتوطيد نفوذه وصار مصدر قلق وإزعاج للمالك المجاورة وبينما كان في طريقه لأداء فريضة الحج للمرة الثالثة ، عبر البحر الأحمر قام بإغراقه المصريون بعد أن تبين لهم بأنه خطر كبير عليهم"[3] وكان من أعماله أن وسّع رقعة إمبراطوريته حتى وصلت إلى فزان شمالاً وإلى تلال ديكوا جنوباً ومن وداي شرقاً حتى نهر النيجر غرباً .

تولى الحكم بعد ماي دونامة ابنه (ماي بيرى الأول) وحكم خمسة وعشرين عاماً من ١١٥٠ وحتى ١١٧٦م وشهدت فترة حكمه نزاعاً دار بينه وبين أمه (فصاما) والتي كانت تعترض على بعض أحكامه وتتدخل في شئون تسييره للحكم، وتولى الحكم بعده أبنه ماي (عبد الله بيكورو) واستمر حكمه من ١١٧٦ إلى ١١٩٣ ثم خلفه ابنه (عبد الجليل) والذي حكم من ١١٩٣ وحتى ١٢٢١م ويشير المؤرخون إلى أنه أول من بنى مسجداً بالطوب

---

[1] الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط – الهيئة العامة للكتاب– القاهرة سنة ١٩٧٢م ص٤١٤، زين العابدين السراج المرجع السابق ص٦٩ ، سعيد حرلش العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب إفريقيا وجنوب الصحراء – بحث لنيل الدبلوم العالي – جامعة محمد الخامس – الرباط ١٩٩٤م.

[2] راجع د. عبد الرحمن زكي – المرجع السابق ص٧٨ .

[3] الشاطر بصيلي – تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط – الهيئة العامة المصرية للكتاب – القاهرة سنة ١٩٧٢م ، إدارة التعليم العربي – وزارة التربية الوطنية – تشاد من دخول الإسلام حتى دخول الإستعمار – انجمينا ١٩٨٢م ، ص٤.

وشارك في كسوة الكعبة[1]، ثم خلفه (الماي دونامة الثاني) (١٢٢١-١٢٥٩م) وهو الذي أخضع قبائل التوبو بعد حرب دامت سبع سنين ، كما أنه ضم برنو إلى حكمه بعد استيلائه على (ماسينا) وهو الذي أنشأ في عام ١٢٤٠م رواقاً في الأزهر الشريف باسم (رواق كانم) لينتفع به الوافدون من طلاب العلم والحجاج الكانميين"[2].

" ويذكر المقريزي أن مدرسةً قد بناها الكانم في مصر عام (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) لتدريس الفقه على المذهب المالكي باسم مدرسة ابن رشيق وزودت هذه البناية بغرف لسكن المسافرين من الكانم خلال إقامتهم في القاهرة "[3] ، وفي هذه الحقبة كان لسلاطين كانم دور كبير في نشر الإسلام وتوسّع ملكهم حتى دارفور واتخذوا لهم مقراً فيها في جبل أوري وامتد حكمهم حتى داو (Dhuwi) ويعتقد بعضهم أن داو هذه هي (أدو) الحالية في جزيرة صاى في بلاد النوبة الشمالية "[4] وذلك إبان سيادة مملكة دنقلا المسيحية في المنطقة .

ولكن تعرضت كانم لثورات قبائل البلالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي وذلك في عهد الملك داود ننغالي الذي قتل بسبب بعض الفتن وتولى الحكم بعده السلطان (الماي عمر بن إدريس) وشهدت الدولة أشد عصورها ضعفاً ورغم ذلك استمر (الماي عمر) في الحكم حتى ١٤٧٢م ثم خلفه الماي علي غامي زيني ١٤٧٢ وحتى ١٥٠٧م وهو الذي اتخذ عاصمة جديدة هي (نقاسوري) وشهدت هذه الفترة في سودان وداي النيل قيام دولة سنار الإسلامية كما شهدت نفس الفترة سقوط دولة الإسلام في الأندلس ، وبلغ الضعف بكانم في هذه الفترة أن انقسمت إلى دولتين جزء منها تحت سيطرة المايات (حكّام كانم الأصليين) والجزء الآخر تحت حكم قبائل البلالة وفي سنة ١٥٢٦م استطاع (الماي عمر بالومة الثالث) طرد البلالة وتوحيد المملكة مرة أخرى وفي عهده بلغت الدولة أوج عظمتها حيث بلغت حدود مصر[5] وظل حكم (الماي عمر بالومة الثالث) حتى سنة ١٥٧٦م وبعد وفاته عمّت الفوضى أرجاء البلاد وانقسمت مرة أخرى في عام ١٦٠٣م وذلك بعودة قبائل البلالة واستيلائهم علي جزء من المملكة ولكنهم

---

[1] راجع زين العابدين سراج الدين –مرجع سابق ص٨٥ .

[2] إدارة التعليم العربي – مرجع سابق ص٥ .

[3] الشاطر بصيلي – المرجع السابق ص ٤٢٣ .

[4] ابن سعيد – بسط الأرض في الطول والعرض – تطوان سنة ١٩٥٨م ص٢٨ . كما راجع ترمنجهام – إمبراطورية البرنو الإسلامية – الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ، ص٥٨ ، وراجع د. أحمد إلياس – طرق القوافل عبر الصحراء – دراسات أفريقية العدد الثالث ص٦١ ، زين العابدين – دولة كانم الإسلامية – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥م ، ص٨٦.

[5] عبد الرحمن عبد الله حسون – تقويم منهج التاريخ للصف السادس الابتدائي بالمدارس العربية بتشاد – رسالة ماجستير – جامعة إفريقيا العالمية – كلية التربية سنة ١٩٩٨م ص١٦ (بحث غير منشور) .

طردوا بواسطة القبائل العربية التي وفدت من منطقة وداي وتأسست مدينة "ماو" – (عاصمة مديرية كانم الحالية) . وتعاقب على حكم كانم – برنو بعد ذلك عدد من الحكام منهم السلطان إدريس علي والسلطان إبراهيم إبن ادريس والذي شهد فتنا كثيرة وقتل في إحدى هذه الفتن سنة ١٦٢٦م وأعقبه السلطان عمر بن قشبام ١٦٢٦م حتى ١٦٤٥م ووقعت اضطرابات غاب معظم تفاصيلها عن المؤرخين وانتهت تلك الحقبة بمجيء السلطان دونامة ابن علي (١٦٩٨ – ١٧١٧م) وكان ذا بأس شديد وقوة ، فاستطاع إيقاف الفوضى واعقبه الحاج حمدون بن دونامة (١٧١٧م – ١٧٣١م) ويعتبر من صالحي العلماء وازدهر في عهده العلم والمعرفة وأعقبه ابنه علي بن الحاج والذي استمر حكمه حتى عام ١٧٩٣م واتصف حكمه بالعدل والجود وحب العلم والعلماء .

بعد هذه الفترة بقليل ظهر الشيخ عثمان دان فوديو شرق مملكة برنو في منطقة كانو وأغار على أطراف من مملكة برنو وباستنجاد من بعض سلاطين كانو استجاب سلطان برنو السلطان أحمد بن علي لصيحاتهم وأرسل جيشا لحرب دان فوديو ولكن هذا الجيش هزم ، واعقب السلطان أحمد ابنه السلطان دونامة بن أحمد وحكم من ١٨١٠م وحتى ١٨١٨م واتصل بالشيخ محمد الأمين الكانمي واستعان به على حروب الفولاني بقيادة دان فوديو وهو الذي نصح السلطان بنقل العاصمة من (فسرقمو) إلى (كابيلة)[1] .

تنازل السلطان إبراهيم بن دونامة عن السلطة فأصبح الشيخ محمد الأمين الكانمي سلطانا على كانم – برنو وحكم حتى ١٨٤٦م حيث خلفه في الحكم إبنه السلطان عمر وحكم حتى سنة ١٨٨٠م عندما تكاثفت الضغوط الخارجية على المملكة من قبل رابح فضل الله الذي استطاع مؤخراً قتل السلطان هاشم الكانمي واستولى على كيكو سنة ١٨٩٣م وأسس عاصمة له في ديكود سنة ١٨٩٤م وهزم آخر سلاطين برنو السلطان شاري وأسره وكانت تلك نهاية دولة كانم " .

المبحث الثاني : مملكة دارفور الإسلامية ١٤٤٥م – ١٩١٦م :

مملكة دارفور الإسلامية هي تطور لممالك قديمة كانت قائمة في بلاد الفور و " دارفور هو الإقليم الثالث من ممالك السودان وذلك أن القادم من المشرق إلى بلاد السودان أول مملكة وإقليم يعرض له مملكة سنار ثم كردفان ثم دارفور فظهر أنها الإقليم الثالث وبحسب ذلك يكون إقليم وداي هو الرابع وباغرمي الخامس وبرنو السادس "[2]

---

[1] وزارة التربية الوطنية : تاريخ تشاد ص١٥ .

[2] ابن عمر التونسي : المصدر السابق ص١٣٢ .

ويذكر التونسي حدوداً واضحة لبلاد الفور " من جهة الشرق أقصى الطويشة ومن الغرب آخر دار المساليط (المساليت) وآخر دار قمر وأول دار تامة وهو الخلاء الكائن بين دار صليح (وداي) وبينها ، ومن الجنوب الخلاء الكائن بينها وبين دار فرتيت ومن الشمال المزروب وهو أول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية "[1] ، كما قدم التونسي وصفاً لحدود دارفور بمقياس الأيام حيث يعتبر أن طولها حوالي (٥٠ يوماً) من الشمال إلى الجنوب وكذلك (٥٠ يوماً) من الشرق إلى الغرب .

هناك رواية مشهورة عن صلة العرب المسلمين بدارفور وهي الصلة التي تحولت معها مملكة الفور إلى مملكة إسلامية وتشير هذه الرواية التي أوردها نعوم شقير على لسان الشيخ الطيب محمدين أحد علماء دارفور اللاجئين إلى مصر أواخر القرن التاسع عشر "[2] إلى أن بعض العباسيين[3] الذين تفرقوا بعد سقوط الدولة العباسية اتجهت جماعة منهم إلى المغرب ونزلت تونس وكان ضمن هذه الجماعة شقيقان علي وأحمد سفيان ، وكان علي أكبر الأخوين ولكن وقع خلاف بينهما قام علي أثره علي بضرب أخيه سفيان فعقره ولذلك سمي (أحمد المعقور) وتفرّق الأخوان بعد الخلاف ، فسار أحمد المعقور إلى دارفور يحيط به بعض معاونيه فاستقبلهم أحد ملوك دارفور ويدعى (شاودور شيت) وأحسن وفادتهم وأشركهم في حكم البلاد وزوّج أحمد المعقور بنته الوحيدة والتي ولدت له ولداً أسماه سليمان وهو الذي تولى الحكم بعد جده (دور شيت) وبويع ملكاً سنة ١٤٤٥م وهو لهذا يعّد أول سلالة السلاطين العرب والذين حكموا دارفور نحو ٤٤٣ سنة وكان آخرهم السلطان علي بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل المعروف بالسلطان علي دينار .

ذكر المؤرخون أن سليمان الأول (سولونج)[4] عندما تولى السلطة لم يكن في بلاد الفور من جبل مرة مساجد ولا جمع ولا جماعات فأقام المساجد والجمع والجماعات وألف القبائل العربية والمسلمة التي كانت تقطن المنطقة واستعان بهم على إخضاع الممالك التي كانت تحيط بجبل مرة ونشر الإسلام في هذه الممالك " وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سليمان وبقوا إلى عهد خراب السلطنة (٢٧) ملكاً ، سبعة

---

[1] التونسي : المرجع السابق ؛ ص٢٣٦ .

[2] نعوم شقير مرجع سابق ، ص٢٤ .

[3] ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الهجرة المقصودة هي هجرة بني هلال المشهورة إلى المغرب .

[4] وكلمة سولونج تعني الأحمر أو العربي ، وهذا يدل على أن اللون جزء أساسي في كثير من التسميات التي يتعامل بها الناس في هذه المنطقة. هذا وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن سولونج ليس هو سليمان الأول ولكنه سليمان الثاني الذي حكم في الفترة من ١٦٩٥م إلى ١٧١٥م وفي هذا يقول نعوم شقير " أن لقب سولون " سولون " هو لسليمان الأول فقد نسبوه إلى سليمان الثاني سهواً".

مجوس من السود والباقون مسلمون من شبه السود ، أما سلاطين المجوس فهم سلاطين كاره ، ودنقو، وفنقرو ، رينه ، وباية ، وفروقي ، وشالا وكلهم في بلاد قرتيت إلى الجنوب الغربي من دارفور ، وأما ملوك المسلمين فهم البرقو ، والتنجر ، وكبقة ، والميمة ، والمسبعات في الشرق من جبل مرة والمراريت والعورة وسميار والمساليت والقمر، وتامة ، والجبلاوين ، وأب درق ، وجوجة ، وأسمور ، في الغرب والشمال الغربي وزغاوة كبا والميدوب في الشمال والشمال الشرقي والبيقو والداجو ورنقا في الجنوب والجنوب الغربي"[1].

أما القبائل العربية التي استجابت لدعوة سليمان بن أحمد المعقور وناصرته فهي الهبانية ، الرزيقات ، المسيرية ، التعايشة ، بنو هلبة ، المعاليا، الخمر، الزيادية ، الماهرية ، المحاميد وبنو حسين.

دام حكم السلطان سليمان الأول (٣٢) سنة وخلفه في الفترة من ١٤٧٦م إلى ١٦٩٥م خمسة عشر سلطاناً كان لهم الفضل في توسيع مملكة الفور واستقرارها واستعرابها .

وفي عام ١٦٩٥م حكم السلطان سليمان الثاني والذي يدّعي بعض المؤرخين أنه المقصود (بسولونج) ويصفون فترة حكمه التي استمرت حتى ١٧١٥م وفترة حكم ابنه موسى الذي حكم من بعده إلى ١٧٢٦م أنها من اكثر فترات الحكم استقراراً وعدلاً في دارفور ثم جاء بعد السلطان موسى السلطان أحمد بكر والذي وصفته الروايات التاريخية بأنه كان مزواجاً وله من الأبناء نحو مائة ولد ، ثم خلفه السلطان محمد دورة والذي اتسم حكمه بالجور وخلفه السلطان عمر الثاني والذي حكم في الفترة من ١٧٥٧م وحتى ١٧٦٤م ويعتبر من اعدل السلاطين وأشدهم تمسكاً بالكتاب والسنة ويعتقد الأهالي في صلاحه حيث نسبوا له كثيراً من الأزدهار الذي وقع في بلادهم " وقيل قد بارك الله في البلاد بسببه حتى أتأمت[2] الإبل والبقر والحمير وغزرت الينابيع في جبل مرة ، وجرت الأنهار ، فلُقِّب (سرف) أي الماء الجاري "[3] .

ثم خلف السلطان عمر الثاني السلطان أبو القاسم (١٧٦٤-١٧٦٨م) ويزعم نعوم شقير أن السلطان أبا القاسم هذا عاصر عبد الكريم بن جامع ويقول في ذلك " وقيل في أيامه (أي أيام السلطان أبو القاسم) خرج عربي صالح من كردفان يسمى عبد الكريم إلى دار وداي وكانت إذ ذاك بيد التنجر فاغتصبها منهم وكانوا قبلاً يدفعون الجزية إلى

---

[1] نعوم شقير – مرجع سابق ، ص .

[2] كانت تلد توائم .

[3] ابن عمر التونسي – مرجع سابق ، ص٣٧٣ .

سلاطين الفور ، فلما تولى عبد الكريم أبى دفع الجزية ، فجرّد السلطان أبو القاسم جيوشه عليه ووافعه واقعة شديدة "[1] وكلام نعوم هذا غير صحيح :

أولاً: لأن عبد الكريم بن جامع توفي سنة ١٦٥٥م فهو لم يعاصر أبا القاسم ولكنه عاصر السلطان منصور (١٦٢٧-١٦٣٩م) والسلطان شوش (١٦٣٩-١٦٥٨م) .

ثانياً: لأن عبد الكريم بن جامع لم يمتنع عن دفع الجزية لسلاطين دارفور وفي هذا يقول ناختيغال " دفع عبد الكريم الجزية لدارفور طيلة أيام حكمه شأن التنجور قبله وأهم هذه الجزية إرسال أميرة كل ثلاث سنوات "[2].

ثالثاً : لأنه لم تسجل أي معارك دارت بين عبد الكريم بن جامع وسلطنة الفور والذي عاصر السلطان أبا القاسم (١٧٦٤ - ١٧٦٨) من سلاطين وداي هو السلطان جودة والذي حكم في الفترة من ١٧٤٧ وحتى ١٧٩٥ .

والراجح عندنا أن مملكة وداّي ظلت تؤدي الجزية إلى سلاطين الفور حتى عهد السلطان يعقوب عروس أو حاروت ابنه[3] وهو الذي عاصر السطان أحمد بكر على دارفور وكان هذا الأمير قد بلغ سناً متقدمة وعندما هم سلطان وداّي بإرسال الجزية وفيها الأميرة التي كانت جزءاً مهماً من الجزية نصح بعض الخاصة السلطان بالا يفعل ويلزمه أن يوقف هذا العار فأرسل سلطان وداّي لسلطان الفور أحمد بكر عوضاً عن الأميرة رسولين يحملان رسالة استفزازية تقول " إذا أردت الحصول على الجزية ائت واجمعها بنفسك"[4] وتمادى سلطان وداّي بأن توّغل في أراضي دارفور وحينها أرسل إليه السلطان أحمد بكر رسولاً يسأله عما يريد فأجابه أنه يريد الحج ، ووقتها حاول أحمد بكر لإبداء حسن النية حيث أرسل له إحدى بناته زوجةً لترافقه في الطريق الطويل للحج ولكن السلطان الوداوي قابل الأمر بمزيد من الازدراء والإهانة وحينها دارت معركة بين الطرفين حاول فيها الفور إجلاء جيش وداي من أرضهم ولكن الأمر لم ينته حيث حاول السلطان عمر ليله (عمر الثاني) (١٧٥٧ - ١٧٦٤م) حفيد السلطان أحمد بكر وهو السلطان رقم عشرين من سلاطين دارفور إرغام وداّي لدفع الجزية ودارت معركة بين الطرفين هُزم فيها الفور وأسر السلطان عمر الثاني وحمل إلى وداّي وخلفه السلطان أبو القاسم والذي حاول مقاومة سلطان وداّي ولكنه هزم هو الآخر وقتل في دار تامية

---

[1] نعوم شقير - مرجع سابق .

[2] ناختيغال - تاريخ وداي - ترجمة هنري كودري ونادياكركي - ص٥ .

[3] وقلنا عروس أو ابنه حاروت لأن ما بين أيدينا من تواريخ تشير إلى أن السلطان أحمد بكر (١٧٢٦ - ١٧٤٦) لم يعاصر يعقوب عروس (١٦٨١ - ١٧٠٧) ولكنه عاصر ابنه حاروت (١٧٠٧ - ١٧٤٧) بسنة واحدة فقط ويبدو أن ناختغال قد اختلط عليه الأمر أو أن التواريخ لم تكن مضبوطة كما ينبغي .

[4] ناختيغال المصدر السابق ص٦ .

وخلفه في الحكم أخوه السلطان تيراب (١٧٦٨-١٧٨٧م) وهو الذي نقل العاصمة من جبل مرة إلى " شوية " قرب كبكابية وهو الذي هاجم كردفان وهزم السلطان هاشم سلطان المسبعات والجأه إلى سنار وتبعه حتى إذا وصل إلى أم درمان أغار تيراب عليها وتصدى له العبدلاب فهزمهم وغنم نحاسهم المسمي (المنصورة) والذي أصبح نحاس المملكة حتى عهد السلطان علي دينار وكان مصرّاً على فتح سنار لتأديب السلطان هاشم الذي لجأ إليها ولكن تمرد جيشه والمرض الذي داهمه حدا به للعودة إلى دارفور حيث اشتد به المرض فمات في بارا في طريق العودة إلى دارفور .

خلف السلطان تيراب على العرش السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧-١٨٠١م) وسبب لقبه الرشيد هو أنه أهدى السلطان العثماني هدية من العاج والريش فرد عليه السلطان العثماني بالشكر ولقبه بالرشيد وهو الذي أكمل ضم كردفان إلى مملكة دارفور وعيّن عليها مقدوماً من عنده ليقوم مقام سلاطين المسبعات وفي أيامه انتشر العلم في دارفور وكانت له علاقة طيبة بمصر وهو الذي راسل نابليون في رسالة مشهورة نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم ...الحمد لله رب العالمين ، من سلطان دارفور السلطان عبدالرحمن الرشيد إلى المعظم سلطان الجيوش الفرنساوية ، ألف سلام " .

أما بعد ، فنعلمكم أن خبر انتصاركم على المماليك وصل إلينا فتلقيناه بفائق السرور ، وقد أخبرنا أحد الافرنج الذين اعتنقوا الإسلام بحسن معاملتكم للأجانب ، فأرسلنا كتابنا هذا مع خبير القافلة يوسف الجلابي ، وكلفناه أن يؤكد لكم صدق مودتنا التي نسأل الله دوامها ، ونحن نوصيكم بالخبير خيراً لتحموه هو واتباعه وعبيده ، ولكم ألف تحية وسلام .. أ هـ " .

فرد نابليون على رسالة السلطان عبد الرحمن الرشيد بما نصه :

١٢ مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنساوية سنة ١٧٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله

إلى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور تناولت كتابكم وفهمت فحواه واعلموا أن قافلتكم قد وصلت في حين كنت متغيباً في بلاد الشام اعاقب أعداءنا وأدمرهم والآن طلبي اليكم أن ترسلوا إليّ مع أول قافلة ألفي عبد من العبيد الأشداء المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر، إذ مرادي أن ابتاعهم لنفسي والأمل أن توعزوا إلى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير الحثيث وها أنا أمرت من يلزم بحمايتها ووقايتها حيث تكون .

الإمضاء بونابرت القائد العام للجيش الفرنساوي "[١] .

---

[١] راجع نعوم شقير مرجع سابق ، ص

ثم خلف السلطان عبد الرحمن الرشيد ابنه السلطان محمد الفضل (١٨٠١-١٨٣٩م) الملقب بقمر السلاطين والذي استمر حكمه (٣٨) سنة وهو أول من بدأ من السلاطين في محاربة تجارة الرقيق ومنعها حيث حرّر قبيلة أم بوسة البيقاوية ومنع أخذ الرقيق وبيعه من هذه القبيلة التي كانت تنتمي لها أمه ، وكان عمر محمد الفضل عندما تولى السلطنة ١٤ سنة وكان القيّم على العرش (أبو شيخ كرّة) المشهور بالحكمة والشجاعة ولكن خلافاً سرعان ما دبّ بين الرجلين وتمرّد كرّة على محمد الفضل ولكن محمد الفضل قضى على تمرّده وقتله .

ومحمد الفضل هو الذي أغار على مملكة ودّاي وخلع سلطانها آدم بن عبد العزيز وأقام مقامه محمد شريف والذي كان يعمل جزاراً في دارفور وتذهب الروايات إلى أنه كان من الأسرة الوداوية المالكة ولكنه هاجر إلى دارفور خوفاً من بطش السلطان آدم (أخيه) واستمر الحكم في عقبه حتى سقوط دولة ودّاي عام ١٩١٧م على يد الفرنسيين .

وفي أيام السلطان محمد الفضل هذا وصلت حملات محمدعلي باشا كردفان وقضت على حكم المقدوم مسلّم الذي كان يحكم من قبل سلطنة دارفور ، وحاول محمد الفضل حماية حدود دارفور الشرقية من دخول محمد علي باشا وحماية حدودها الجنوبية من غارات الزبير ود رحمة ، كما تعرّض لمشكلة أخرى وهي التحاق أخيه أبي مدين بمحمد علي باشا وفراره إلى مصر طلباً لدعم من الخديوي لإسقاط محمد الفضل هذا العمل الذي تولى كبره الفرنسي (بيرون) بمساعدة محمد بن عمر التونسي (كما سيرد لاحقاً) ولكنه لم يسفر عن شئ ذي بال.

وخلف السلطان محمد الفضل ابنه السلطان محمد حسين والذي حاول حل المشكلة بينه وبين الخديوية في سنار وكردفان فأخذ يبادلهم الهدايا ويرسل بعضها إلى مصر وهو أول من أدخل الأسلحة النارية في جيش دارفور[1] .

ثم خلفه السلطان إبراهيم (١٨٧٤ – ١٨٧٥م) والذي لم يستمر حكمه سوى سنة وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً وقد قتل في معركة منواشي ٢٤ اكتوبر ١٨٧٥ والتي دارت بين جيش السلطان إبراهيم والزبير باشا رحمة وتعتبر هذه المعركة وبموت السلطان إبراهيم نهاية عهد سلاطين دارفور ودخول دارفور تحت سيطرة الباشا الخديوي حيث تم إلقاء القبض على عدد كبير من أمراء دارفور وتم إرسالهم إلى مصر وأسكنوا في الحي المعروف بحي سوق السلاح بالقلعة ، والذين تولوا الأمر في دارفور بعد ذلك

---

[1] راجع نعوم شقير مرجع سابق ص

هم مجموعة من أبناء الأسرة الحاكمة ولكن لم يعـــودوا يتمتعــون بلقـــب سلطـــان واكتفــوا بلقب أمير وجاء تسلسلهم كما يلي :

1. الأمير حسب الله بن السلطان محمد الفضل .
2. الأمير بوش بن محمد الفضل .
3. الأمير هارون بن سيف الدين بن محمد الفضل .
4. الأمير دود بنقا بن بكر بن محمد الفضل .

وهؤلاء الأربعة عاصروا الحكم التركي في السودان ، ثم قامت المهدية وعاصرهـــا من أمراء دارفور .

1. الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم .
2. الأمير أبو الخيرات بن السلطان إبراهيم .
3. السلطان علي دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل وهو آخر حكـــام دارفور من سلالة أحمد المعقور وقد ناصر المهديـــة ودفـــع الجزيـــة لحكومـــة السودان الإنجلـــيزية بعـــد سقوط المهدية إلى أن غدرت به الحكومة الإنجليزيـــة وأسقطت سلطـــنته باستخـــدام الطـــائرات والأسلحـــة المحرمـــة دولياً وقتـــها وكان ذلك سنة ١٩١٦م .

المبحث الثالث: مملكة سنار الإسلامية ١٥٠٥م — ١٨٢١م :

تأسست مملكة سنار الإسلامية نتيجة تحالف بين قبائل الفونج بزعامة عمارة دنقـــس وعـــرب القواسمـــة (مـــن جهينة) بزعـــامة عبدالله جماع .

امتدت مملكة سنار من الشلال الثـــالث شـــمالاً وحتـــى جبـــال فـــازوغلي جنوبـــاً ومن سواكن شرقاً حتى النيل الأبيض غرباً، ومملكة سنار عبـــارة عـــن تجمـــع ضـــم عدداً كبيراً من الممالك والمشيخات ، فقـــد ضمت ســـنار مشـــيخة قـــرّي (العبـــدلاب) ومشيخة خشم البحر (شرق النيـــل الأبيـــض) ومملكـــة فـــازوغلي ومشـــيخة الحمـــدة على الدندر ومملكة البني عامر ومملكـــة الحلنقـــة ومشـــيخة الشـــنابلة فـــي المسلمية ومملكة الجموعية غرب النيـــل الأبيـــض ومملكـــة الجعليين فـــي شـــندي ومملكـــة الميرفاب في بربر ومملكة الرباطاب فـــي أبـــي حمـــد ومشـــيخة المنـــاصير ومملكـــة الشايقية في مروي ومملكة الدُفار في الدُفار ومملكة دنقـــلا ومملكـــة الخنـــدق ومملكـــة الخنّاق ومملكة أرقو وخضعت لسلطانهم مملكة المسبّعات فـــي كردفـــان لفـــترة مـــن الزمن على عهد الملك بادي أبو شلوخ وكـــان ذلـــك ١٧٤٧م وحتـــى ١٧٦١م .

" واختلف المؤرخون في أصل الفونج ، فمن قائل إنهم فرع من الشلك ومن قائل إنهم من سكـان دارفـور الأصلـيين والذي عليه التقاليد السودانية وتدعيّه سلالتهم أنهم مـن بني أمية "[1] .

قامت مملكة سنار على أنقاض الممالك النوبية المسيحية التي كانت تحكـم السـودان وهي دنقلا وعلوة والمقرة ، وبانتصار تحالف الفونج مع القواسمة علـى مملكـة سـوبا وتخريبها سنة ١٥٠٥م تولّى الحكم عمارة دنقس ملكاً على سنار واستمر حكمه حتى سنة ١٥٣٤م وكان قيام حكمه سبباً لوقف زحف السلطان سليم الذي اسـتولى حينـها علـى سواكن ومصوّع وعندما اتجه نحو سنار أرسل إليه عمارة بخطاب يقول فيه "إني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي واحتلال بلادي فان كان لأجل تأييد الدين الإسلامي فإنّي أنـا وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسـول الله وإن كان لغـرضٍ مـادي فأعلم أن أكثر أهل مملكتي عـرب بادية وقـد هاجروا إلى هـذه البلاد في طلـب الـرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية "[2] ودلّ هذا الخطاب على حضافـة عمـارة دنقـس وحسن تأتّيه كما أرسل مع الخطاب كتاب انساب العرب المقيمين في مملكة سنار وكـان ذلك سبباً لأن يعدل السلطان سليم عن غزو سنار ودخولها .

شهد حكم ملوك سنار في أول الأمر استقراراً وعدلاً فبعد عمارة دنقس الـذي حكـم تسعة وعشرين عاماً تولى الحكم ابنه عبد القادر الذي حكم من ١٥٣٤م وحـتى ١٥٤٤م ثـم خلفـه أخوه نايل من ١٥٤٤م إلى ١٥٥٥م ثم خلفه أخـوه عمـارة أبـو سـكاكين (١٥٥٥م – ١٥٦٣م) ثم خلفه الملك دكين العادل (١٥٦٣م – ١٥٧٨م) والذي شهد عهده تنظيم الحكم والدواوين ثم خلفه الملك طمبـل (١٥٧٨م – ١٥٨٩م) ثـم الملـك اونسـة (١٥٨٩م – ١٥٩٩م) ثم عبد القادر الثاني (١٥٩٩م – ١٦٠٥م) وخلفه الملـك عـدلان (١٦٠٥م – ١٦١٢م) وفي عهده بدأ الخلاف بين طرفـي التحـالف الحـاكم (الفونـج والقواسمة) حيث خرج الشيخ عجيب شيخ قرّى على سلطة الدولة المركزية في سنار مما اضطر حكومة سنار لمقاتلته في معركة دارت فـي المنطقـة الواقعـه بيـن العيلفـون والخرطوم قتل فيها الشيخ عجيب وفرّ أولاده إلى دنقلا وتدخّل الشيخ إدريس ودّ الارباب[3] وأوقع صلحاً بين الطرفين .

ثم خلف عدلان الملك بادي (سيد القوم) وذلك في الفترة من ١٦١٢م وحتـى ١٦١٥م ثم خلفه رباط من ١٦١٥م وحتى ١٦٤٣م ثم إذا جاء عهد الملك بادي أبو دقن (١٦٤٣ –

---

[1] نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص٣٨٥ .

[2] نعوم شقير المرجع السابق ص٣٨٨ .

[3] الشيخ إدريس ود الارباب هو خال الشيخ عجيب المانجلك وزير سلاطين سنار وحاكم قري نيابة عنهم .

١٦٧٨) شهدت الدولة توسعاً شديداً حيث غزا بلاد الشلك وغزا جبال تقلي في جبال النوبة وقد اشتهر بالكرم والجود وأورد نعوم شقير قصيدة طويلة أنشأها الشيخ عمر المغربي في مدح الملك بادي كما أورد المؤرخون أنه قد اهتم بالعمارة حيث شيّد مسجد سنار الكبير وبنى قصر الحاكم من خمس طبقات وأسس مخازن الذخيرة والأسلحة .

خلف الملك بادي ابن أخيه الملك أونسة الثاني (١٦٧٨م – ١٦٨٩م) ووقعت في عهده مجاعة شديدة (سنة أم لحم) وفشت الأمراض وخلفه ابنه بادي الأحمر (١٦٨٩م – ١٧١٥م) وقامت ثورة ضده تآلف فيها الفونج والقواسمة ونصبّوا ملكاً غيره اسمه (أوكل) ولكنه انتصر عليهم وخلفه أونسه الثالث (١٧١٥م – ١٧١٨م) ولم يكن يتمتع بسيرة حميده حيث انغمس في اللهو والفاحشة وقامت ثورة ضده أسقطته عن الحكم وكان هو آخر سلالة الملك المؤسس عمارة دنقس .

تولّى الحكم بعد أونسة الثالث الملك نول (١٧١٨م – ١٧٢٤م) واشتهر بقوة الدين والعدل وحسن التدبير وخلفه ابنه بادي أبو شلوخ (١٧٢٤م – ١٧٦٢م) ويعتبر أشهر ملوك سنار حيث شكلّت انتصاراته على الملك اياسو ملك الحبشة مصدر شهرته وهو الذي قتل مندوب لويس الرابع عشر الميسو لانوار دي رول الذي بعثه بهدية للملك اياسو وهو الذي أخضع المسبعات لحكمه كما ورد سابقاً . ورغم نجاحاته إلا أنه عزل عن الحكم ونُفي من سنار وكان آخر ملوك سنار المتنفذين ، حيث إن الذين خلفوه كانت مصائرهم بأيدي وزرائهم من الهمج (محمد أبو لكيلك) ومن خلفه .

خلف الملك بادي أبو شلوخ الملك ناصر (١٧٦٢ – ١٧٦٩م) والذي انقلب عليه وزراؤه من الهمج ونفوه إلى خارج سنار وولوا الملك إسماعيل (١٧٦٩ – ١٧٧٨م) والذي اشتهر بتدينه وعدله إلا أن وزراءه من الهمج قاموا بعزله ونفوه إلى سواكن وولّوا بدلاً عنه الملك عدلان الثاني الذي حكم من ١٧٧٨م إلى ١٧٨٩م وفي عهده كان الوزير هو بادي ود رجب الذي خلف أبو لكيلك وأخذ يدير الحكم بقوة ولكنه دخل في خلافات مع بعض مشايخ قرّى فتآزر مشايخ قرّى وحكام الفونج عليه لإسقاطه وقتل سنة ١٨٧٠م وخلفه في الوزارة الشيخ رجب وحاول الملك عدلان إنهاء سيطرة الهمج وشّن عليهم حملة لكنه هُزم في نهاية المطاف وقويت شوكة الهمج وتولى الحكم ملوك ضعاف لم يستمر حكمهم طويلاً فقد ولي الملك بعد بادي الملك أوكل ودام ملكه بضعة أشهر وذلك سنة ١٧٨٩م ثم خلفه الملك طبل ١٧٨٩م ولم يستمر حكمه أيضاً غير بضعة أشهر ، ثم خلفه بادي الخامس لعدة شهور أخرى وكان ذلك حال الملك الثالث والعشرين في سلسلة ملوك سنار الملك حسب ربه والذي حكم من ١٧٨٩م إلى ١٧٩٠م لبضعة أشهر أيضاً ثم الملك نوّار (١٧٩٠م–١٧٩١م) ، ثم خلفهم جميعاً بادي السادس وهو آخر ملوك سنار ،

استمر حكمه من ١٧٩١م وحتى ١٨٢١م عام الفتح التركي المصري للسودان ، غير أن حكمه شهد اضطراباً ومشاكل لا سيما أنه قد ولي الحكم وهو لا يزال صغير السن فعزله وزراؤه وولوا الملك لانفي لعدة سنوات ثم عاد الحكم مرة أخرى لبادي السادس ، وقد شهدت أطراف المملكة تمرّداً واضطرابات قادها الجعليون ومعارك بين البطاحين والشكرية قتل فيها شيخ الشكرية الشيخ عوض الكريم أبو سن، واتسعت دائرة الخلاف بين وزراء المملكة ولذلك سهل على إسماعيل ابن محمد علي باشا خديوي مصر الإجهاز عليها والاستيلاء على سنار سنة ١٨٢١م .

المبحث الرابع : مملكة باغرمي الإسلامية (١٥٦١م — ١٩٢٠م) :

أول ظهور لمملكة باغرمي في المصادر التاريخية يشير إلى أنها بدأت في القرن السادس عشر الميلادي وذلك عندما اندمجت الجماعات العربية الإسلامية مع الجماعات الوثنية في كيان واحد ترأسه ملك واحد (كان وثنياً) هو الملك (برني بسى) وذلك حوالي عام ١٥١٣م، وبازدهار الإسلام في مملكة كانم – برنو المجاورة، امتد نفوذ الاسلام إلى داخل باغرمي بل إلى داخل الأسرة الحاكمة حيث اعتنق السلطان عبد الله الإسلام وهو الذي حكم من ١٥٦٦م حتى ١٦٠٢م وعمل على توطيد أركان الإسلام في مملكة باغرمي بل يذهب البعض إلى أن عبد الله ثار على الملك الذي سبقه (مالو) وكان عبد الله ابناً أو أخاً للملك ، ثار عليه بسبب إصرار عبد الله على نشر وتطبيق الإسلام في باغرمي[1].

أعقب السلطان عبد الله عدد من السلاطين كان أقواهم السلطان بركو مندة (١٧٣٣ – ١٧٣٩م) الذي اتسم بالشجاعة وكثرة الغزوات وهو الذي أخضع منطقة (بركو) في الشمال ومنها اشتق لقبه (بركو مندة) ومعناها منطقة الملح .

ظلت باغرمي تحكم بالشريعة الإسلامية وتتصل بأنحاء العالم الإسلامي في الحجاز ومصر والسودان وتأثرت بنشاط قبائل الفولاني من دعوة وتدريس لعلوم الدين[2] .

بعد بركومندة ضعفت مملكة باغرمي لدرجة أخذ فيها السلطان محمد علاويين يدفع الجزية لبرنو وأعقبه في الحكم السلطان محمد الأمين سنة ١٧٤١م واستطاع استعادة هيبة المملكة وهزيمة سلطان برنو وتأديب قبائل البلالة المتمردة.

---

[1] الشاطر بصيلي المرجع السابق ص٤٣٠، كما راجع د. عبد الرحمن زكي – المرجع السابق ص٧١ ، محمد صالح أيوب – مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكوفونية – مركز البحوث والدراسات الأفريقية سنة ١٩٩٢م ص٣٨ .

[2] د.محمد صالح أيوب المرجع السابق نفس الصفحة .

أعقبه السلطان عبد الرحمن قوران سنة (١٧٧٤م – ١٨٠٦م) وفي عهده تعرضت باغرمي إلى غزو من ودّاي بقيادة السلطان صابون الذي اتهم السلطان عبد الرحمن بانتهاك أحكام الشريعة وقُتل السلطان عبد الرحمن في تلك المعارك وخضعت باغرمي لسلطان ودّاي[1] وظلت هكذا حتى دخول الفرنسيين إلى المنطقة.

بعد مقتل السلطان عبد الرحمن كُلف ابنه بركو مندة الثاني والذي كان أسيراً عند سلطان ودّاي ليتولى مهام السلطنة وحاول في فترة حكمه غزو برنو لكنه هُزم وانتهى حكمه سنة ١٨٤٦م .

خلفه في الحكم السلطان عبد القادر قوران (١٨٤٦م – ١٨٥٨م) وفي عهده زار الرحالة الألماني ناختيغال باغرمي[2] ، وخلفه في الحكم ابنه محمد أبو سكين وحاول التخلص من سيطرة وداي ودخل معها في حرب دامت خمسة أشهر وفقد عاصمته (ماسينا) وأسر من جيشه حوالي ثلاثين ألفاً أخذوا إلى (ابشه) عاصمة ودّاي وكان معظم هؤلاء الأسرى من الحرفيين (دباغين ، خياطين ، صباغين ، صناع سروج... الخ)[3] ولجأ السلطان محمد أبو سكين إلى (بوكمن) ريثما يسترجع عاصمته ماسينا .

خلف محمد أبو سكين ابنه (بركو مندة) وحكم ثلاث سنوات إلا أن عمه قوران استولى على السلطة احتجاجاً على قسوة السلطان (بركومندة) .

كان السلطان قوران ممن تربوا في ودّاي بعد الأسر الذي وقعوا فيه وكانت له مع ذلك علاقات طيبة بحكام ودّاي الذين أعانوه على إخماد ثورة أبناء إخوته عليه وهو الذي نقل العاصمة من ماسينا .

تعرضت باغرمي لهجمات رابح فضل الله سنة ١٨٩٣م واضطر السلطان قوران بن عبد القادر إلى الاستعانة بالفرنسيين ضد رابح حيث وقّع اتفاقية مع القائد الفرنسي " أميل جنتي " أمنّت له حكم بلاده تحت سيطرة الفرنسيين حتى عام ١٩٢٠م حيث تخلّصوا منه ودانت البلاد لفرنسا .

المبحث الخامس : مملكة وداي الإسلامية (١٦٣٥م — ١٩١٧م) :

تأسست هذه المملكة على يد السلطان عبد الكريم بن جامع (وهو من أب سوداني من بلدة شندي شمال الخرطوم)[4] ، وقد وفد عبد الكريم إلى منطقة ودّاي[5] وصاهر أهل

---

[1] راجع التونسي "رحلة إلى وداي " مخطوطة بالمعهد الوطني للعلوم الإنسانية– جامعة تشاد ص١٤٦ والصفحات التالية.

[2] وزارة التربية الوطنية – تاريخ تشاد ص١٩ .

[3] المرجع السابق ص٢٠ ، كما راجع د. عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في أفريقيا ص٧٢ .

[4] محمد شاكر – تشاد ، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا .

[5] يذهب البعض إلى أن ودّاي اكتسبت هذا الاسم من جد السلطان عبد الكريم بن جامع واسمه وداعة وحرفت وداعه إلى "وداي" ، الشاطر بصيلي المرجع السابق ص٤٢٥ ، د. محمد صالح أيوب – الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي – اطروحة دكتوراه جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٦م .

المنطقة وصار مسموع الكلمة عندهم وأصبح سلطاناً على المنطقة في عام ١٦٣٥م وكانت تتبع لسلطان دارفور حتى استقلت نهائياً في أواخر القرن الحادي عشر الهجري حيث كانت تدفع الجزية السنوية حتى رفض سلطان وداي يعقوب عروس دفعها وقامت معارك بين الطرفين أدت إلى انفصال وداي عن سلطنة دارفور نهائياً كما ورد سابقاً .

تعاقب أبناء السلطان عبد الكريم على حكم المنطقة حتى دخول الفرنسيين عام ١٩١٧م . وتذهب بعض الروايات إلى أن عبد الكريم وأسرته قدموا من إفريقيا الوسطى وضعّف هذه الرواية الرحالة ناختيغال وأشار إلى أن " جامع أو أبوه من أفراد عائلته قدموا من الشرق بالرغم من ادعاءات بعض الباحثين الخاطئة ، ليس لأسرة جامع أي رابط يربطها بالقمر المتحدرين من إفريقيا الوسطى، إنما ينتسبون إلى الجعليين في شندي في وادي النيل شمال الخرطوم الذين ينتسبون إلى صالح بن عبد الله بن عباس وبالتالي يقولون إنهم عباسيون شأن أهل شندي وأم حراز وعرفه والمسلمية ومدينة سنار الذين كادوا ينعتون اليوم بالعباسيين "[1].

هذه الأسرة النازحة من وادي النيل هي التي أسست حكم مملكة ودّاي واكتسب أهلها عدة أسماء مثل ودّاي وبرقو وصليحاب وهذه التسمية الأخيرة نسبة لصالح بن عبد الله بن عباس ويشير الشاطر بصيلي إلى أن أهل هذه الأسرة من شندي ولكن باختلاف بسيط حيث يقول " وجاءت قبيلة في عدد كبير من أهلها وهي قبيلة قمر التي كانت تسكن في شندي في السودان وكان زعيمها وداعة بن يامي وكانت تدين بالإسلام ولا يعلم تاريخ هجرتها والطريق الذي اتبعته في ترحالها نحو الغرب فإنها على كل حال رحلت إلى منطقة ما باو وانتزعت الحكم من التنجور وكان ذلك في عام ١٠٢٠هـ "[2] هذه الأسرة قبل دخولها دار ودّاي " كانوا قد قضوا بعض الزمن في المنطقة المعروفة اليوم باسم دارفور واستوطنوا أولاً شرقي كوبي في جبال وودا وبعد ذلك في كبكابية في جبل برقو"[3].

عندما ولى عبد الكريم السلطة في ودّاي " صاهر زعماء قبائل المجاميد والماهرية والنواية والعريقات وبني هلبه وهكذا أمّن لذاته أتباعاً كثراً بين الأعراب "[4].

توارث أحفاد السلطان عبد الكريم السلطنة بعد وفاته سنة ١٦٥٥م حيث ولي السلطة بعده ابنه جاروت الذي حكم بين عامي ١٦٥٥م و١٦٧٨م وعلى يده توطّد حكم ودّاي وخلفه ابنه خريف الذي لم يدم حكمه أكثر من ثلاث سنوات حيث قتل عام ١٦٨١م وخلفه

---

[1] غوستاف ناختيغال مرجع سابق ص٣ .

[2] الشاطر بصيلي – المرجع السابق ص٤٢٥ .

[3] ناختيغال المصدر السابق ص٣ .

[4] ناختيغال نفس المصدر السابق ص٤ .

أخوه الأصغر يعقوب عروس الذي حكم من ١٦٨١م وحتى ١٧٠٧م وهو الذي تمرّد على سلطة دارفور وأوقف دفع الجزية وحارب السلطان أحمد بكر سلطان الفور ثم خلف يعقوب عروس ابنه حاروت الصغير والذي حكم أربعين سنة من عام ١٧٠٧م وحتى ١٧٤٧م وتميزّ حكمه بالأمن والازدهار ثم خلفه ابنه جودة والذي دام حكمه من ١٧٤٧م إلى ١٧٩٥م (حوالي ثمان وأربعين سنة) ثم خلفه ابنه صالح درد والذي اتسم حكمه بالضعف واستمر من ١٧٩٥م وحتى ١٨٠٣م ثم خلفه ابنه عبد الكريم صابون من ١٨٠٣ إلى ١٨١٣م وخلال فترة حكمه توسع ملكه واتسم بالحرص على تطبيق أحكام الشريعة، فقد بلغه استهتار ملك باغرمي عبد الرحمن قوران بالشريعة فقام لمحاربته وهزمه واستولى على عاصمته (ماسينا) كما هاجم صابون دار تامة وأخضعها لسلطانه ، ثم خلفه ابنه محمد بوساطه والذي لم يدم حكمه سوي شهرين حيث توفي بسبب المرض وكان ما يزال صغيراً ، فخلفه أخوه يوسف خريفين ولصغر سنه فقد قام أخواله بإدارة دفة الحكم واستمر حكم خريفين من سنة ١٨١٣م وحتى ١٨٢٩م حيث مات مسموماً وخلفه ابنه راكب من ١٨٢٩م إلى ١٨٣٠م حيث ازاحه بعد سنة واحدة عمه السلطان عبد العزيز والذي استمر حكمه من ١٨٣٠م إلى ١٨٣٤م ، وخلفه ابنه آدم ولما كان آدم هذا لم يتجاوز السابعة من عمره فقد كلف أحد القادة "الكمكولك أبوأمي" عم السلطان عبد العزيز بأن يكون وصياً على العرش ، وشهدت هذه الفترة الحرب التي دارت بين دار ودّاي ودار فور وخلع فيها سلطان دارفور محمد الفضل السلطان آدم سلطان ودّاي وأقام مقامه محمد شريف حاكماً باسم سلاطين دارفور ملتزماً بدفع الجزية وتقديم فروض الولاء والطاعة ، واستمر حكم محمد شريف من ١٨٣٥م وحتى ١٨٥٨م وتميزّ عهده باللين مع الرعية والعدل وهو الذي جرّد حملةً لتأديب سلطان دار تامة محمد النور الذي هُزم واحتمى بدارفور ، كما جرّد السلطان محمد شريف حملةً على مملكة برنو واستطاع هزيمة سلطانها الشيخ في معركة قرب مدينة كُسري[1] . والسلطان محمد شريف هو الذي اتخذ من مدينة (أبشه) عاصمة لودّاي بعد أن ظلت مدينة (وارا)[2] هي العاصمة طوال هذه المدة منذ قيام المملكة عام ١٦٣٥م.

وقعت اضطرابات بسبب كثرة الحروب التي دخلها السلطان محمد شريف وانتهز ابنه الأكبر محمد فرصة انتقال والده بالعاصمة إلى ابشة من وارا فأعلن الاستيلاء على السلطة في وارا ولكن والده استطاع هزيمته والاحتفاظ بالعرش واحتمى الابن الفار بدار

---

[1] مدينة كُسري تقع حالياً داخل حدود جمهورية الكميرون في مواجهة انجمينا عاصمة تشاد.

[2] " وارا " تحريف للكلمة العربية " وعرة " حيث نشأت المدينة في منطقة وعرة بشرق تشاد وكان قد أسسها السلطان عبد الكريم بن جامع عام ١٦٣٥م . ويذهب د. عبدالله أبونضيفة إلى أن هذا التحليل غير صحيح حيث أن الكلمة لها أصل في لغة المبا وليس تحريفاً للكلمة العربية وصحتها " وار " دون ألف أو تاء مربوطة .

تامة وسلطانها إبراهيم ولكن محمد شريف جرّد حملة ضد دار تامة مُني فيها بهزيمة عاد بعدها أدراجه إلى ودّاي والتجأ ابنه الفار بعد ذلك إلى دارفور ولكنه عاد لمساعدة أبيه في تمرّد قاده ضده السلطان آدم بن السلطان عبد العزيز الذي كان قد نحّاه سلاطين دارفور لصالح محمد شريف عام ١٨٣٥م ، بعد محمد شريف خلفه ابنه علي والذي حكم من ١٨٥٨م وحتى ١٨٧٤م حيث خلفه شقيقه السلطان يوسف والذي استمر حكمه حتى عام ١٨٩٩م عام دخول الإنجليز إلى السودان ، ثم خلفه السلطان إبراهيم بركة من ١٨٩٩م إلى ١٩٠١م حيث خلفه السلطان أحمد غزالي والذي لم يدم حكمه سوي سنة واحدة من ١٩٠١م إلى ١٩٠٢م وخلفه السلطان محمد صالح (دود مرة) ١٩٠٢م – ١٩٠٩م وفي أثناء حكمه دخل الفرنسيون دار ودّاي وقاومهم ثم خلفه السلطان آدم أصيل وهو آخر سلاطين ودّاي .

العلاقات بين دارفور ودار ودّاي :

سبقت مملكة دارفور مملكة ودّاي في الوجود وعندما تأسست ودّاي سنة ١٦٣٥م نشأت علاقة حسنه بين المملكتين وصوّر هذه العلاقة محمد بن عمر التونسي في مخطوطة (رحلة إلى ودّاي)[1] حيث يقول : "ذكر ما وقع بين الودّاي والفور من العهد وما وقع من نقض والحروب والهدنة : حكى لي الحاج نصر المنّاوي (نسبة إلى جبل أبو سنون) وكان من مسنيهم ناهز الثمانين أن السلطان سلون سلمان[2] جد سلطان الفور اجتمع مع السلطان صليح جد سلطان الودّاي في الخلاء الكائن بين الايالتين وتعاهدا أن لا يخون احدهما صاحبه وقاسا المسافة الكائنة بينهما وقسمّاها بالسوية واخذا مسامير كباراً من الحديد وضرباها في الاشجار العظيمة وجعلاها حدّاً حاجزاً بين المملكتين "[3] وذكر التونسي أنه قد رأى تلك الحدود بنفسه عندما مرّ بها في طريقه من دارفور إلى ودّاي وأشار إلى العهد بين دارفور وودّاي في احترام تلك الحدود و " حلف كل منهما لصاحبه أن لا يتجاوز هذا الحد بخيانة وقرءا الفاتحة أن كل من تجاوزه قاصداً ضرر صاحبه لا نصره الله عليه"[4].

---

[1] رحلة إلى وداي مخطوطة منسوبة لمحمد بن عمر التونسي توجد نسخة منها بجامعة الرياض بالسعودية ونسخة مصورة منها بالمعهد الوطني للعلوم الإنسانية – جامعة تشاد وهي التي اعتمد عليها الباحث وتوجد صورة منها الآن بمكتبة بجامعة أفريقيا العالمية . ويقوم بتحقيق المخطوطة د. محمد صالح أيوب عميد كلية اللغة العربية بجامعة الملك فيصل بتشاد بمشاركة من الباحث .

[2] يقصد السلطان سليمان سولونج وهذا على اعتبار الخطأ الشائع أن سولونج هو سليمان الثاني لأنه لو كان سليمان الأول لكان الخطأ جسيماً لأن سليمان الأول لم يشهد نشأة دولة وداي ، أما سلطان وداي الذي عاصر سليمان الثاني فهو السلطان عروس والسلطان جاروت الصغير .

[3] محمد بن عمر مخطوطة " رحلة إلى وداي " ص١٢٥ .

[4] التونسي المرجع السابق ، نفس الصفحة .

لم يكن مفهوم الحدود بين دارفور ووداي هو نفس مفهوم الحدود الآن الـــذي يمنـــع انتقال السلع والخدمات والأفراد ، ولكن مفهوم الحدود بينهما كان يعني حـــدود السـلطة وصلاحيات كل سلطان على رعاياه وهو أقرب إلي مفهوم تقسيم الولايات والمحافظـــات منه إلي تقسيم الدول بدليل أن وداي ظلت تدفع لخزينة دارفـور العامـة حتـى حدثـت الخلافات بينهما على النحو الذي بيناه آنفاً .

الفصل الثاني

المجموعات السكانية التي تقطن بلاد السودان وتشاد

تمهـــــــــيد .

المبحث الأول : المجموعة العـــــربية .

المبحث الثاني: المجموعة المستعــربة .

المبحث الثالث: المجموعة غير العربية .

تمهيد :

توجد في منطقة السودان وتشاد أعداد كبيرة من القبائل والأعراق ولأغراض البحث يمكن تقسيم المجموعات السكانية في المنطقة إلى ثلاث مجموعات كبيرة ينضوي تحت كل مجموعة كبيرة عدد من القبائل وتشترك كل مجموعة في خصائص عامة وهذه المجموعات هي :

١/ المجموعة العربية .

٢/ المجموعة المستعربة .

٣/ المجموعة غير العربية.

المبحث الأول : المجموعة العربية :

وتشمل القبائل ذات الأصول العربية ولكنها اختلطت بالمجموعات الأخرى ومع هذا الاختلاط ظل يغلب عليها العنصر العربي وتحتفظ بأنسابها العربية وكثير من الملامح والسحنة العربية كما أنها ظلت تحافظ على لسانها العربي وتقاليدها العربية ودينها الإسلام.

صلة العرب ببلاد السودان وتشاد قديمة فقد نزحت إلى المنطقة قبائل عربية كثيرة من شمال الجزيرة العربية (عدنانيون) ومن جنوبها (جهينيه) كما وفدت للمنطقة قبائل عربية قطنت أولاً الأندلس والمغرب العربي ونزحت لاحقاً إلى بلاد السودان وتشاد .

وإذا أخذنا بعض الأنساب التي ادعتها القبائل السودانية والتشادية فإن معظم قبائل المنطقة يمكن إرجاعها للأصل العربي ولكن التزاماً بما سبق من تعريف بهذه المجموعة فإننا نشير إلى القبائل التي تنطبق عليها هذه المواصفات العامة وهذه القبائل هي :

أ/ القبائل العربية السودانية :

المجموعات التي دخلت السودان من القبائل العربية واستقرت به ولم تغادره لغيره من البلاد وظلت دورها (جمع دار) بالسودان هي :

الجعليون ، البديرية ، الشايقية ، الجموعية ، البطاحين ، الشكرية، المناصير، الرباطاب ، الميرفاب ، رفاعة ، المسلمية ، العركيون ، الكواهلة ، الهواوير ، الكبابيش، دار حامد وبني جرّار وليس لهذه القبائل امتدادات قبلية في تشاد ولكن هناك أفراد من هذه القبائل هاجروا إلى تشاد وربما كوّن بعضهم أسراً كبيرة أو حتى ممالك ، مثلما ورد من إشارة إلى عبد الكريم بن جامع مؤسس دولة وداي وهو ممن يمتد نسبهم إلى قبيلة الجعليين ومنهم الزبير رحمة ورابح فضل الله اللذان أسسا مملكة امتدت من جنوب غرب

السودان وحتى حدود بحيرة تشاد وأصلهما من حلفاية الملوك ، هذا فضلاً عن أسرة الشيخ عليش عووضة ونشاطها الدعوي والتعليمي في غرب تشاد والشيخ عووضة من منطقة الجزيرة بوسط السودان .

ب/ القبائل العربية التشادية :

تعتبر قبائل الشوا من القبائل العربية المقيمة في الجانب الغربي لتشاد وهي من القبائل المشتركة مع نيجيريا وهي قبائل مازالت تحافظ على تقاليدها وسحنتها العربية وكذلك لسانها العربي ويذهب أحمد حامد شوقار إلى أن الشوا ينتمون لقبيلة التنجر وهي قبيلة سودانية من أصول عربية ويزعم شوقار " لعل شوا هم الذين نسبوا لتشاد ومثلهم تنجر شأونا الذين يسكنون في منطقة عين فرح شمال غرب مدينة كتم"[1] وشاو المقصود هو أحد أبرز سلاطين التنجر وهو السلطان شاو بن السلطان رفاعة بن السلطان بت بن السلطان هلال بن السلطان جرجول ابن السلطان إسحق بن السلطان سريح بن السلطان بطنان بن السلطان عبيد بن السلطان أحمد الرضى بن السلطان عبيد بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب الهاشمي "[2] ، ورغم هذه الصلة إلا أن قبيلة الشوا أصبحت منقطعة داخل تشاد ولا علاقة لها بالقبائل العربية في السودان لذلك أوردناها كقبيلة عربية تشادية خالصة . كما توجد قبائل عربية مشتركة بين تشاد وليبيا وهي مجموعة العشائر التي هاجرت إلى تشاد حديثاً في القرنين التاسع عشر والعشرين أمثال أولاد سليمان والقذاذفة ورفلة والجبابر والسبايع والشفاترة[3] وليست لهم أصول أو فروع في السودان .

ج/ القبائل العربية المشتركة بين السودان وتشاد:

هناك عدد كبير من القبائل المشتركة بين تشاد والسودان وهي قبائل هاجر معظمها من شمال إفريقيا إلى منطقة تشاد والسودان حيث توزعوا فيها وأصبحت مجموعات منهم تقيم في البلدين لا يلقون بالا للحدود السياسية التي تفصل طرفي القبيلة الواحدة في البلدين الجارين ، وهذه القبائل هي :

المسيرية والماهرية ، والزيادية والمعاليا والرزيقات والتعايشة وبني هلبة والهبانية وأولاد أحميد وخزام والسلامات وتقطن هذه القبائل أساساً في منطقة الحدود المشتركة بين السودان وتشاد وأن توغل بعضها في وسط السودان كالهبانية والمسيرية .

---

[1] أحمد حامد شوقار – أضواء على تاريخ التنجر – مطبعة الحرية أم درمان سنة ١٩٩٧م ، ص١٧ .

[2] شوقار المرجع السابق ص٩ .

[3] سعيد عبد الرحمن الخندري – تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي وحتى نهاية حكم تمبالباي . مجلة الثقافة العربية العدد (٦) السنة ١٦ ص٢٦ .

وتشمل القبائل التي وقع فيها اختلاط بين العرب وغيرهم وغلبت على سحنتها السحنة الزنجية مع رسوخ قدمها في الإسلام والثقافة العربية وإن بقي لسانها مخلوطاً بعجمة وأن بقيت للغاتها المحلية بعض السيادة وتنتمي هذه القبائل في الغالب لأولاد كوش بن حام ووقع اختلاطها بالعرب في فترات مختلفة .

القبائل المستعربة السودانية :

وتشمل الفور والنوبة والبجة وهذه لا توجد لها فروع في تشاد وإن كان للفور بعض اختلاط منذ سلطنتهم التي استمرت من ١٤٤٥م حتى ١٩١٦م ولكن لا توجد أعداد مقدرة منهم تشكل فرعاً لقبيلة الفور في تشاد .

القبائل المستعربة التشادية :

وتشمل قبائل الوداي والتي هاجرت مجموعات مقدّرة منهم إلى السودان بعد الغزو الفرنسي لتشاد وسقوط مملكة وداي سنة ١٩٠٠م إلا أنها الآن لا تعتبر من القبائل السودانية وتشمل أيضاً قبائل القرعان والكانمبو والكنكو وهذه أيضاً وفدت منها هجرات إلى السودان لم تشكّل حتى الآن مجموعات تعد كقبيلة مستقلة في أرض السودان ولها دار معروفة .

القبائل المستعربة المشتركة بين السودان وتشاد :

وتشمل قبائل الزغاوة والمساليت والداجو والقمر والبرقو والميمة والمراريت والكبقة والميدوب والبديات والفولاني والهوسا .

وتكاد تكون القبائل المشتركة بين السودان وتشاد من هذه المجموعة نموذجاً في عدم الاعتراف بالحدود السياسية المصطنعة بين البلدين ، ففي كثير من هذه القبائل تكون القيادة القبلية موحدّة لأطراف القبيلة في البلدين ، يتضح ذلك جلياً في مثال المساليت والزغاوة والقمر، فحركة التزاور بين الأهالي لا تلقي بالاً لإجراءات الهجرة بين البلدين حيث ينتقل أفراد قبيلة المساليت مثلاً بين الجنينة في السودان وادري[1] في تشاد على الأرجل وعلى ظهور الدواب ، والرئيس التشادي إدريس دبي هو من أبناء الزغاوة تلقى تعليمه الأولي مع أهله الزغاوة في قرية كرنوى بدار الزغاوة في دارفور وهي تبعد مسافة سير بالقدم من قريته داخل تشاد ، وأقوى الأدلة على هذا المتنقل الحر بين البلدين

---

[1] زرنا الجنينه ونزلنا ضيوفاً على السلطان بحر الدين سلطان دار مساليت وبالغ في إكرامنا وخدمنا بنفسه ، وعندما ذهبنا لزيارة مدينة ادري في تشاد رافقنا السلطان وقام أيضاً بالإشراف على ضيافتنا داخل الحدود التشادية فقلنا له أنت ونحن ضيوف في هذه البلاد ويكفي ما قمت به تجاهنا في المدينة فقال " لا دي برضو بلدي وتحت مسئوليتي ".

عبر الحدود نجده في وجود نفس الأسماء للمدن والمناطق في البلدين ، فنجد مثلاً الطينة وأم حجر والبطحاء وغيرها من الأسماء المشتركة التي تعني أن سكاناً ارتحلوا من هنا إلى هناك ونقلوا معهم اسم منطقتهم بعد أن انتقلوا بأنفسهم .

المبحث الثالث : المجموعة غير العربية :

وتشمل القبائل ذات الأصول الزنجية الخالصة التي لم تختلط بأجناس أخرى وظلت تحافظ على تقاليدها الخاصة وسحنتها وديانتها والقبائل التي دخلها الإسلام منها لا يزال أثره فيها ضعيفاً . والعجيب في الأمر أنه لا توجد قبائل مشتركة بين السودان وتشاد من هذه المجموعة ولكن توجد في كلا البلدين قبائل زنجية مثل قبائل الدينكا والنوير والشلك والاتوكا والاشولي والفراتيت وغيرها في جنوب السودان والبرون والقمز والانقسنا في جنوب شرق السودان أما في تشاد فنجد قبائل السارا والتي تقطن جنوب تشاد وتشكل مجموعة من القبائل هي (السارا وميوم ولاكا ومواندانغ وتوبوري وماسا والرونقا والماربا والموندان وغيرها) أما في وسط تشاد فنجد قبائل (الحجار وتضم الكينغا والدنقليات والجنخور والكربو) . ويوجد اعتقاداً لدى بعض الباحثين بأن صلةً ما تجمع قبائل الحجار في تشاد بقبائل النوبة في الوسط .

الفصل الثالث

الخصائص المشتركة بين الشعبين السوداني والتشادي

تمهـــــــيد .

المبحث الأول : الخصـــــــائص الـــديـــنية .

المبحث الثاني: الخصائص اللغوية و الثقافية .

المبحث الثالث: الخصـــائص الاجتمـــاعـــية .

تمهيد :

مما سبق ذكره يتضح مدى التداخل الذي وقع بين سكان تشاد والسودان وشهدنا تداخل الممالك واختلاط القبائل وامتزاجها ، كل ذلك ساعد على وجود خصائص مشتركة ونقصد بالخصائص المشتركة التماثل الديني والثقافي والاجتماعي ونشاط الأفراد المباشر أو عبر مؤسساتهم الشعبية وما ينشأ عن ذلك من تفاعلات جانبية كنشاط البعثات الدراسية والمؤسسات التعليمية والرياضية والفنية والتداخل الاجتماعي والمصاهرة والمخالطة وإفرازات ذلك من لغة مشتركة وتقاليد متشابهة ونظم حياة متقاربة . وسنعرض للموضوع من حيث تشابه البلدين في الخصائص الدينية واللغوية والاجتماعية .

المبحث الأول : الخصائص الدينية :

شهدت منطقة السودان وتشاد قبل الإسلام انتشار الديانات الإفريقية المحلية وسادت هذه الديانات في المنطقة الواقعة في غرب وجنوب السودان وامتدت حتى مناطق تشاد الحالية . أما شمال ووسط السودان فقد وقع تحت تأثير النصرانيّة التي كان أقوى مراكزها في إفريقيا مصر وأثيوبيا ولم يمتد هذا الأثر إلى غرب السودان ولا إلى جنوبه إلا بعد دخول الاستعمار الإنجليزي كما لم تتأثر مناطق تشاد بهذا الأثر النصراني إلا بعد دخول الاستعمار الفرنسي لتشاد :

أما دخول الإسلام إلى المنطقة فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن انتشاره بدأ في منطقة كانم – برنو منذ القرن السابع الميلادي[١] ، الأول الهجري وهو نفس الوقت الذي بدأ فيه انتشار الإسلام في السودان وتذهب بعض الآراء إلى أن أرض الحبشة التي كانت إليها هجرة الصحابة هي بلاد السودان وليست أثيوبيا الحالية[٢] . بل ذهبت بعض الروايات إلى أن صلة العرب بالمنطقة كانت قبل الإسلام وقد أورد غوستاف ناختغال في كتابه (تاريخ وداي) " أن التنجور كانوا القبيلة المسيطرة في منطقة كانم – برنو وأن تاريخ هجرتهم من الشرق (السودان) لا يزال غامضاً إلا أن المرجح أن سلطانهم لم يبدأ إلا حوالي قرن قبل دخول الإسلام" ويضيف "هؤلاء التنجور الذين سيؤتي على ذكرهم فيما بعد في إطار تاريخ دارفور هم ذوو بشرة فاتحة اللون يتكلمون العربية حتى يحسبون في وداي وبرنو عرباً اقحاحاً "[٣] .

---

[١] الشاطر بصيلي – تاريخ حضارات السودان الشرق والأوسط ، ص٤١٢، محمد صالح أيوب : مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية – منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية – سبها – ١٩٩٢م، ص٢١.

[٢] قال هذا الرأي بروفيسور عبد الله الطيب وبروفيسور حسن الفاتح قريب الله وآخرون .

[٣] غوستاف ناختيغال – تاريخ وداي – ترجمة هنري كودري وناديا كركي ص٣ .

من أهم مظاهر دخول الإسلام إلى هذه المنطقة أنه دخل دخولاً سلمياً ورغم أن المصادر أشارت إلى أن أول اتصال معلوم بين المجتمع التشادي والإسلام تم في القرن السابع الميلادي وبالتحديد عام (٦٦٦-٦٦٧م) عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كوراتسي التابعة لمنطقة كانم ومن هناك انسابت الثقافة العربية مع الانتشار الطبيعي للإسلام نحو بحيرة تشاد[1] إلا أنها لم تشر إلى دخول مسلح للإسلام في المنطقة . وهذا ما حدث بالنسبة للسودان أيضاً إذ فتح المسلمون مصر عام ٢٠هـ/٦٣٩م وبعد عامين توجهوا لفتح بلاد النوبة بقيادة نفس القائد الذى وصل إلى جبال كوراتسي في تشاد وهو عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٤١م وانتهت المعركة بين العرب والنوبة باتفاقية البقط التي أمنّت الدخول السلمي للإسلام في بلاد النوبة وأوقفت أي محاولة للفتح العسكري لبلاد النوبة .

نلاحظ أن عقبة بن نافع وصل تخوم بلاد السودان الحالية سنة ٦٤١م كما وصل تخوم بلاد تشاد الحالية عام ٦٦٦م أي بفارق زمني يصل إلى حوالي عشرين عاماً فقط ، وهي مدة بحساب أعمار الشعوب تعتبر مدة قصيرة جداً ، لكن ظل هذا الدخول المبكر قليل التأثير على الأوضاع الدينية للمنطقة لبعدها عن مركز العالم الإسلامي في الجزيرة العربية والشام ، كما أنها لم تصبح من أمصار العالم الإسلامي ، وظل التداخل الطبيعي والسلمي بين المسلمين والسكان الأصليين يتفاعل عبر قرون طويلة ولم تظهر الدويلات الإسلامية في المنطقة إلا في عصور متأخرة[2] على النحو التالي :

١/ أذعنت مملكة كانم الوثنية للإسلام ودخلت فيه في القرن الحادي عشر الميلادي سنة ١٠٨٥م .

٢/ تحول الحكم في مملكة دارفور التي نشأت وثنية واختلطت بالعرب من أسرة أحمد المعقور في القرن الخامس عشر الميلادي سنة ١٤٤٥م .

٣/ أما دولة سنار فقد نشأت كدولة إسلامية في أعقاب سقوط دويلات النصرانية الثلاث في علوة والمقرة والنوبة وذلك في مطلع القرن السادس عشر سنة ١٥٠٥م.

٤/ أما دولة باغرمي فتأسست كدولة إسلامية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي سنة ١٥٦١م .

---

[1] الشاطر بصيلي المرجع السابق ص٤١٢ ، محمد صالح أيوب: مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر ، دراسات أفريقية العدد ١٤ يناير ١٩٩٦م .

[2] يشير لهذا المعنى رولاند اوليفر وجون فيج في كتابهما (موجز تاريخ إفريقيا) حيث يقولان " إن أعظم الأعمال التي حققها الإسلام في إفريقيا لم يتم إلا بعد انحلال الإمبراطورية العربية ، فقد كان العرب يرون في قدرة الشعوب الإفريقية على التطور ما يحقق أغراضهم الخاصة بنشر أفكارهم الجديدة في هذا الجزء المتسع من العالم " ص٨٧ .

٥/ ومملكة ودّاي أسستها أسرة مسلمة هاجرت من السودان في الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي سنة ١٦٣٥م .

والتفاعل الذي تمّ في هذه الدول بين السكان المحليين والوافدين المسلمين كان تفاعلاً سلمياً وطبيعياً نشأ على أساس المصاهرة والتحالف والعلاقات الاجتماعية . فمثلاً انتقل الحكم في دويلات النوبة المسيحية إلى أبناء العرب الذين صاهروا النوبة نسبة للنظام المعمول به من توريث ابن البنت وحدث مثل ذلك بالنسبة لأسرة أحمد المعقور الذي صاهر الملك شاو دور شيت ملك دارفور وانتقل الملك إلى أبناء أحمد المعقور واستمر حتى سنة ١٩١٦م .

أما التنجور الذين سبقوا الفور في الحكم في المنطقة فيذهب ناختيغال إلى أن "الحكم قد آل إلى التنجور وهم من التجار العرب نسبة لثقة الداجو فيهم فسلموهم الحكم بلا قتال[1] "ولا يخلو الأسلوب الذي انتشر به الإسلام في دار وداي من نفس الصفات السلمية لانتشاره في إفريقيا"[2].

من السمات المشتركة التي تجمع بين أهل هذه المنطقة البداوة وعدم الاهتمام بالمظهر . ويبدو ذلك جلياً في الآثار التاريخية التي تركتها هذه الممالك وتركها السكان عموماً فهي تخلو من مظاهر الحياة المادية التي تذخر بها الآثار الإسلامية في العراق والشام ومصر والأندلس والمغرب وغيرها من حواضر العالم الإسلامي ، ذلك رغم أن هذه الممالك لم تكن على درجة عالية من الفقر وتذكر الروايات التاريخية ما كانت تذخر به هذه الممالك من ثروة مكنّتها من تجهيز كسوة الكعبة وتأسيس الرواويق في معاهد العلم الكبرى . فقد شارك الماي عبد الجليل سنة ١١٩٣/١٢٢١م من ملوك كانم في كسوة الكعبة وكذلك السلطان علي دينار شارك في كسوة الكعبة وأرسل المحمل في موسم الحج وأوقف الأوقاف في الحجّاز لصالح الحجاج ، وأسس حكام سنار رواق السنارية وأسس حكام الفور رواق دارفور وحكام ودّاي أسسوا رواق ودّاي كل ذلك في الأزهر ، وغيره ، لكنهم لم يصرفوا على الدور والأبنية، ربما يكون ذلك لطغيان روح التصوف على الحكّام في المنطقة حيث سادت الطرق الصوفية كالقادرية والأحمدية والتجانية وغيرها ومنهج التصوف في الزهد واضح ومعلوم ، ومعظم حكام الممالك الإسلامية في السودان وتشاد كانوا أما مقدّمين في هذه الطرق أو أتباعاً خلّصاً لائمة هذه الطرق .

---

[1] أنظر نعوم شقير – تاريخ جغرافية السودان ص٤٨ . وأنظر أحمد شوقار – أضواء على تاريخ التنجور ص٣ .

[2] يشير إلى هذا المعنى الشاطر بصيلي بقوله " وقد تميز دخول العرب إلى الأقاليم الإفريقية المتعددة المستويات الحضارية بقيامه على أسس تتمشى مع أسمى واجبات السلوك الإنساني وكانوا في ذلك صورة متناقضة كما جاءت به المدنية الغربية " ص٣٠ . كما راجع د. محمد صالح أيوب – المصدر السابق ص٢١ .

فالشيخ عجيب المانجلك وهو وزير في حكومة سنار ارتبط بعدد من ملوكها (عمارة أبو سكاكين ودكين ودنايل والملك دورة والملك طمبل والملك أونسه والملك عبد القادر والملك عدلان) كان يُعدّ رجلَ علمٍ أكثر منه رجل دولة ، والده هو السيد/ عبد الله جماع الذي قاد تحالف العرب لتأسيس دولة سنار بتحالف مع الفونج وأمه هي بنت الشريف حمد أبو دنانة مؤسس الطريقة الشاذلية في السودان وخاله الشيخ إدريس ودّ الأرباب المشهور في السودان بالصلاح والتقوى[1] هذه البيئة التي نشأ فيها هؤلاء الحكام جعلت اهتمامهم بالدنيا وزخرفها ضعيفاً ، وكان ذلك شأن حكّام كل ممالك السودان وتشاد .

من المظاهر الدينية المشتركة في بلاد السودان وتشاد سيادة المذهب المالكي فهو مذهب يكاد يكون مسيطراً تماماً عدا مناطق قليلة في شمال السودان انتشر فيها مذهب الشافعي في حقبة تاريخية معينة ، وتكاد تكون مدونات الفقه المالكي (المدونة والمختصر وابن عاشر وغيرها) هي الكتب المعتمدة في الأساس للتدريس والفتوى في كل المؤسسات العلمية و يشترك البلدان في انتشار حفظ وقراءة القرآن الكريم على روايتي الدوري عن أبي عمرو بن العلاء وورش عن نافع وتكاد الساحة في البلدين تكون خالية من أي رواية أخرى قبل ورود المصاحف المطبوعة برواية حفص عن عاصم وقد يكون تأثير ذلك بسبب هجرات العديد من العلماء من شمال إفريقيا (شنقيط) والأندلس حيث ساد وتطور الفقه المالكي ، بل إن اقوى علاقة دينية بين البلدين هو ما ظهر من انتصار للشريعة في بعض الحالات التي اقتضت تحركاً في هذا الاتجاه أو ذاك ، فقد هاجم حكام كانم دارفور في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي واتجهوا نحو النيل لإسقاط مملكة دنقلا المسيحية[2] كما هاجم الملك صابون ملك ودّاي السلطان عبد الرحمن قوران سلطان باغرمي متهماً إياه بتعطيل الشريعة[3] أما أشد النصرة فقد كانت من السودان لمسلمي تشاد بعد سيطرة الفرنسيين على مملكة ودّاي وقتل أكثر من أربعمائة عالم في معركة الكبكب الشهيرة التي قادها القائد الفرنسي الكابتن (دكورلي)

---

[1] انظر حسن مكي – الثقافة السنارية – إصدارات مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا العالمية ١٩٩٠م ، ص٣٩.

[2] راجع ما ورد في هذا البحث في الفصل الأول حول مملكة كانم .

[3] اوردالتونسي في كتابه (رحلة إلى وداي) " أنه في أيام حكم السلطان عبد الرحمن قوران لباغرمي ظهر انحراف في الناحية الإسلامية فزاد استبداد السلطان واستهتاره بتعاليم الإسلام حتى أنه أصبح يحلل الحرام ويرتكب المنكرات رغم تحسي علمائه له وكانت أهم انحرافاته التي تذكرها المصادر زواجه من أخته فقام السلطان صابون سلطان ودّاي بالهجوم عليه وتأديبه " . راجع محمد صالح أيوب – مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية – مركز البحوث والدراسات الإفريقية – سبها سنة ١٩٩٢م . كما راجع التونسي " رحلة إلى وداي " مخطوطة ، ص١٤٦ .

مما دفع بأعداد كبيرة للهجرة من ودّاي إلى السودان بغرض النصرة وشكلت هذه المجموعة قبائل البرقو أو الصليحاب المقيمة الآن في أنحاء متفرقة من السودان. وأعقبت ذلك نصرة أخرى بعد سيطرة المسيحيين على مقاليد الحكم في تشاد بعد خروج الاستعمار الفرنسي. فقد شهدت نزوحاً آخر وانطلقت من أرض السودان حركة تحرير تشاد المعروفة – بـ (فرولينات)[1] وأصبح السودان مسرحاً لتحرك المجاهدين التشاديين ضد حكم النصارى في تشاد وبذلك أصبح السودان طرفاً أصيلاً في كل التقلبات السياسية التي حدثت في تشاد بعد ذلك على نحو ما سنرى لاحقاً .

المبحث الثاني : الخصائص اللغوية والثقافية :

تشكّل اللغة والثقافة عنصرين من العناصر المشتركة التي تجمع بين الشعبين السوداني والتشادي ، فقد ظلت اللغة العربية لغة للدولة والتخاطب والتجارة في كل من السودان وتشاد خلال فترة سيادة الممالك الإسلامية ، وهنالك عدد من المخطوطات الدالة على أن اللغة العربية كانت هي لغة الإدارة في تلك الممالك ويفيد ناختيغال في كتابه (تاريخ ودّاي) أنه أقام في عاصمة برنو وتعرف على بعض رجالها وعندما رغب في زيارة ودّاي أعطاه الشيخ عمر بن الشيخ محمد الأمين الكانمي رسالة باللغة العربية إلى سلطان ودّاي السلطان محمد علي بن السلطان محمد شريف مما يدل على أن اللغة العربية كانت معروفة في مملكتي كانم – برنو وودّاي ، كما عرض ناختيغال في نفس الكتاب صورة لخطاب باللغة العربية من السلطان محمد شريف سلطان ودّاي إلى الشيخ يونس شيخ المجابرة في جالو يشير فيه إلى ما تعرضّت له قوافل ودّاي لاعتداءات عرب الزوايا وأولاد سليمان بل إن الاتفاقية التي وقعّها السلطان آدم أصيل آخر سلاطين ودّاي مع الفرنسيين كانت مكتوبة باللغة العربية . هذا فضلاً عما هو معروف من ذيوع وانتشار اللغة العربية في مملكتي سنار ودارفور ، وفي مقال له عن مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر تتبّع د. محمد صالح أيوب هذه المكانة من خلال خمسة أبعاد اعتبرها مؤثرة في أوضاع اللغة في أي مجتمع[2]:

---

[1] فرولينات : اختصار للحروف الأولى من الترجمة الفرنسية لجبهة التحرير الوطني التشادي:
(FRONT LIBARTION NATIONALE – TCHAD (FROLINAT) ، وتنطق فرولينا حسب نظام النطق الفرنسي الذي يسقط التاء في مثل هذه الحالة .

[2] د. محمد صالح أيوب: مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر–دراسات إفريقية– العدد ١٤ سنة ١٩٩٦م ص١٢٣.

أ/ البعد التاريخي :

وقد أكدّ فيه تجزّر اللغة العربية في التاريخ التشادي مستشهداً في ذلك بإقرار الفرنسيين أنفسهم حيث أكّدوا أن أولّ اتصال معلوم بين المجتمع التشادي واللغة العربية تم في القرن السابع الميلادي وبالتحديد عام ٦٦٦م/٦٦٧م عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كوراتسي التابعة لمملكة كانم ويشير إلى أنه " بين أيدينا في الوقت الحاضر مخطوطات ووثائق كتبت باللغة العربية ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي " وقد تيسر للباحث الاطّلاع على هذه المخطوطات بالمعهد الوطني للعلوم الإنسانية بجامعة تشاد بصحبة الدكتور محمد صالح أيوب الأستاذ بالجامعة التشادية والدكتور زكريا فضل كتر مدير المعهد الوطني للعلوم الإنسانية ويبلغ عدد هذه المخطوطات مائة وسبع عشرة مخطوطة بين كتاب ورسالة وقصيدة أهمها مخطوطة كتاب محمد بن عمر التونسي (الرحلة إلى ودّاي) وللمعهد الوطني مشروع لجمع مزيد من الوثائق والمخطوطات[1] .

ب/ البعد الثقافي :

وأشار فيه إلى استخدام التشاديين للغة العربية لغه تعليم حيث أقام التشاديون المدارس والمعاهد العلمية كما أشار إلى شهادة الرحالّة الأوربيين الذين زاروا تشاد ووقفوا على تجربة تلك المدارس من أمثال بارث ودنهام وناختيغال وغيرهم وظلت هذه المدارس قائمة حتى دخول الاستعمار الفرنسي وكانت هذه المعاهد موصولة بالأزهر والقيروان والزيتونة وأم درمان ، ويروى قنصل السودان بأبشة السيد/ حسن عيسى حسن أنه شاهد بعينه في مسجد سلطان دار ودّاي العباسي العتيق والذي يتسع لحوالي (١٥٠٠) مصل عادة توزيع صحائف المصحف بعد الصلاة بنية ختم القرآن بعد كل صلاة وتوزع هذه الصحائف على جميع الحاضرين فلا تكاد تجد رجلاً واحداً يعتذر بعدم معرفة القراءة وهؤلاء تتراوح أعمارهم بين السابعة والسبعين"[2] .

ج/ البعد الاجتماعي :

ويشير فيه الدكتور أيوب إلى تغلغل اللغة العربية في أوساط المجتمع التشادي حيث أصبحت العربية الدارجة هي لغة التخاطب اليومي في الشارع والسوق والمدرسة وهي الأوسع انتشاراً من الفرنسية والإنجليزية . وقد وقف الباحث بنفسه خلال زياراته المتكررة لتشاد على صحة هذا الانتشار للغة العربية ، ومن الطرائف في ذلك أنني صحبت وفداً رسمياً لزيارة محافظة ودّاي بشرق تشاد ونُظّم للوفد لقاء شعبي مع سكان

---

[1] راجع الملاحق .

[2] حسن عيسى حسن – التقرير الختامي – القنصلية العامة للسودان بأبشة يونيو ١٩٩٥م .

مدينة أدري ، وخاطب اللقاء مسؤلون تشاديون أصرّوا على التحدث للمواطنين باللغة الفرنسية واحتاج المواطنون إلى مترجم لينقل لهم معاني كلام المسئولين التشاديين ، أمّا عندما خاطبهم أعضاء الوفد السوداني باللغة العربية الدارجة فلم يكونوا بحاجة إلى أي ترجمة، مّما يدل على سيادة اللغة العربية وضعف فهم المواطنين للغة الفرنسية ؟ والزائر لأسواق تشاد يدرك أهمية معرفة اللغة العربية لقضاء حاجته .

د/ البعد القانوني :

وفيه يشير د. أيوب إلى أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية الوحيدة في جميع الممالك التشادية ورغم دخول الاستعمار بعد ذلك إلا أنه لم يستطع إزالة أثر اللغة العربية في التعامل الرسمي وأضطّر للاعتراف بها والتعامل مع ما كان يصله من خطابات باللغة العربية وموجود في المتحف الوطني بانجمينا بعض نسخ من تلك الخطابات بالرقم٧٦٤ بتاريخ ١٩٢٥/٢/١٥م ورسالة أخرى بالرقم ١٩٢٨/٦٧٦م، بل اضطرت سلطات الاحتلال الفرنسي لإصدار مجلة باللغة العربية هي (كوكب تشاد) وذلك سنة ١٩٥٤م ، أمّا في ظل الحكم الوطني بعد الاستقلال ، فقد اضطرت الحكومات الوطنية للاعتراف باللغة العربية وأدخلتها في نظام التعليم الحكومي سنة ١٩٥٩م ، ويعتبر البعض أن هذا الاعتراف كان بسبب الضغط الذي أحدثه ثوّار فرولينات على السلطة لأن من أهم أسباب اندلاع ثورة فرولينات هو ضعف اهتمام الحكومة باللغة العربية ، وإزاء تلك الضغوط اضطرت الحكومات المتعاقبة أن تقنّن وضع اللغة العربية في نظمها القانونية والدستورية فقد ورد في دستور ١٩٨٩م الذي أصدره الرئيس هبري أن اللغة العربية والفرنسية هما لغتان رسميتان لتشاد كما نالت العربية وضعاً قانونياً في الميثاق الوطني لحكومة الإنقاذ الوطني برئاسة إدريس ديبي ، ثم ضمنّت في دستور البلاد الصادر في سنة ١٩٩٦م في المادة (٩) من الدستور والتي تنص على " أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية والقانون يحدد شروط تطّور وتنمية اللغات الوطنية " وصدر القرار الوزاري رقم (٢٧٦/ و ن و / أ ع/ ١٩٩٤م) والمتعلق بإدخال ازدواجية التعليم في النظام التربوي التشادي[١] .

و/ البعد السياسي :

وفيه يرى د. أيوب أن الاعتراف باللغة العربية يعتبر ضرورة للمؤسسات والأحزاب السياسية حتى تستطيع كسب ثقة المواطن التشادي ويعتبر اللغة العربية من أهم المكوّنات الاجتماعية والثقافية للمجتمع التشادي المعاصر وأن المساس بها يعتبر مساساً بأحد أركان الهوية التشادية .

---

[١] انظر الملاحق.

ولأنه في تشاد والسودان ، تشكّل العناصر غير العربية أو المستعربة جزءاً أصيلاً من التركيبة السكانية ، فكثيراً ما يُثار موضوع حق غير العرب في استخدام لغة غير اللغة العربية ، ولكن ينصرف الحديث دوماً لاستخدام لغة غير وطنية – الإنجليزية في جنوب السودان والفرنسية في جنوب تشاد – والحقيقة – أن هذه اللغات غير الوطنية هي لغات صفوة محدودة من المثقفين وبما أن هذه البيئات تتعدد فيها اللغات المحلية فإن لغة التخاطب الوحيدة المتاحة بين أفراد هذه المجتمعات هي اللغة العربية ، والظاهرة المنتشرة الآن في جنوب السودان وكذلك في جنوب تشاد هى انتشار لغة عربية دارجة بلكنة محلية ولكنها مفهومة مثل عربي جوبا في جنوب السودان ولغة دارجة مماثلة في جنوب تشاد وعلى ذكر الدارجة فإن تشابهاً قوياً جداً بين الدارجة السودانية والتشادية فيما عدا بعض المفردات التي دخلت على اللغتين من اللغات الأجنبية فالدراجة التشادية متأثرة ببعض المفردات الفرنسية والدارجة السودانية متأثرة بدرجة أقل ببعض المفردات الإنجليزية والتركية وغيرها . ففي تشاد يسمون السيارة (العربة) (وتير) وهو اشتقاق من اللفظة الفرنسية (Voiture) ويجمعونها " وتاير " ويسمون الباب (بورت) (Porte) والمفتاح " كليه " (Cley) وهي كلها فرنسية وقد قام الباحث بتسجيل بعض البرامج من الإذاعة التشادية باللغة الدارجة وهي مشابهة تماماً للدارجة المستخدمة في غرب السودان أو مجتمعات العمال الزراعيين في وسط السودان (الجزيرة) ، كما أن الباحث قد حصل على تسجيلات صوتية أجراها الأستاذ/ الباحث يوسف بريمة مع عدد من القيادات السياسية التشادية كلها جرت باللغة الدارجة السودانية . وتشتدّ المطالبة السياسية بإنفاذ مواد الدستور المتعلقة باللغة ، فقد ورد في خطاب المهندس يوسف بريمة أمام المؤتمر الوطني المستقل الذي عقد بانجمينا في يناير ١٩٩٣م ما نصه :

" لقد أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في الدستور والميثاق الوطني ولكن لا يكفي ، لابد للغة العربية أن تأخذ صفتها الشرعية ، وتدخل مكاتب ودواوين الحكومة وأجهزة الإعلام الرسمية وعليه فنحن نطالب بالآتي :

١) أن يتم التعامل كتابياً باللغة العربية في مكاتب ودواوين الحكومة وأن تصدر كل المراسيم الحكومية باللغتين العربية والفرنسية .

٢) نظراً إلى أن اللغة العربية هي لغة التفاهم في تشاد فإننا نطالب بإعلان تشاد دولة عربية وتكمل إجراءات انضمامها لجامعة الدول العربية .

٣) أن يعيّن كوادر اللغة العربية في أجهزة الدولة العليا مثل الوزارات والسفارات والمؤسسات الأخرى ، حتى إذا لم يجيدوا التحدث باللغة الفرنسية.

٤) أن يكون هناك زمن متساو لبث اللغتين العربية والفرنسية عبر الإذاعة والتلفزيون.

٥) أن يتم وضع منهج جديد للمدارس تدرّس فيه اللغة العربية في جميع المراحل التعليمية من الابتدائي وحتى الجامعي بصورة إلزامية .

هذه قضية مصيرية لا نقبل فيها أي مساومة ونقول ذلك بكل صراحة"[1] .

أما الدكتور محمد أحمد الحبو [2] فقد ذكر في خطابه أمام نفس المؤتمر ما نصه: " اللغة العربية لغة وطنية في تشاد لأنه تقطن الأراضي التشادية مجموعة عريضة لغتها الأم هي اللغة العربية وهذه المجموعات موزعة على عدد كبير من المحافظات التشادية وربما تكون هذه المجموعة من أكبر المجموعات اللغوية في البلاد وأكثرها أهمية"[3].

المبحث الثالث: الخصائص الاجتماعية :

تتشابه الأوضاع الاجتماعية في السودان وتشاد إلى حد كبير جداً، وأقوى الأدلة على ذلك التشابه عدم شعور أي مواطن ينتقل من بقعة داخل السودان إلى أخرى داخل تشاد أو العكس بالغربة أو الوحشة ومما أكده السيد/ يوسف بريمة أحد قادة الثورة التشادية وزعامات الجالية التشادية بالسودان " أن التشادي إذا خرج إلى أي بلد خارج تشاد يظل محتفظاً بهويته التشادية إلا في السودان فإنه ينتحل الهوية السودانية ولا يشعر بأي حرج في ذلك "[4] وهذا يفسر سر تزايد أعداد التشاديين بالسودان . ويشير يوسف بريمة في خطابه أمام المؤتمر الوطني المستقل في انجمينا سنة ١٩٩٣م " أن الجالية التشادية بالسودان التي يبلغ تعدادها أكثر من ثلاثة مليون نسمة أي أكثر من نصف سكان تشاد بالداخل هي أكبر جالية تشادية بالخارج "[5].

هذا العدد من التشاديين الذين أقاموا بالسودان امتزجوا في الواقع الاجتماعي السوداني ، وبصلتهم بأهليهم في تشاد ، نقلوا كثيراً من العادات والتقاليد وأنماط الحياة ، وشاركوا في تأسيس أنماط جديدة أصبحت سلوكاً اجتماعياً مشتركاً بين الشعبين السوداني والتشادي ، ويتضح ذلك في شكل الأزياء ، فالنساء السودانيات والتشاديات يرتدين نفس الثوب تقريباً، والرجال كذلك مع اختلاف بسيط ، أما أنماط المأكل والمشرب ، فتكاد تكون متشابهة ، حيث تجد العصيدة والكسرة المصنوعة من الذرة والدخن هنا وهناك ، مع أنواع من الإدام تكاد تكون متشابهة ، ويصل التداخل الاجتماعي مداه في شكل التأثير

---

[1] المهندس يوسف بريمة – خطاب الجالية التشادية بالسودان في المؤتمر الوطني المستقل – أنجمينا سنة ١٩٩٣م .

[2] الوزير السابق للتربية الوطنية في تشاد .

[3] راجع عبد الله حسين – تقويم منهج التاريخ للصف السادس الابتدائي بالمدارس العربية بتشاد – بحث ماجستير كلية التربية جامعة إفريقيا العالمية ص٣٠ .

[4] مقابلة مع السيد يوسف بريمة تمت في الخرطوم سنة ١٩٩٠م .

[5] يوسف بريمة – خطاب الجالية التشادية بالسودان – المؤتمر الوطني المستقل – أنجمينا سنة ١٩٩٣م .

الذي يحدثه التزاوج والمصاهرة بين الشعبين ، ومن ذلك أن الدفعات الأولى من الطلاب التشاديين الذين قبلوا في المركز الإسلامي الإفريقي كانوا أبناء أسر مكونة من البلدين ، ويجدر بي هنا أن أحكي قصة واحد من هؤلاء الطلاب درس في المركز الإسلامي ثم ابتعثه المركز للدراسة الجامعية بكلية القانون جامعة الخرطوم ، وعندما عاد إلى تشاد عُيّن موظفاً بوزارة الخارجية ، وابتعث ليكون دبلوماسياً للعمل بالسفارة التشادية في الخرطوم ، وفي أثناء وجوده بالسفارة التشادية بالخرطوم ، سافر الباحث لتشاد ، وفي اجتماع مع لجنة الجالية السودانية تعرّف على رجل سوداني مسئول في الجالية ، اكتشف أنه والد ذلك الدبلوماسي التشادي بالخرطوم . وهناك أمثلة تجل عن الحصر وكلها تدلك على مدى التداخل والاختلاط بين الشعبين .

بل إن هذا التأثير يتعدى حدود التأثير الاجتماعي إلى التأثير السياسي والمشاركة الفعّالة في الأوضاع السياسية يشير السيد/ يوسف بريمة في خطابه أمام المؤتمر الوطني المستقل إلى هذه الحقائق فيقول " إن الجالية التشادية بالسودان قد لعبت دوراً أساسياً هاماً في الصراع السياسي في تشاد بعد الاستقلال وفي هذا المجال يجب أن تتذكروا أن ثورة فرولينات تأسست في مدينة نيالا السودانية عام ١٩٦٦م وكانت الجالية التشادية بالسودان هي المحرّك الرئيسي لهذه الثورة، كما يجب أن تتذكّروا أيضاً أن قوات الشمال (فان) ، بقيادة حسين هبري دخلت أنجمينا ، واستولت على السلطة عام ١٩٨٢م ، عبر البوابة السودانية ، وكان ذلك بدعم وتأييد الجالية التشادية بالسودان ، وبالأمس القريب جاءت الحركة الوطنية للإنقاذ ، بقيادة العقيد إدريس ديبي ، وأسقطت نظام الدكتاتور هبري ، عبر البوابة السودانية نفسها ، وكان ذلك بدعم وتأييد الجالية التشادية بالسودان ، التي تحرك الأحداث السياسية في تشاد ، وأن رياح التغيير دائماً وأبداً تهب على أنجمينا من ناحية الشرق"[1] .

هذا التداخل يصل إلى حدّ وجود مسئولين في البلدين على أعلى المستويات من أسرة واحدة ، فالرئيس التشادي إدريس دبي تربطه صلات قرابة ورحم مع اللواء/ التجاني أدم الطاهر عضو مجلس قيادة الثورة السوداني السابق ، وإمام المسلمين في تشاد الشيخ موسى إبراهيم يقيم في شمبات بالسودان بوصفه مواطناً يتمتع بكل الحقوق ، وبالمقابل تجد أسراً سودانية مقيمة في تشاد تتمتع بنفس الحقوق ، كأسرة الشيخ محمد عليش عووضة ، الذي أصبح أحد أبنائها إماماً للمسلمين في عهد هبري وغيرهما من الأسر السودانية التي طاب لها المقام في تشاد ومن المسئولين الذين تربّوا في السودان وعملوا

---

[1] يوسف بريمة – خطاب الجالية التشادية بالسودان – المؤتمر الوطني المستقل – أنجمينا سنة ١٩٩٣م .

وتقلدوا منصباً مهماً في تشاد السيد هجرو السنوسي الذي عمل بالقوات المسلحة السودانية ، وتدرج في الرتب حتى وصل إلى رتبة نقيب وفصل من الجيش السوداني لصلاته بالثورة التشادية ، وشارك بعد ذلك في القيادة العسكرية للثورة التشادية حتى صار وزيراً للأشغال في حكومة الوحدة الوطنية برئاسة غوكوني عويدي .

ومن المسئولين السودانيين الذين اضطلعوا بدور مهم في الثورة التشادية وكان عضواً في مجلس قيادة الثورة التشادية السيد/ إبراهيم السنوسي والي كردفان السابق والذي ربما أصبح مسئولاً كبيراً في تشاد لو أن حركته التي كان يقودها وصلت للسلطة في تشاد . والسيد/إبراهيم السنوسي هو أحد أحفاد السلطان محمد شريف سلطان وداي ، هاجرت أسرته للسودان بعد معركة الكبكب الشهيرة التي قضى فيها الجيش الفرنسي على أكثر من أربعمائة عالم في يوم واحد[1] .

هذا التداخل والترابط الاجتماعي يبيّن أن الحدود السياسية القائمة بين البلدين، لم تحل أبداً في أن يسلك المواطنون في البلدين سلوك مواطني البلد الواحد، دون أي تعقيدات ، وأبلغ ما يمكن أن يذكر في ذلك ، أن الحكومة السودانية عندما طلبت من حركة الأول من أبريل التشادية التي كان يقودها الرئيس إدريس دبي مغادرة الأراضي السودانية حتى تساعد على إيقاف التوتر الذي حدث بين الحكومة السودانية وحكومة حسين هبري عندما دخلت قوات دبي لتشاد ارتحلت معها مجموعات من أبناء الزغاوة السودانيين العاملين في الجيش السوداني لنصرة إخوانهم في تشاد لم يشعروا بأي حرج أن ينتقلوا وهم العسكريون الملزمون بضوابط صارمة لا تسمح لهم بالعمل خارج حدود نطاقهم السياسي، ولكنهم لم يخامرهم إحساس بأنهم يعملون في بلدين وإنما هو بلد واحد ، ربما يكون ذلك خطأ من الناحية الرسمية لكن له دلالة قوية على الاستهانة بالحدود السياسية المفتعلة بين البلدين .

الخلاصة :

تشكّل حقبة الممالك الإسلامية والتي امتدت من العام ١٠٨٥م وحتى العام ١٩٢٠م (حوالي ٨٣٥ سنة) فترة مهمة في تاريخ المنطقة حيث تشكّلت خصائص هذه المنطقة عبر هذه القرون ، فقد دخل الإسلام كل المنطقة سلماً لا فتحاً وسادت في المنطقة ثقافة الإسلام ولغة العرب وقامت حضارة خاصة بالمنطقة ، فهي رغم إسلاميتها لكن ملامحها العامة تختلف عن حضارة شمال إفريقيا وعن حضارة الدول العربية المشرقية وتختلف بالضرورة عن بقية أنحاء العالم الإسلامي الأخرى في شرق آسيا وبعض أنحاء أوربا ،

---

[1] مقابلة مع السيد إبراهيم السنوسي ١٩٩٥م بمكتبه بالمؤتمر الشعبي الإسلامي بالخرطوم .

والملاحظ هو تجانس الحياة في بلاد سودان وادي النيل وبقية أنحاء الحـــزام الســوداني الممتد غرباً حتى المحيط ، ويبدو هذا التجانس بصورة أوضح بين السودان وتشاد فــي داخل إطار هذا الحزام السوداني .

إن الظروف التي أدت إلى تشكيل المنطقة وحددت معالمها البشرية هي فـــترة امـــتزاج طويلة ستستعصي نتائجها على كل محاولات التذويب والاختراق التـــي ســعت الـــدول الغربية لإحداثها إبان الفترة الاستعمارية التي تم التجهيز والتحضير لها خلال فترة طويلة من الزمان كما أن هذا التشكيل سيساعد على تجاوز حالات القطيعة والاختلاف بعد ذلــك ليعطي باعثاً قوياً على مزيد من التماسك والتعاضد .

الباب الثاني :

جهود نشر الإسلام في المنطقة بين يدي الحقبة الاستعمارية (١٨٦٩ ــ ١٩٠٠)م



الفصل الأول

دولة بحر الغزال الإسلامية ١٨٦٩ - ١٩٠٠م

الفصل الثاني

الدولة المهدية الإسلامية ١٨٨١ - ١٨٩٩م

الفصل الأول

دولة بحر الغزال الإسلامية ١٨٦٩ - ١٩٠٠م

المبحث الأول: الزبير باشا رحمة ١٨٦٩م — ١٨٧٧م:

راجت تجارة العاج في منطقة البحر المتوسط في القرن التاسع عشر الميلادي وهـذا الرواج دفع عدداً كبيراً من التجّار للدخول في مغامرات هذه التجارة والتي كانت المناطق الاستوائية من جنوب السودان مركزاً أساسياً لموادها الخام .

ومن التجـار الذين اشتهروا في هذا النشـاط تاجر يدعى (أبو عمّـوري) "كـان يعمل معه شاب طويل القامة فصيح اللسان ، ميّال للخير ، قويّ الإيمان متحمّس للإسـلام يعرف باسم الزبير "[1] .

كان العمل في هذه الادغال محفوفاً بالمخاطر بسبب طبيعة المنطقة الوعـرة وكـثرة حيواناتها وهجمات قبائل المنطقة على التجار الوافدين إليها، وحدث أن ثارت بعض قبائل المنطقة على التجار وتصدى لهم الزبير رحمة وأظهر شجاعة فائقة في مواجهة فرسـان هذه القبائل واستطاع إخماد ثورتها الأمر الذي جعله مظنة للقوة فاحتمى به التجار وقدموه عليهم فأصبح ذائع الصيت وكان ذلك سنة ١٨٥٧م .

يحكي الزبير عن نفسه يقول " أنا الزبير بن رحمت (هكذا) بن منصور ابن علي بـن محمد بن ناعم بن بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العبّاسي ، هاجر أجـدادي العباسيون (من) بغداد بعد هجوم التتر عليها سنة ٦٧٦هـ ، سنة ١٢٧٨م فـأتوا مصـر فوجدوا فيها الفاطميين حكّاماً فلم يطيقوا الإقامة معهم فنزحوا إلى بلاد السـودان فسـكن بعضهم النيل وبعضهم بلاد دارفور ووداي وتشعّبوا على النيل قبائل فكان فـي جملتـها قبيلتنا المعروفة بالجميعاب "[2] .

بعد نجاح الزبير في إخماد ثورة الأهالي استقل باعماله التجارية ووقّع معـاهدة مـع عربان الرزيقـات وكوّن جيشاً من الأهـالي واستطـاع فتح طريق " شاكا "وقضـى على حملة قامت بها قبائل البلالة والباشبوزق واستطاع أن يخضع بحر الغزال وكان ذلك سنة ١٨٦٩م ثم أخضع بلاد (النيام نيام) سنة ١٨٧٢م وفي سنة ١٨٧٣م تمـردت عليـه الرزيقـات ونقضـوا عهدهم فأخضعهم ، ووقع في أسره الرجل الذي صار فيمـا بعـد خليفة للإمام المهدي وحاكماً للسودان في عهد المهدية . يقول الزبير " وكان الرزيقات قد استخدموا فقيهاً من فقهاء التعايشة يقال له عبد الله ود محمد آدم تورشـين ليقـرأ لـهم

---

[1] محمود شاكر — تشاد — سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا — المكتب الإسلامي ١٩٨١م ص٤٤ ، كما راجع خليفـة عباس العبيد — الزبير باشا — مركز الدراسات السودانية القاهرة ١٩٩٥م ص١٨ .

[2] نعوم شقير — جغرافية وتاريخ السودان — دار الثقافة — بيروت سنة ١٩٦٧م ، ص٥٦٨ .

الأسماء في خلوته لعلها تقبض سلاحي فلا يطلق ناره في ساعة الحرب ، وقد تعهدوا له ببقرة من كل مراح، فوقع أسيرا في يدي في حلة المسروج بين شاكا ودارا ، فأمرت بقتله، وكان معي (١٢) عالما من علماء الشرع ، قد حلفتهم على القرآن الشريف أنهم إذا رأوا في أحكامي اعوجاجا عن الشرع ينبهوني إليه ، فلما أمرت بقتله اعترضني العلماء ، وقالوا إن الشرع لا يسمح لك بقتل أسير الحرب ، فضلا عن أن السياسة تنكر عليك قتل رجل يعتقد الناس صلاحه "[١] .

كان الزبير يؤسس حكمه باعتباره جزء من دولة الخلافة الإسلامية ، ويظهر ذلك من خطاباته التي كان يرسلها لحكام مصر و خطاباته لحكام دارفور الذين كان يطلب إليهم الانصياع لسلطة الدولة الإسلامية .

يقول في خطاب له إلى السلطان إبراهيم بن حسين سلطان دارفور حرره في غرة محرم سنة ١٢٩٠هـ " من ابتدى (ابتداء) عام : ١٢٧٠هـ ومن وقتها لغاية يومنا هذا جاريين السعي والاجتهاد القوي بالهمة العالية وعدم التراخي في جميع ما يرضي الله ورسوله أمرا ويرضي ولي نعمتنا الخديوي الأعظم لفتح البلاد وتأمين العباد وزيادة الحوز والاتساع لأحكامه المصرية ومنع الأشقية العصاة المتسلطين على ربط طريق المسلمين من جميع الجهات بقتل دماهم ونهب أموالهم ... وفتحنا بلادا عدها متحرج وهي الآن صارت تبعا للحكومة الخديوية بموجب الطاعة وكمال الامتثال وكثيرا منهم الحالة هذه أدخلناهم ملة الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وصارت المسلمين ترد وتتردد علينا من مدة سنوات عديدة "[٢] .

غير أن الزبير تعرض لبعض المضايقات من قبل المسئولين الأوربيين التابعين للخديوي في مصر من أمثال غردون البريطاني وجسي الألماني ،فوقعت بينه وبين هؤلاء القوم مشاكل ، فاستدعى الزبير إلى القاهرة ليمثل أمام الخديوي. وصل الزبير القاهرة سنة ١٨٧٦م حيث استقبل استقبالا حسنا ولكن لم يسمح له بمقابلة الخديوي إلا بعد مضي خمسة أشهر من وصوله وبدل أن يستمع فيها (الخديوي) لما عند الزبير من تقارير قال له الخديوي بكل صراحة ووضوح " إنه لا لزوم ولا فائدة لأن نتحدث معا أبدا فأنا أعرف أنك رجل مقتدر ... وأنا واثق أنك ستحكم دارفور حكما جيدا، ولكن وبكل صراحة.. أنا خايف منك .. فقد جعلت نفسك قويا جدا ، وإني لأخشى إذا أعطيتك السلطة التي تريد أن تؤسس إمبراطورية في دارفور تنافس بها ، بل وربما تخضع

---

[١] نعوم شقير المرجع السابق ص٥٨١ .

[٢] خليفة عباس – المرجع السابق – ملحق ب (الأجوبة السديدة في إنذار وتهديد أهل المكيدة) وهي عبارة عن ثمانية خطابات بعث بها الزبير إلى حكام دارفور ص٢ .

لها مصر ذاتها ... فمصر ليست قوية للحد الذي تحتمل معه وجود جيران لهم مثل مالك من القوة ولذلك فعليك أن توطّن نفسك على أن تعيش معي هنا في القاهرة، وسأكفل لك معاملة كريمة حسنة ، وستكون لك الحرية الكاملة المطلقة!! فقط أنه لن يسمح لك بالعودة إلى السودان مرة أخرى "[1] وكان من أشد ما أشيع ضد الزبير من حملات وكان مصدرها الإداريون الغربيون في جنوب السودان هي تهمة تجارة الرقيق ونفى الزبير عن نفسه هذه التجارة في المقابلة التي أجرتها معه الصحفية البريطانية (فلورا شو) في منفاه بجبل طارق ونشرتها في صحيفة مراجعات معاصرة (*contemporary Review*) وقام السفير خليفة عباس العبيد بترجمتها في كتاب (الزبير باشا) يقول الزبير "ربما أنه لم تكن لي أية عمولة حدث أن تقاضيتها من أرباح "أبو عمّوري" فيمكنني ان أجزم لك وبكل الصدق بأني لم أبع في حياتي كلها عبداً واحداً .. ولم يكن لي دخل أو صلة بما يجري من تجارة للرقيق في إقليم (بوريهامو) سوى أنني كنت أشتري عبيداً للتجنيد وأن القوافل كانت تمر فعلاً عبر أراضي إقليمي، وأنها كانت تستعمل اسمي لحمايتها، أما ما يقال من أنني كنت أملك ثلاثين محطة للرقيق كما تزعمين فإنه محض هراء وليس بصحيح إطلاقاً ، إني لم أبعث برأس رقيق واحد إلى القاهرة أو إلى استانبول في كل حياتي "[2]

المبحث الثاني : سليمان الزبير ١٨٧٧م — ١٨٧٩م :

عندما غادر الزبير عاصمته (ديم زبير) مستجيباً لدعوة الخديوي كلّف ابنه سليمان الزبير ليحل محله في إدارة الحكم حتى عودته من مصر ، ولكن الخديوي أمر بحبس الزبير، وظل حبيساً بها تحت الإقامة الجبرية ، أما سليمان فقد واجه ظروفاً عصيبة ، إذ تكاثفت عليه الضغوط في وقت تزايدت معه الحملات الاستعمارية على المنطقة ، واستفادت تلك الحملات الاستعمارية من موظفي الدولة الخديوية في مصر من الأجانب في الفترة من ١٨٧٧م إلى ١٨٧٩م أمثال غردون البريطاني وجسي الألماني . خرج سليمان الزبير على رأس (٤٠٠٠) مقاتل إلى شاكا لمواجهة غردون ، وغدر غردون بسليمان بناءً على وشاية من السعيد بك حسين أحد سناجق الجيش التركي المصري ، وقام غردون بتفريق جيش سليمان ، ودارت معركة بين جيش سليمان الزبير وجسي الألماني في ديم الزبير ، هزم فيها سليمان وفرّ إلى دارفور ، وكتب من هناك إلى والده يشكو له غدر موظفي الحكومة الخديوية به ، ونصحه أبوه بالتسليم . يروي الزبير تلك الحكاية لنعوم شقير يقول " وقد وصل كتابي إلى سليمان بعد خروجه من بحر الغزال –

---

[1] خليفة عباس — المرجع السابق ص٩٣ .

[2] خليفة عباس — المرجع السابق ص٦٠ .

يعني كتابه الذي ينصحه فيه بالتسليم – فاستوعبه وصدّقه ولما دعاه جسي إلى التسليم مال إليه، فعارضه رابح ، وانقسم الجيش بهما إلى حزبين: حزب مال إلى التسليم ورئيسه سليمان ، وحزب عارضه ورئيسه رابح " ولما أتم سليمان التسليم أوثقوا سليمان وأقاربه وجعلوهم صفاً واحداً خارج الخيمة ووقفوا خلفهم ورموهم بالرصاص فانكبّوا على وجوههم قتلى"[1].

<u>المبحث الثالث : رابح فضل الله ١٨٧٩م — ١٩٠٠م :</u>

كان رابح من القادة العسكريين العاملين في جيش الزبير وعمل تحت إمرة ابنه سليمان بعد حبس الزبير في مصر ، وعندما رأى رابح ما حاق بسليمان وجنوده حيث قتلوا جميعاً وكان عددهم حوالي سبعمائة فرد ، انسحب ببقية الجيش وكان معه حوالي ألف من الجنود اتجه بهم نحو بحيرة تشاد حيث أخضع في طريقه سلطان وداي وامتدت فتوحاته حتى ممالك باغرمي وكانم – برنو حيث ضمها إليه جميعاً وأسس عاصمة له في " ديكوه "[2] .

فمن هو رابح هذا ؟:

ولد رابح فضل الله سنة ١٨٤٥م بحلفاية الملوك ، واختلف المؤرخون حول أصله، وقد بدأ حياته عاملاً بسيطاً في صناعة الطوب على جروف النيل في الحلفاية كما اشتغل كغيره من سكان المنطقة بالزراعة ثم التحق بالجيش المصري وأثناء التدريب فقد أصبعه البنصر وكان ذلك سبباً في فصله من الجيش المصري ولكنه عندما ترك الجيش كان قد تحصّل على قدر معقول من التدريب على استخدام الأسلحة النارية .

وبعد أن ترك الجيش التحق بالزبير باشا ليعمل معه في التجارة بجنوب السودان ، وأهلّه لهذه الوظيفة درايته بالعسكرية التي كانت الحاجة إليها ماسة للتجار الذين يعملون في تلك المناطق . فعندما التحق رابح بالزبير كان الزبير قد استطاع أن يؤسس دولته التي وردت الإشارة إليها فيما سبق ، فعمل رابح تحت إمرة الزبير ومن بعد تحت إمرة ابنه سليمان واختلف مع سليمان على النحو الذي بينّاه فيما سبق .

هاجر رابح في يوليو ١٨٧٩م نحو الجنوب الغربي فأقام معسكراً في قرية (أوجيكو) ومنها توجه إلى (أوشيخو) من بلاد بندة ببحر الغزال حيث أقام هناك حتى سنة ١٨٨٠م

---

[1] نعوم شقير – مرجع سابق ص٦١٦-٦١٧ .

[2] تقع ديكوة الآن داخل حدود جمهورية نيجيريا الاتحادية .

ثم عاد إلي شاكا جنوب دارفورومنها الى (أداماجا) حيث عقد تحالفاً مع زعيمها والذى كان يمتلك عدداً من أسلحة (الريمنجتون) وعيّنه رابح قائداً على قبائل البندة كريش وهى قبائل أصولها من دارفور ولكنها تقيم في بحر الغزال ، وكان مركزها في كفيّا كنجي حيث كانت عامرة بالعلم والمساجد ، كما انضمّ إلى رابح في تلك الفترة قائد يسمى أربـاب بابكر واختار هذا التحالف حسم قضية القيادة بتعيين رابح قائداً للتحالف وعندها أطلقوا عليه لقب (الأمير) .

أعطى هذا التحالف الأمير رابحاً دفعة قوية مكنته من الزحف حتى وصل إلي مدينة (بوسو) سنة ١٨٩٣م ، ثم واصل إلي مدينة (باغ لاسا) وبانتصار رابح في تلك المعارك إستطاع أن يخضع جزءً مهمّاً من مملكة باغرمي ويصل إلي عاصمتها (ماسينا) حيث فرّ سلطانها إلي العاصمة الثانية (مانجافا) فلحقهم الأمير رابح وضرب عليهم حصاراً دام خمسة أشهر، وعندما فشل سلطان باغرمي في فك الحصار استنجد بسلطان ودّاي ، الذي وجّه قائده عقيد البحر (حجر كبير) بالتوجه إلي (مانجافا) لفك حصار الأمير رابح ، وعندما وصلت رابح معلومات تفيد بذلك التحرك تصدى له واستطاع قتل القائد حجر كبير، وبشهرة رابح وسطوته أخذ البعض يستنجد به كما فعل " مالم حياتو بن سعيدْ (عامل المهدية على غرب إفريقيا) الذي وفد على رابح في (مانجافا) طالباً منه مناصرته"، كما استقبل رابح سلطان (كرنك لوجون) وأدت تداعيات هذه الأحداث إلى فرار سلطان "باغرمي" قوران وبذلك تمكّن رابح من مواصلة زحفه نحو (كسرى) و (مارة) . في سنة ١٨٨١م توجّه رابح نحو كابا ورافاي وبانجاسو واخذ يهاجم دار ودّاي وقويت شوكته جداً وبسط نفوذه وحكم بالشريعة وأمر براتب المهدي ليقرأ على المواطنين، ورفع شعار المهدية (الله أكبر ولله الحمد) .

في سنة ١٨٨٥م قررّ الأمير رابح الاستجابة لطلب الإمام المهدي له بالمثول أمامه في أم درمان وبدأ رحلته نحو أم درمان ولكن بلغه نبأ وفاة الإمام المهدي وهو في الطريق ، فقطع رحلته وعاد إلي داركوتي بعد أن كان قد وصل إلى مشارف دولة دارفور في طريقه إلي أم درمان.

ثم توجه في نفس العام ١٨٨٥م إلي جرينجي (فورت ارشامبول) وأقام فيها، ثم توجّه شمالاً حيث عبر نهر شاري واستقرّ في قرية (دانزي) التي وصلها عام ١٨٨٦م حيث وثّق صلاته مع قبيلة السلامات وعقد معها تحالفاً للقضاء على سلطان ودّاي ، وحاكمه على المنطقة القائد شرف الدين ، ووقعت معركة بين الطرفين في(أم التيمان) لم تسفر عن انتصار حاسم لرابح وكشفت ظهر حليفه شيخ السلامات (الجِدّي) حتى استطاع القائد شرف الدين القضاء على شيخ (الجِدّي).

في سنة ١٨٨٨ توجه رابح لمهاجمة مناطق شاري الأوسط ومنها توجه إلى (كمـوة) و(امبانج داي) و(انجام مسي) و(جوندي) وكسـب كـل معاركه . وفي سنة ١٨٩٠م عاد إلى دار كوتي وقصد بذلك تأمين طرق الاتصال مع منطقته الأصلية بحر الغزال التـي كان قد أبعد النجعة عنها بكثرة معاركه وامتداد غزواته إلى مناطق موغلة في الغرب .

في سنة ١٨٩١م وصل المنطقة المستطلع الفرنسي (بول ارشامبول) الذي سميت على اسمه منطقة (جرينجي) فأصبحت تسمى (فورت ارشامبول) أي قلعة ارشـامبول وكـان يسعى للوصول إلى وداي .

وفي نفس العـام ١٨٩١م توجه رابح صوب برنو حتى وصل إلى عاصمتها (كيكوة) فدخلها وعزل سلطانها هاشم وحول العاصمة إلى (ديكوة) . قام ابن أخ السلطان هاشـم شياري سنة ١٨٩٤م بقتل عمه هاشما لاستسلامه لرابح ودخل في معركـة مـع رابـح انتصر فيها رابح وقبض على شياري وأعدمه ، وبذلك خضعت كامل أرض برنو لسلطة رابح ودانت له مناطق بحر الغزال ووداي وباغرمي وأخيرا برنو .

هذه المساحة الشاسعة من الأرض استطاع رابح حكمها لأنه أقام حكمه علـى نظـام دقيق تمثل في الآتي :

١/ تنظيم الجيش وتقسيمه لألوية (رايات) على رأس كل لواء قائد ووكيل (قـائد ثـان) واعتمد نظاما دقيقا في التدريب والضبط العسكري وكانت لجيشه فرق موسيقية تعزف مقطوعة الحرب (سيدي رابح بناديكم كان ما جيتو بجنرركم) واجتـهد فـي التجنيـد للجيش ففاق عدد أفراده (٤) آلاف جندي كان نصفهم مـن الخيالـة ويستخدمـون بنـادق حسـنة الصـنع وكـان جيشه يمتلك أكثر من (٣) آلاف بندقية [1].

٢/ اعتمد في إدارة مملكته النظام اللامركزي فعين حاكما على كل منطقة فتحها وكلفـه بإدارة شئونها ، يعينه في ذلك مجلس للشورى ، وحافظ رابح على نظام الشورى الذي كان قد أسسه الزبير باشا وقـام رابـح برئاسـة ذلك المجلس إضـافة إلى قيادتـه للجيش ورئاسته للدولة .

لاحظ الفرنسيون تزايد قوة رابح فجهزوا قوة للإغارة عليه في ديكوة، ولكنه خـرج لملاقاتهم في كمرى ، فجهزت القوة الفرنسية نفسها وطلبت المدد من فرنسا ، وقاد هـذه القوة القائد الفرنسي لامي ، ودارت المعركة بين الطرفين في ٢٢ أبريل ١٩٠٠م وكـان النصر حليف رابح ، واستطاع أن يقتل القائد الفرنسي لامي ، إلا أن رابحا جـرح فـي

---

[1] وزارة التربية الوطنية – تاريخ تشاد من دخول الإسلام حتى دخول الاستعمار ص٢٥ .

المعركة[1] وساءت أحواله الصحية فاستشهد بعد ذلك ، وتولى ابنه فضل الله القيادة بعده إلا أنه قتل على يد الفرنسيين بعد هزيمة جيشه ، ودانت لهم بذلك كل الأرض التي كان يسيطر عليها رابح وفي ٢٣ أبريل ١٩٠٠م أنشأ (أميل جنتي) مفوض الحكومة الفرنسية في منطقة شاري مركزا في أنجمينا اسماه (فورت لامي) إي (قلعة لامي) تخليدا لذكرى القائد الذي قتله رابح ، وفي أغسطس من نفس العام ١٩٠٠م صدر مرسوم بتأسيس الإقليم العسكري لمحميات بلاد تشاد الفرنسية وهو تاريخ بداية الاستعمار الفرنسي الحقيقي لتشاد والذي استمر حتى ١١ أغسطس ١٩٦٠م ، يوم حصول تشاد على استقلالها من فرنسا .

---

[1] محمود شاكر – تشاد – سلسلة دراسات الشعوب الإسلامية – المكتب الإسلامي ص٤٨ .

الفصل الثاني

الدولة المهدية الإسلامية ١٨٨١ - ١٨٩٩م

المبحث الأول : الإمام محمد المهدي بن عبدالله ١٨٨١ – ١٨٨٥م .

المبحث الثاني: الخليفة عبدالله بن محمد تورشين ١٨٨٥ – ١٨٩٩م .

المبحث الأول : الإمام محمد المهدي بن عبد الله ١٨٨١م — ١٨٨٥م :

إن فكرة المهدية في الفكر الإسلامي قديمة قال بها أهل السنة بناءً على حديث مفاده "إن الله يبعث للناس من يجدد لهم أمر دينهم كل مائة سنة" وأن المهدي " سيملأ الأرض عدلاً بعد أن تكون قد ملئت جوراً ".

أما فكرة المهدية عند الشيعة فإنها أكثر تحديداً إذ يعتقد الشيعة الإمامية الإثناء عشرية أنّ المهدي هو الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى وأنه سيظهر حين يحين أوانه. أما الإسماعيلية وهم فرع آخر من الشيعة فيعتقدون أن الإمام المنتظر هو الإمام إسماعيل ابن جعفر والذي اختفى هو الآخر بدوره وسيظهر في آخر الزمان . ويختلف أهل السنة عن الشيعة في أن الإمام المنتظر شخص سيولد كسائر البشر وليس شخصاً مولوداً اختفى وسيظهر ، ولكن يتفق السنة والشيعة في نسبة المهدي المنتظر لآل البيت .

ظهرت فكرة المهدية في كتابات العديد من الكتّاب خلال عصور الإسلام المختلفة، فقد كتب عنها ابن عربي والشعراني وغيرهما أما المتأخرون فإن عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي قد كتب كتاباً بعنوان (العرف الوردي في أخبار المهدي) ذكر فيه أماراته ووقت ظهوره الذي حدّده (بتمام ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر بعد الألف)[1] كما أن له كتاباً آخر بعنوان (الكشف في مجاوزة الأمة الألف)

هذه الأفكار التي شاعت في العالم الإسلامي كان لها تأثير قوي على المسلمين في العالم الإسلامي عموماً وفي غرب إفريقيا على وجه الخصوص ، ومن علماء غرب إفريقيا الذين تحدثوا عن فكرة – المهدية الشيخ عثمان بن فودي (١٧٥٤م – ١٨١٧م) مؤسس دولة سوكوتو الإسلامية وله في ذلك كتابان (الخبر الهادي في أمور الإمام المهدي) و(تحذير الإخوان من ادعاء المهدية الموعودة آخر الزمان) ورغم أن دان فوديو قد توفى قبل ميلاد محمد أحمد بن عبد الله بحوالي سبعة وعشرين عاماً إلا أن خلاصة كتاباته ووصاياه كانت تدل على توقعه لظهور الإمام المهدي في منطقة (بحر النيل) أو (نيل الأمصار)[2] .

وساعدت كتابات دان فوديو هذه في إشاعة فكرة المهدية بل وترقّب ظهور المهدي ، ودان فوديو الذي كان يتمتع بمكانة علمية مرموقة ومكانة سياسية مرموقة أيضاً باعتباره مؤسساً لخلافةٍ ودولةٍ قوية فقد كان لكلامه أبلغ الأثر في مسلمي غرب إفريقيا وقد ألف كتاباً يحث فيه أتباعه على وجوب الهجرة لنصرة الإمام المهدي الذي سيظهر في

---

[1] د. الأمين أبو منقة : العلاقات السودانية النيجيرية في إطار المهدية: دراسات إفريقية العدد الثامن ديسمبر ١٩٩١م ص٥٥.

[2] د. الأمين أبو منقة : المرجع السابق ص٥٨ .

الشرق وهو كتابه الموســـوم بـــ (بيان وجوب الهجرة على العباد) بل إن أتباع دان فوديو كان يشيعون أحياناً أن دان فوديو هو المهدي المنتظر مما اضطر معه لأن ينفي الأمـــــر عن نفسه أكثر من مرة ويشير إلى أنه مجرد السحاب الذي يسبق ظهور الإمام المهدي .

أما في بلاد السودان فان الشعور بقرب حلول أوان المهدي كان موجوداً أيضاً حيـــث بشرّت به نبوءات الشيخ إبراهيم الكباشي والسيد إسماعيل الولي البديري ، بل أشـــــــار صاحب الطبــــقات في ترجمته للشيخ حمد النحلان ود الترابي " ثم لما وصل مكة أيـــام الحج قال أنا المهدي فضربوه هو وحـــيرانه"[1] كما أورد ود ضيف الله أن حمد النحـــلان "أرسل ميرفا حواره وقـــال امـــش في ســـنار وقـــل المهدي ظهر ، فأمر الملك بـــــادي أبو دقن بقتله وجرّه"[2] .

في ربيع الثاني ١٢٩٨هـــ الموافق ١٨٨١م بدأ رجل أسمه محمد أحمـــد يقيـــم فـــي الجزيرة أبا في النيل الأبيض جنوب الخرطوم يذيع بين الناس أنه المهدي المنتظر .

فمن هو محمد احمد المهدي ؟:

ولد محمد أحمد بن عبد الله يوم ٢٧ رجب ١٢٦٠هـــ الموافق ١٢ أغســـطس ١٨٤٤م – أي بعد ثلاثة عشر عاماً من سقوط مملكة سنار– ولد بجزيرة الأشراف (لبــــب) فـــي مركز دنقلا في شمال السودان وتنتسب أسرة حاج شريف التي ينتمي إليها المهدي إلى آل البيت ومن هنا جاء اسم مسكنهم (جزيرة الأشراف) .

كان والده يعمل نجاراً في صناعة المراكب ثم هاجر إلى كرري في شمال أم درمـــان حيث توفي هناك وفي كرري تلقّى محمد أحمد أول مراحل تعليمه في (خلاوي) كرري حيث بدأ حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة ثم توجه إلى بربر حيث تتلمـــذ على الشيخ محمد الخير في (خلاوي) الغبش بشمال السودان وأكمل حفظ القرآن علـــى يديه ثم انتقل بعد ذلك لملازمة الشيخ محمد شريف ود نور الدايم أحد مشـــايخ الطريقـــة السمانية حيث صـــار خليفة لشيخ الطريقة وذلك عام ١٨٧٦م ، ثم انتقل بعدها للجزيـــرة أبا سنة ١٨٧١م حيث أقام بها خلوة لتحفيظ القرآن وتعليم الفقه ، ثم اتصل بعدها بالشـــيخ القرشي ود الزين أحد شيوخ السمانية وتزوّج بنته النعمة ، وأنجب منها ابنــــه (علـــى) ، وكان الشيخ القرشي قد تنبأ لصهره بالمهدية حيث قال عنه " اديته بتـــي وفرســـي وأنـــا موعود فرسي ده يْركبه المهدي وشيّخته واديّته الإجازة"[3] ، علماً بأن الشيخ القرشي توفي

---

[1] ود ضيف الله – الطبقات – بيروت – بدون تاريخ ص٦١ .

[2] ود ضيف الله المرجع السابق ص٦٢ .

[3] عثمان سيد أحمد إسماعيل : حركتا عثمان بن فودي ومحمد أحمد المهدي – دراسات إفريقية العدد الثاني أبريل ١٩٨٦م ص٤٩ .

سنة ١٨٨٠م وذلك قبل إعلان المهدي لمهديته في سنة ١٨٨١م ، إلا أن أهم حدث صادفه المهدي وهو مقيم في طيبة "القرشي ود الزين" عندما كان يشيّد قبة علـــى قــبر أســتاذه وصهره الشيخ القرشي أن التقى بعبد الله بن محمد تورشين الذي صار خليفة له والـــذي هاجرت أسرته من غرب إفريقيا للالتقاء بالمهدي ومبايعته وربما دفعها لذلك ما أشـــرنا إليه من شيوع خبر المهدي وتحديد جهته من قبل الشيخ عثمـــان دان فوديـــو وتلاميـــذه وعندما رأى الخليفة المهدي لأول وهلة خرّ مغشّياً عليه .

اتخذ المهدي من الجزيرة أبا مقراً له ومنطلقاً لدعوته ، ولأن دعوته كانت تظهر مـــن أول بدايتها ضيقها بمفاسد الحكم القائم وعزمها على تغييره وتحرير الناس من ويلاتـــه ، فلم يكن مستبعداً أن تتعرض للمضايقات من قبل الحكومة ولذلك أعـــدّ المـــهدي نفســـه للمواجهة من أول وهلة حيث وقعت أول معركة بينه وبين الحكومة في نفس العام الـــذي جهر فيه بمهديته وكان ذلك في ١٦ رمضان ١٢٩٨هـ الموافق ٢أغسطس ١٨٨١م حيث كتب له النصر على قوات الحكومة بقيادة (أبو السعود) ، وهاجر بعد ذلك إلـــى (قديـــر) ومن (قدير) بدأ يبث دعاته ، ويتصل بالأقاليم فوصلت دعوته كردفان ودارفـــور وبحـــر الغزال وتيسّر له بعد ذلك القضاء على أكبر حاميات الحكومة في الغرب بسقوط الأبيـــض سنة ١٨٨٣م. وبسقوطها دان لسلطة المهدي أقليما كردفان ودارفور وانفســـح الطريـــق أمامه للاتصال بالممالك الإسلامية في غرب إفريقيا .

أرسل المهدي الكتب والرسل إلى كل من أمير برنو الشيخ بوكر وإلى سلطان ســكوتو أمير المؤمنين عمر بن علي والشيخ حياتو بن سعيد وهو أحد أحفاد دان فوديو والذي بنى له رباطاً في (بلدة) بالكميرون[1] (تقع بلدة شمال شرق مدينة مروة أحـــد أهـــم مراكـــز المسلمين في الكميرون) ينتظر فيه ملاقاة المهدي حسب نبوءة جده دان فوديو .

استجاب من هؤلاء الشيخ سعيد بن حياتو والشيخ إبراهيم " شيخ برنو " الذي حكم بعد أخيه الشيخ بوكر وكان قد استجاب قبل ذلك سلطان دارفور يوسف بن إبراهيـــم قـــرض ورابح فضل الله . وقام هؤلاء بدورهم بالتبشير بالمهدية في محيطهم وكان أنشطهم الشيخ حياتو ابن سعيد الذي راسل أمراء مملكة سكوتو في إمـــارات برنـــو قـــدري وكتـــاغوم وياوتشي وقومبي وتوثقت صلات الشيخ حياتو بالمهدي فعينه المهدي عاملاً لـــــه علـــى عموم غرب إفريقيا وعيّن الشيخ محمد الأمين[2] عاملاً على مالي ووزيراً للشيخ حيـــاتو ١

[1] د. الأمين أبو منقة مرجع سابق ص٦٥ .

٢ (المصدر الذي أخذت منه لم يشر لأي تعريف عن من هو محمد الأمين هذا ، ولكن بالرجوع إلى المقالة التي كتبها الأستاذ كـــادي دراســـي في الكتاب الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة يغلب على ظني أن المقصود هو السيد محمد الأمين درامي وهو من مواليد منطقـــة " كاي" غرب " باماكو " عاصمة مـــالي وقد ولد ما بين عامي ١٨٤٠م و١٨٥٠م (نفس فترة ميلاد المهدي) وهو ينتمي إلى أســـرة دينيـــة مشهورة في منطقة نهر السنغال من قبائل " السناراكولي " سافر إلى الحج عن طريق البر ومرّ بنيجيريا وتشاد وليبيا والسودان ومصـــر وعـــاد إلى باماكو سنة ١٨٨٥م وقاد المقاومة ضد الفرنســـيين إلى أن قبض عليه واستشهد سنة ١٨٨٧م، راجع كادي درامي : محمد الأمـــين درامـــي — الحضارة الإسلامية في مالي — المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم — ١٩٩٦م ص٢٧٦ إلى ص٢٧٨ .

وكان هذا سبباً في توثيق الصلات بين أفراد هذه المجموعة ، فقد وقع تعاون وتحالف بين الشيخ حياتو والأمير رابح حيث عمل الاثنان سوياً وتزوج الأول بنت الثاني وتشاورا في إرسال معونات عسكرية للدولة المهدية .

خلاصة الأمر: أن المهدية التي سبقتها فكرتها إلى هذه المنطقة تيّسر لها أن تبسط نفوذها في المنطقة دون أن توجف عليها من خيل ولا ركاب وبذلك لم تشهد الجبهة الغربية ولا الجنوبية أي توترات ، فبعد سقوط الأبيض لم يحفل المهدي ولا الخليفة بإرسال جيوش لهذه المنطقة وتفرّغ تماماً لنشر دعوته وإرسال غزاته إلى الشرق والشمال وبذلك أصبحت ممالك سنار ودارفور وبحر الغزال ووداي وبرنو التي خضعت لرابح – أصبحت كلها موالية للنظام الجديد الذي أسّسه المهدي وكان للخيفة عبد الله – باعتباره من أبناء المنطقة – دور كبير في تقوية هذا التحالف، فإن انتقال الشيخ حياتو من (بلدة) مثلاً والتحاقه برابح في عاصمته "ديكوا" كان بتوجيه من الخليفة عبد الله ، بل إن نجاحات المهدية هي التي دفعت بأحفاد المجاهد عثمان دان فوديو لمواصلة الهجرة للسودان حتى بعد سقوط المهدية ونلحظ ذلك في هجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول وابنه محمد بلو مي ورنو الذي وصل السودان على رأس مجموعة من المهاجرين وأسسوا في السودان فرعاً لخلافة سوكوتو فيما صار يعرف في السودان بعد ذلك بسلطنة (ما يرنو) جنوب مدينة سنار العاصمة التاريخية المشهورة "[2] .

يلخص بروفيسور عثمان سيد أحمد هذه النجاحات في مقاله الذي نشرته مجلة دراسات إفريقية في عددها الثاني يقول " ما هو الحصاد الحقيقي لهذه الحركة التي ما كانت إلا كلمح البصر في عداد التاريخ ، فالمهدي ولد عام ١٢٦٠هـ وبدأ دعوته عام ١٢٩٨هـ وتوفى عام ١٣٠٢هـ فعمره كله حوالي (٤٢) عاماً وعمر دعوته التي حقق فيها كل تلك الانتصارات التي لم تكن تعني أي شيء أقل من هزيمة الإمبراطورية البريطانية – ولو إلي حين لم يزد على خمس السنوات كانت تمثل انتصاراً للمقاومة الفكرية والدينية والعسكرية على الهجمة الصليبية الاستعمارية على بلاد الإسلام وبلاد العالم الثالث كلها . وكانت لأحداثها صداها في تاريخ مقاومة الاستعمار والصليبية على نطاق العالم الإسلامي كله على وجه الخصوص . وإذا كنا قد أشرنا من قبل إلى الصلة بين المهدية وحركة دان فوديو بغرب إفريقيا فإن آثار حركة المهدية شملت نيجيريا وتشاد وبرنو وحوض النيل ومصر والصومال والحبشة وحتى إندونيسيا ...... وبالنسبة للسودان كانت المهدية بلاشك الحركة التي وحدّت البلاد توحيداً إيجابياً... والمهدية هي

---

[1] أبو منقه المرجع السابق نفس الصفحة .

[2] د. الأمين أبو منقة : الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سوكوتو – دراسات إفريقية العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٩م ص٢٨ .

التي نجحت في أن تبني على بقايا الممالك والسلطنات والمجموعات المسلمة وغيرها في سنار وفي الغرب والشرق وفي جنوب السودان كياناً وقف مدافعاً عن عقيدته وأرضه ضد أعتى الإمبراطوريات في القرن التاسع عشر والقرن العشرين"[1].

المبحث الثاني : الخليفة عبد الله بن محمد تورشين ١٨٨٥م — ١٨٩٩م :

بعد أن أكمل المهدي فتح الخرطوم وأسّس عاصمته في أم درمان (البقعة) كانت أول مناسبة دينية تهلّ على الدولة الجديدة هي رمضان لعام ١٣٠٢هـ يونيو ١٨٨٥م ، وقبل دخول الشهر الكريم أصدر المهدي كتاباً (منشوراً) ، أشار فيه إلى حاجته للخلوة والانقطاع للعبادة في هذا الشهر ، وحذّر من مغبّة إشغاله حالة تفرّغه للعبادة بأيّ عمل من أعمال الدنيا ، ولكن مع بداية الشهر الكريم وفي اليوم الرابع منه ، أصيب الإمام المهدي بالحمّى ، التي يرى البعض أنها حمّى الالتهاب السحائي ويرى البعض أنها حمّى التايفويد ، اشتدت الحمّى بالإمام ولمّا حان موعد صلاة الجمعة الأولى من رمضان ، لم يستطع أن يصلي بالناس فأوكل لعبد الله بن السيد محمد أن يصلّي مكانه ، فصلّى الخليفة بالناس وأطلعهم على الحالة الصحية للإمام المهدي وشرع الناس في الدعاء له ، إلا أن صحة الإمام تدهورت ، واجتمع أقاربه حول فراشه وكان فيهم السيد أحمد شرفي والسيد عبد القادر ساتي ومحمد عبد الكريم وأمين بيت المال السيد أحمد ود سليمان و السيد/ المكي[2] وكان المهدي من شدة الحمّى يفقد الوعي ثم يفيق ، وسُمع منه قوله وهو في حالته تلك : " أن الخليفة عبد الله هو الخليفة الصادق وقد عيّنه النبي للخلافة بعدي فهو منّي وأنا منه وكما أطعتموني وأنفذتم ، أمري فكذلك افعلوا معه الله يرحمنا، ثم شبك يديه على صدره وردّد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وأسلم الروح "[3] .

فمن هو الخليفة عبد الله الذي كلّفه المهدي بالصلاة بالناس وحثّهم على طاعته لأن النبيﷺ قد عيّنه ؟:

كنّا قد أوردنا سلفاً حديث الزبير باشا عن الخليفة ، وكيف أنه وقع في أسره عندما كان يعمل لصالح الرزيقات في حربهم ضد الزبير ، وكيف أنه أفلت من الإعدام باعتراض مجلس شورى الزبير من الفقهاء على إعدامه . يحكي الزبير باشا عن أصل

---

[1] د. عثمان سيد أحمد إسماعيل — حركتا الشيخ عثمان دان فوديو ومحمد أحمد المهدي : دراسات إفريقية العدد الثاني أبريل ١٩٨٦م ص٥٢ .

[2] سلاطين باشا — السيف والنار في السودان — مكتبة الحرية سنة ١٩٣٠م ص١٧٣ .

[3] عمر علي قسومة — الخليفة عبد الله كتاب السودان الحديث (٥) — الخرطوم ١٩٩٢م ص٥١-٥٢ .

الخليفة يقول " والذي اتصل بي (يعني نما لعلمي) أن أصل عبد الله هذا من بلاد الفترى[1] بين وداي وبرنو ، سار من بلاده طالباً الحجاز وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكارنة، فلما وصل بلاد التعايشة تزوّج منهم وسكن بينهم فانتسب إليهم "[2] .

غالب الظن أن الخليفة عبد الله من مواليد ١٨٤٦م في بلدة المقدود بمنطقة رهيد البردي ، وهي من أهم مراكز قبيلته التعايشة في غرب السودان ، ويرجع نسبة إلى حجر (القطب الواوي التونسي) وجده إلى أبيه على الكرّار ، نزح من منطقة أم حجر وهي تقع على نهر الفترى داخل حدود دولة تشاد الحالية ، وكان سبب نزوحه قصد الحج عبر الأراضي السودانية فأقام بدار التعايشة وربّما يكون الذي دفعه للإقامة بينهم صلة رحم تربطهم بهم . وتقول روايات تاريخية في قبيلة التعايشة أن أصولهم تنحدّر من تونس ولا زالت بعض أغانيهم الحالية تشير إلى تلك الصلة[3]:

"أصفق ليّ الشباب ... خليّني النزور ، بلدنا تونس الخضراء"

أو نحو ذلك من الأهازيج .

في دار التعايشة افتتح (على الكرّار) جد الخليفة خلوة لتعليم القرآن وسرعان ما اشتهر بكتابه الحجبات ، وشفاء المرضى بالرقي والتعاويذ والتنبوء ، بوقوع الأحداث عن طريق (ضرب الرمل) ، حتى أصبحت له شهرة واسعة في هذا المجال ، فأقبل الناس على زيارته للتبرك وقد أعجبوا بقدرته على قضاء الحاجات ، فأطلقوا عليه لقب (تورشين) أي الجاموس البري المعروف بقوة البأس.

تزوّج على الكرّار امرأة من الجبارات من فرع (أبو صرّة)، الذي أصبح نسله من بعده ينتسب لهذا الفرع من التعايشة فرزق منها بولدين هما محمد ومن ولده عبدالله (وهو الخليفة) ويعقوب وهارون وإسماعيل وحليمة . وأحمد ومن ولده محمود وإبراهيم الخليل وإسماعيل ومحمد المهدي)[4] .

بعد وفاة الشيخ على الكرّار (جد الخليفة) واصل والده السيد محمد عمل والده بل واصل مسيره نحو الأراضي المقدسة للحج فترة ، فتنقّل في البلدان حتى وصل إلى أبوجابرة سنة ١٨٧٩م ودخل دار حمر فمرّ بالأضية ، ثم أبو زبد حتى وصل الأبيض ، ومن هناك إلى السنجكاية ، ثم جبل تقلي ، حيث أقام بمنطقة أم عود بضواحي شركيلا (منطقة الهبانية) ، ثم دخل دار الجمع ووصل إلى (أبو ركبة)

---

[1] بلاد الفترى نسبة إلى نهر الفترى وهو أحد الأنهار التي تصب في بحيرة تشاد .

[2] نعوم شقير – جغرافية وتاريخ السودان ص٥٨٢ .

[3] من إفادات الأستاذ/ بشير السماني رئيس رابطة مثقفي اللغة العربية في تشاد وهو من أبناء التعايشة وترجع أصوله إلى منطقة رهيد البردي .

[4] عمر قسومة – المرجع السابق ص٦ .

حيث نزل ضيفاً على شيخ الجمع الشيخ عساكر أبو كلام ، ولكنه مرض بـــابي ركبـــة ، وبها توفي ودفن ، وبعده ساءت حال أسرته وتلاميذه الذين كانوا يتنقلون معه .

يروي الخليفة عبد الله أن والده قبل وفاته وجهّه أن يتجه جهة (البحر) النيل، حيـــث سيظهر مهدي آخر الزمان ، وبشّره بأنه سيتبعه وسيكون وزيراً له ، هذه الوصية هـــي التي جعلت الخليفة يتحرّى ظهور المهدي ويبحث عن المهدية في الزبير ، ثم لمّا ســـمع بأخبار محمد أحمد ابن عبد الله في أبا بدأت ملامح وصية والده تتضح في ذهنه ، فعـــزم على الهجرة لأبا لملاقاة المهدي .وتوافق أن كانت الطريقة الصوفية التي يلتزمها الخليفـة هي نفـس طريقة الإمـــام المهـــدي ، الطريقة السمانية وكان المهدي قـــد صـــار مـــن مشايخها المشاهير .

لم يكن التحاق الخليفة بالمهدي أمراً سهلاً بعد الحالة السيئة التي واجهها بعد وفـــاة والده ومسئوليته عن أسرته وتلاميذ والـــده ، كما أن الطريق إلى الجزيرة كان وعراً .

يحكي سلاطين باشا رواية عن الخليفة عبد الله حول سيره للإمام المهدي "كان سفري شاقاً جداً وكان كل ما أملكه في الدنيا حماراً له دبرة في ظهره فلم أكن أستطيع ركوبـــه وإنما كنت أضع عليه قربتي وغرارة بها دقيق ذرة وأبسط فوقها ثوبي المصنـــوع مـــن القطن (الدمور) وأسوقه أمامي"[1] .

وفد الخليفة عبد الله إلى الجزيرة أبا حيث مقر الإمام المهدي ولكنه علم حال وصولـه إليها أن المهدي موجود وقتها في (طيبه القرشي ود الزين) بـــأرض الحلاويين حيـث شـــارك في مـــأتم شيخه الشيخ القـــرشي الذي توفـــي أواخر العام ١٨٨٠م.

تحرك الخليفة من الجزيرة أبا للحاق بالإمام المهدي بطيبة حيث أدركه فيـــها وهـــو يشارك في تشييد قبّه على قبر شيخه " قيل إن الخليفة – لما رآه وقع مغشياً عليه ولم يفق من غشيته إلا بعد ساعة أو أكثر ولما أفاق عاد فنظر إلى محمد احمد وتقدم لمصافحتـــه فأغمى عليه مرة ثانية ثم أفاق وتقدم إلى محمد احمد حبواً على الأرض فأخذ يده وشـــرع يقبّلها وهو يرتعد ويبكي ، فقال له محمد أحمد: من أنت يا رجل؟ وما شأنك ؟ قال : يـــا سيدي أنا عبد الله بن محمد تورشين من قبيلة التعايشة البقّارة وقد سمعت بصلاحك فـــي دار الغرب فجئت لأخذ الطريقة عنك . وكان لي أب صالح من أهل الكشف وقد قال لـــي قبل وفاته إنك ستقابل المهدي وتكون وزيره وقد أخبرني بعلامات المهدي وصفاته فلمـــا وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي بعينها فأبتهج قلبي لرؤيـــة مهدي الله وخليفة رسول الله ومن شدّة الفرح الذي شملني أصابني الذي رأيته "[2] .

---

[1] سلاطين – السيف والنار في السودان – مكتبة الحرية الخرطوم ١٩٣٠م ص٤٤ .

[2] نعوم شقير – جغرافية وتاريخ السودان ص٦٤٣ . كما راجع سلاطين ص٤٤ .

رغم أن محمد أحمد كان راسخ القدم في التصوف وله أتباع ومريدون وقد وقع عليه الاختيار ليكون خليفة للطريقة السمانية بعد وفاة الشيخ القرشي ، إلا أنه ربما تكون هذه أول مرّة تراوده فيها فكرة المهدية ، وأنه مؤهل لها وذلك بعد سماعه لما قال له عبد الله بن محمد تورشين ، وذلك أن فكرة المهدية رغم أنها كانت سائدة في ذلك الزمان إلا أن أهل السودان لم يكونوا مشغولين بها كمشغولية أهل غرب إفريقيا بها على النحو الذي بيّناه آنفاً .

أصبح عبد الله بن محمد تورشين من أقرب الناس لمحمد أحمد بعد ذلك وعندما توجه محمد أحمد نحو الجزيرة أبا بعد إكمال تشييد قبة الشيخ القرشي كان عبد الله أحد أولئك الملازمين للمهدي ، وفي طريق العودة لأبا أصيب الخليفة بالدسنتاريا ، وحظي خلال مرضه برعاية خاصة من المهدي ، وأخذ يعوده أثناء مرضه وهو مقيم بأبا ، وفي يوم من أيام سنة ١٨٨١م (ربيع ثان ١٢٩٨هـ) أباح محمد أحمد لعبد الله أن الله بعثه مهدياً وأن الرسول ﷺ أخذه إلى حضرة الأنبياء والرسل كانت تلك بداية الدعوة السرية للمهدية حيث كان عبد الله أول من بلغه ذلك ، وفي ذلك يقول الخليفة " لكن قبل أن يقول هو ذلك لي كنت أنا أعرف منذ رأيت وجهه أنه المهدي المنتظر "[1] .

يتضح من ذلك أن دوراً متعاظماً في انتظار الخليفة عبد الله ليحقق ذلك التلاحم بين قطبي الحركة المهدية – محمد أحمد بن عبد الله المنحدر من أصول عربية من الأشراف تقيم بشمال السودان على نهر النيل وعبد الله بن محمد المنحدر أيضاً من أصول عربية ولكنها تقيم على ضفاف بحيرة الفتري في تشاد وكان الخليفة ضمن الفئة القليلة التي أعلنت مهدية المهدي وشاركت في أول مواجهة مسلحة ضد الحكومة وكان ضمن المجموعة التي وصلت معه للمهدي في هجرته الأولى من أبا إلى قدير في ٣١ أكتوبر ١٨٨١م هذه المجموعة هي التي حققت انتصارات المهدية الأولى على حملة راشد بك وحملة الشلالي ، ونفس هذه المجموعة هي التي شهدت أولى ترتيبات الحركة الإدارية الثورية الناشئة ، حيث عيّن فيها المهدي نفسه خليفة لرسول الله ﷺ ، وعيّن مساعديه خلفاء للخلفاء الراشدين ، وكان أولهم عبد الله بن محمد خليفة للصديق ، وعلي ود حلو خليفة للفاروق ومحمد المهدي السنوسي خليفة لذي النورين ، ومحمد شريف بن حامد خليفة للكرار .

وكان عبد الله ألمع الخلفاء وأقواهم شخصية ، فهو رجل كان يدرك طبيعة ومغزى المهدية من كثرة ما سمع عنها في أهله ، وهو لمّا عُيّن خليفة كان قد بلغ الخامسة والثلاثين من العمر (١٨٤٦-١٨٨١م)، وكان المهدي يكبره بعامين حيث إن المهدي من

[1] سلاطين باشا المرجع السابق ص٤٦ .

مواليد ١٨٤٤م ، وسبب لمعان نجمه أن الخلفاء الآخرين لم يكونوا في مستواه، فالخليفة الثاني كانت خبرته تنحصر في مجال التعليم حيث كان معلماً في الخلوة ولم يكن يتمتع بشخصية قوية ، أما الخليفة الثالث فإنه لم يستجب للأمر يقول نعوم شقير" ولما قام محمد احمد بدعوى المهدية في السودان بعث إلى السنوسي بكتاب يدعوه فيه أن يكون خليفته الثالث أي في مقام الخليفة عثمان بن عفان ، فرفض الدعوة (باحتقار) ولم يرد الكتاب (وقيل) إنه قال للرسول أخبروا محمد أحمد أننا لا نساوي التراب الذي كان يطؤه عثمان. وقد أوعز لملك وداي أن لا يحرّك ساكناً مع محمد أحمد فلا ينصره ولا يحاربه إلا إذا جاء محارباً. فليحاربه "[1] أما الخليفة الرابع محمد شريف فقد كان شاباً حدثاً لم يتجاوز العشرين من عمره ، لذلك لم تكن قدراته ترقى لقدرات الخليفة عبد الله ، لذلك برزت شخصية الخليفة وزاد شخصيته بروزاً أن حركة الثورة الأولى انطلقت في مناطق غرب السودان وهي بيئة أقرب إلى البيئة التي وفد منها الخليفة وإذا نظرنا إلى التقسيم العسكري للثورة المهدية رأينا أن قدرة الخليفة عبد الله على الحركة كانت أفضل ، حيث إنه تولّى الراية الزرقاء ، والتي كان ينضوي تحتها قبائل غرب السودان في كل من كردفان ودارفور وهي مسرح حركة الثورة الأولى ، بينما كانت الراية الحمراء من نصيب الخليفة شريف ، وينضوي تحتها قبائل الجزيرة وشمال السودان ، والراية الخضراء التي خص بها الخليفة علي ود حلو ينضوي تحتها قبائل النيل الأبيض ، أما الراية الصفراء والتي تخصّ الخليفة – الغائب محمد السنوسي فلم يكن لها وجود ولم يخصص لها جنود .

مما أبرز شخصية الخليفة – إضافةً لما سلف – أن المهدي كان قد أوكل لشقيقه محمد بن عبد الله مهمة إمارة جيوش المهدية إلا أنه استشهد عند فتح الأبيض فآل المنصب للخليفة ، فأصبح هو الخليفة الأول وزعيم ، أكبر راية وجنودها مسكنهم هو منطقة العمليات نفسها، ثم أصبح أميراً عاماً لجيوش المهدية .

إن أقوى ما يمكن أن ينسب للخليفة عبد الله في مسيرة المهدية وتأسيس نظامها والتمكين للإسلام في المنطقة ، هو إيمانه الراسخ بفكرة المهدية ، وكذلك إيمانه بمهدية محمد أحمد ، وإخلاصه التام لفكرته وقائده وتوظيفه لقدراته لدفع مسيرة الثورة وتنفيذ برنامجها .

تسارعت الأحداث بعد هجرة المهدي لقدير وكانت استجابة القبائل لنداء المهدية قويةً ونُفّذت تعليمات المهدي في الضغط على مراكز الحكومة في كردفان بصورة ممتازة ، ويرجع الفضل في ذلك لقوات الراية الزرقاء ، وقائدها الميداني يعقوب بن محمد شقيق الخليفة ، فقد انضوت قبائل الحمر والحوازمة والبديرية والجوامعه لهذه الراية ، وكان

---

[1] نعوم شقير — جغرافية وتاريخ السودان ص١٥١ .

أكبر نجاحاتهم هو تحرير الأبيض في ١٩ يناير ١٨٨٣م ، والقضاء على حملة هكس في ٥ نوفمبر ١٨٨٣م هذه الانتصارات هي التي مهّدت الطريق أمام الثورة ، فقد كان من نتائج فتح الأبيض وهزيمة هكس استقالة الحكومة المصرية ، وإخلاء حامياتها في أنحاء مختلفة من السودان ، وسقوط دارفور وبحر الغزال في يد المهدي ، وكانت أفضل النتائج لأهل السودان قرار الحكومة بإخلاء السودان ، وتكليف غردون للسفر للخرطوم لإنجاز مهمة سحب بقية القوات ، ممّا يعني أن الحكومة قد اذعنت بترك البلاد للمهدية وبعد ذلك اتجه تفكير المهدي جدياً في مهاجمة الحكومة في الخرطوم ، وبدأ الزحف نحوها حتى تحقق الانتصار في ٢٦ يناير ١٨٨٥م وسقطت المدينة في يد عبد الرحمن النجومي القائد الميداني لجنود الراية الحمراء .

بعد تحرير الخرطوم بستة شهور مرض المهدي مرضه الذي مات فيه ، وتمت البيعة للخليفة عبد الله وصلّى على جثمان المهدي وأشرف على دفنه في التاسع من رمضان ١٣٠٢هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٨٨٥م، وخطب الناس مبلّغاً أيّاهم بالوفاة ، وأصبح من يومها هو رأس الدولة المهدية .

رغم بلاء الخليفة الحسن في إرساء فكرة المهدية ونشرها والدفاع عنها ، إلا أنه واجه بعض الصدّ وعدم الرضا من كبار رجال المهدية ، فقبل وفاة المهدي بعامين أي في يناير ١٨٨٣م توجّه نفرٌ من أقرباء المهدي يشكون له الخليفة ، ويطلبون إليه إعفاءه ، فكان رد المهدي أن أصدر منشوراً بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٨٣م يؤكد فيه أحقية الخليفة في الخلافة ويأمر بطاعته والتأدب معه.

" اعلموا أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق ، فهو خليفة الخلفاء ، وأمير جيوش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية ، فذلك عبد الله بن محمد ، حمد الله عاقبته في الدارين ، فحيث علمتم أن الخليفة عبد الله هو مني ، وأنا منه وقد أشار سيد الوجودﷺ ، فتأدبوا معه كتأدبكم معي ، وسلموا إليه ظاهراً وباطناً، كتسليمكم لي وصدقّوه في قوله ، ولا تتهموه في فعله ، فجميع ما يفعله بأمر من النبي ﷺ أو بإذن منّا ، فحيث فهمتم ذلك ، فالتكلّم في حقّه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان ، وأعلموا أنّ جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب "[1] .

وإشارة المهدي إلى " أن الخليفة عبد الله هو منّي وأنا منه " إشارة قوية لأقرباء المهدي ، أن صلة المهدية أقوى وأقرب من صلة الدم والرحم . ولكن هذه العلاقة

[1] راجع منشورات الإمام المهدي .

المتوترة بين الخليفة وأقرباء المهدي كان لها أسوأ الأثر في تطّور الأوضاع في السودان في مستقبل أيام حكم الخليفة عبد الله .

ورغم هذه الظروف وما صحبها من تآمر دولي على السودان من الحبشة ومصر وإنجلترا وفرنسا وغيرها إلا أنّ فترة حكم الخليفة شهدت نجاحاً مقدّراً . فالخليفة استطاع رغم هذه الظروف أن يحكم من يوم وفاة المهدي في ٢٢ يونيو ١٨٨٥م وحتى تاريخ استشهاده بأم دبيكرات يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩م والتي تبلغ أربعة عشر عاماً وخمسة أشهر وهي مدة طويلة في مثل تلك الظروف المعقدّة.

استطاع أن يغيّر الحكم في الحبشة ويقتل ملكها يوحنا ، وينهي حكم التقـرّاي على الحبشة ، ويتيح الفرصة للأمهرا من " شوا " أن ينصبّوا الرأس منليك ملكاً على الحبشة ، لتبدأ حقبة حكم الأمهرا التي استمرت منذئذٍ لتنتهي مؤخرّاً بسقوط منقستو سنة ١٩٩١م، ليعود التقراي مرة أخرى لحكم أثيوبيا .

كما استطاع الخليفة إكمال الاستيلاء على سنار ، ليضمن ولاء المناطق جنوب الخرطوم للدولة الجديدة ، أما شمالاً فقد عزّز موقف محمد الخير في دنقلا لتأمينها من هجمات قوات الحكومة المصرية أولاً بود النجومي ثم اتبعه بمساعد قيدوم هباني .

أما في الشرق فقد استطاع الخليفة إخضاع مساحة واسعة من الشرق ، بفضل مجهودات الأمير عثمان دقنة ، الذي أمّن تحرير كسلا ، وأغار على ضواحي سواكن ، وحرّر هندوب ، بل استطاع هزيمة اللواء كتشنر وجرحه في فكه ، حيث أخذ للعلاج في القاهرة وخلفه اللواء هولد سميث . ثم واصل دقنة نشاطه في الشرق حتى تمكّن من احتلال طوكر سنة ١٨٨٩م .

تحت حكم الخليفة أصبحت كل المناطق من دارفور غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً ومن بحر الغزال جنوباً إلى دنقلا شمالاً كلها تشكّل أرضاً موحّدة تحت حكم الشريعة الإسلامية.

عمل الخليفة على إحكام النظام الإداري للدولة المهدية ، فقسّم السودان إلى عمالات مقسمّة إلى أقسام ، وجعل الإشراف الإداري من اختصاصه مباشرة، وعيّن على كل عمالة قائداً عسكرياً يشرف على الشئون العسكرية والإدارية ، يساعده وكيل وقاضٍ وكاتب وأمين مال وعدد من المناديب لجمع الزكاة والإنفاق منها على الجيش ، كما قام الخليفة خلال فترة حكمه بسنّ التشريعات وفق أحكام الشريعة ، وأشرف على تطوير بيت المال ، حيث أنشأ لبيت المال فروعاً " منها بيت مال الملازمين وخصص له إيراد الجزيرة "[1] ، كما أنه فرز بيت مال الخمس عن بيت مال العموم وأضاف إليه الفيء

---

[1] د. فيصل محمد موسى: بيت المال في الدولة المهدية بالسودان – دراسات إفريقية العدد الثاني أبريل ١٩٨٦م ص١٢٢.

كإيراد المشارع والمراكب وأراضي الغنيمة والغابات والسن والصمغ وعشور البضائع ، وجعلها في بيت مال (الخمس والفيء)[1].

كما كان للخليفة الفضل في تأسيس بعض المشاريع المهمة في الدولة المهدية كسك العملة وصناعة الأسلحة والذخيرة .

يُتهم الخليفة بأنه أدخل نفسه في معارك مع (أولاد البلد)[2] بقيادة الأشراف ، واستعان بأبناء الغرب وهجرّهم لأم درمان لإحداث التوازن المطلوب ، وربما تكون هذه نظرة متحاملة على الخليفة ، فالخليفة لم يكن هو الذي بدأ الخلاف مع الإشراف ولكن كل المؤشرات تدل على انهم كانوا البادئين ، وقد أوردنا شكواهم المتكررة للمهدي وكيف أن المهدي حسم ذلك الخلاف أكثر من مرة ، وحتى بعد وفاة المهدي فإن الخليفة شريف استغل عودة أحد أقاربه (محمد عبد الكريم) من سنار على رأس قوة كبيرة من المجاهدين فأخذ يخرج على رأس تلك القوة ويجوب شوارع أم درمان ليثبت أن قوته فوق قوة الخليفة ، ممّا دفع بالخليفة لإرسال تلك القوة إلى دنقلا لدعم محمد الخير ولكن بعد خروجها من أم درمان بلغه أن الخطر الذي كان يقتضي إرسال تلك القوة قد زال ، فأمر القوة بالعودة وتسليم أسلحتها للأمير يعقوب ، واستطاع الخليفة بذلك أن يقلّل من نفوذ الخليفة شريف ، ولكن الخليفة شريف شرع بعد ذلك في تجميع "أولاد البحر" وحشدهم من الجزيرة وغيرها لتكوين تنظيم سري للإطاحة بالخليفة ، وعند افتضاح أمرهم أوشكت أن تقع معركة داخل أم درمان بين الخليفة عبد الله والخليفة شريف الذي جمع قواته عند قبة المهدي ومعهم الأسلحة البيضاء والنارية ، كان ذلك في ٢٤ نوفمبر ١٨٩١م ، إلا أن الخليفة أحاط بهم بقوة كبيرة وأصدر لها تعليمات مشدّدة بعدم إطلاق النار أو الاشتباك مع قوة الخليفة شريف واحتاط للأمر بحشد قوة قوامها عشرين ألفاً لمقابلة قوة الخليفة شريف التي لم تكن تتجاوز الألف شخص، وبعد حصارهم ، بعث الخليفة عبد الله الخليفة علي ود حلو لمفاوضة الخليفة شريف ، وأمره بالتسليم وبعد عدة جولات سلّم الخليفة شريف وصدر عفو بحقه وأحسن الخليفة إكرامه .

ولكن بعد أيام قلائل ثار الخليفة شريف مرة أخرى مما اضطر الخليفة لإيداعه السجن وقد احتج الخليفة رغم ذلك على المعاملة السيئة التي لقيها الخليفة شريف بل إنه عندما قرئ عليه قرار إدانة الخليفة شريف ولم يسبق اسم الخليفة شريف لقبه غضب الخليفة عبد الله ، وقال لهم هل أنتم أعطيتموه اللقب حتى تنزعوه منه فاثبتوا لقب الخليفة للخليفة

[1] د. فيصل محمد موسى: المرجع السابق نفس الصفحة .

[2] تعبير يقصد به سكان مناطق وسط وشمال السودان ويسمون كذلك " أولاد البحر " مقابل " أولاد الغرب " للذين يقصد بهم أبناء كردفان ودارفور .

شريف ، هذا يدل على تسامح الخليفة ، وسعة صدره للتعامل مع أحداث ثورة الأشـراف ضده ، لذلك عندما عمل على تجهيز قبائل الغرب نُظر إلى ذلك الفعل على أنه محاولـة من الخليفة عبد الله لإحداث توازن في القوة بينه وبين أولاد البحر ، ربما يكـون ذلـك كذلك ولكن هناك اعتبارات أخرى لابد من الإشـارة إليها ، حتى تفسّر لمـاذا عمـل الخليفة على تهجير قبائل الغرب لأم درمان ، ومن ذلك :

١/ أن الخليفة كان يواجه حرباً مستمرة أولاً لتامين انتصار الثورة وثانيـاً لإيقـاف أي زحف معاد ونظراً للمساحة التي كانت تدور فيها المعارك فإن الحاجة لعدد كبـير مـن البشر كان أمراً ضرورياً ، فمن بحر الغزال جنوباً إلى دنقلا شمالاً كانت تدور المعـارك ومن سواكن شرقاً إلى حدود نهر عطبرة غرباً كانت هناك معارك أخرى هذا فضلاً عـن المعارك الضارية ضد الحبشة.

٢/ أن الخليفة وهو قادم من أقصى الغرب جاء مدفوعاً بحماس شديد وتوصيات مقـدرة تحث أهل الغرب على الهجرة للشرق لنصرة المهدي فإن حمل أبناء الغرب لنيـل هـذا الشرف كان عملاً مطلوباً من الخليفة لتأكيد إيمانه بالمهدية ودعوتها ولو كان الأمر متعلقاً بتفضيل أولاد الغرب على أولاد البحر وتقديمهم في الوظائف لما عارضت قبائل الغـرب الهجرة إلى أم درمان وتمردت على الخليفة بما فيها قبيلته التعايشة نفسها وشهد الخليفـة متاعب من قبائل كردفان ودارفور من الكبابيش والرزيقات والفور والمساليت والميـدوب والماهرية والزيادية والهبانية وبني هلبة أكثر مما شهد من متاعب قبائل تقيم على النيل ، مما يدل على أن تفضيل الخليفة لأولاد الغرب على حساب أولاد البحر لم يكن صحيحـاً على إطلاقه .

أن نتائج هجرات تلك القبائل من الغرب إلى أواسط السودان هي التي أعطت السودان نسيجه الاجتماعي المترابط الآن فوجود أبناء التعايشة والرزيقات والمساليت على ضفاف النيل الأزرق من علامات صحة التماسك في النسيج القومي السوداني الحالي مما يـدل على بعد نظر الخليفة عبد الله رغم ما أثير حول عمله ذاك من تشويش وتشوية فـالأمور بمآلاتها والأعمال بخواتيمها .

الخلاصة:

تشكّل هذه الحقبة والتي دامت إحدى وثلاثين سنة أكثر الفترات أهميـة فـي تـاريخ العلاقات بين البلدين ، حيث شهدت هذه الفترة تداخلاً واسعاً واختلافاً شديداً ، فقد شـكّلت المهدية بفكرتها الأساسية وبرنامجها الثوري الإسلامي عامل توحيد لشـعوب المنطقـة . ففكرة المهدية التي نادى بها محمد أحمد بن عبدالله فكرة كانت سائدة في منطقـة غـرب

إفريقيا ، فبحثاً عن المهدية والمهدي هاجرت مجموعات كبيرة من البشر من غرب ووسط إفريقيا إلى السودان ، وقد كان من بين المهاجرين بحثاً عن المهدية عبدالله بن محمد توشين وهو من مواليد تشاد والذي صار بفضل جهاده في الثورة المهدية ، خليفة للمهدي، ورئيساً للدولة الإسلامية التي كانت حاضرتها أم درمان ، وامتداداتها بلغت حتى مالي في غرب إفريقيا ، على نحو ما رأينا فيما سبق ، وبذلك صارت أقدار السودان وتشاد مترابطة لدرجة قوية جداً .

كما شهدت هذه الحقبة على قصرها إمدادات دولة بحر الغزال الإسلامية على يد رابح فضل الله ، حتى غطت جزء من أراضي دولة تشاد . وبفضل هذا التداخل فإن الحدود القائمة الآن بين البلدين لم تكن تعتبر حدوداً فاصلة ولا مفرقة ، لا سيما إذا عرفنا عمق الصلة والولاء الذي كان قائماً بين رابح والإمام المهدي باعتبار أن الأول كان عاملاً للثاني على المنطقة ، يحارب تحت راياته وبشعاراته ، وكان للخليفة عبدالله أثر كبير في تعميق هذه الصلة ، وهي ليست صلة فوقية خاصة بالقيادات ، ولكنها صلة امتدت جذورها بين الشعوب ، حيث رأينا الهجرات المتتالية من تلك المناطق لنصرة المهدية قبل إعلانها وبعد تحقيق انتصاراتها .

إن السودان المعاصر هو نتيجة لاختلاط عناصر سكانية هاجرت للسودان من أنحاء مختلفة ، من الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً ومن جنوب مصر ، وقبائل كثيرة هاجرت من غرب إفريقيا ومن تشاد على وجه التحديد ، وهي قبائل كان لها في تاريخ السودان المعاصر أثر كبير جداً .

الملاحظ أن هذا الأثر الواضح في هذه الحقبة كان ناتجاً عن التأثير القوي للحقبة الأطول مدى ، والتي أسميتها بحقبة الممالك الإسلامية (١٠٨٥-١٩٢٠م) وجاءت هذه الحقبة خاتمة لتلك الفترة من ١٨٦٩ إلى ١٩٠٠م أي في أخريات حقبة الممالك . ونتائج هذه الحقبة هي التي نبهت الاستعمار إلى ضرورة عمل شئ في المنطقة حتى لا تثمر جهود القرون الطويلة في تشكيل المنطقة وبالتالي تؤدي إلى قيام حضارة جديدة لدول ثورية يجمع بينها برنامج واحد مثل برنامج المهدي ورابح فضل الله وحتى لا يشكّل تحدياً أمام الحضارة الغربية التي كانت قد أعدت برنامجها للسيطرة على العالم وحكم شعوبه .

هذه الحقبة على قرب تاريخها من الأجيال المعاصرة إلا أن الجهل بها يكاد يكون كبيراً ، فقليل من الباحثين كتب عن رابح أو سمع به ، وعدد أقلّ هو الذي يدرك أصل الخليفة عبدالله أو يحفظ له دوره في المنطقة ، والموقف عموماً من رابح والخليفة عبدالله يشوبه كثير من الخلط والتعتيم والخطأ وسوء القصد وهو أمر يحتاج من الباحثين لمزيد من البحث والدراسة لإنصاف المنطقة وتاريخها وقيادتها من أعدائها ومن أبنائها .

الباب الثالث :

الحقبة الاستعمارية وأثرها في تعويق المد الإسلامي ١٩٠٠ – ١٩٥٦م

الفصل الأول

أثـــر الرحـــالـــة والمبشـــرين

الفصل الثاني

الاستعمار البريطاني في السودان ١٨٩٩ ـ ١٩٥٦م

الفصل الثالث

الاستعمار الفرنسي في تشاد ١٩٠٠ - ١٩٦٠م

الفصل الأول

أثـــر الرحـــالة والمبشرين

المبحث الأول : أثر الرحالة والمستكشفـــين :

المبحث الثاني: أثر كتاب المذكرات والإداريين .

المبحث الثالث: أثر القساوسة والمبشـرين .

المبحث الأول : أثر الرحالة والمكتشفين :

شكل ما قام به الرحالة الأوربيون لإفريقيا القاعدة العلمية للنشاط الاستعماري الذي أعقب ذلك وقد شهد القرن التاسع عشر نشاطاً مكثفاً من قبل بريطانيا وفرنسا بمنطقة السودان وتشاد (فمن الشمال نجد البعثة البريطانية ففي سنة ١٨٢٥م عبر الصحراء من طرابلس كل من كلاربرتون ودنهام وأودني ووصلوا إلى بحيرة تشاد ونهر شاري)[1] وتعاقبت الرحلات بعد ذلك حيث وصلت مجموعة بقيادة جيمس ريتشاردسون سنة ١٨٤٥م ضمت بارث الألماني ووفر فنج وفوجل والذين تمكنوا من الوصول إلى وداي ولكنهم ماتوا جميعاً في وداي إما حتف أنوفهم أو قتلاً مثل ما حدث للأخير فوجل سنة ١٨٥٦م ولم يرجع منهم سالماً إلا بارث الذي نشر ما جمعه من معلومات بعد عودته لبريطانيا وكان لها أثر كبير في النشاط الاستعماري بعد ذلك في المنطقة .

من الجهود التي كان لها أثر كبير في هذا المجال مجهودات ديفيد لفنجستون الذي وصل أفريقيا سنة ١٨٥١م وهو مبشر بريطاني لكنه لعب دور مراسل صحفي لعدة صحف وركز على تعريف أوربا بالنظام الاجتماعي السائد في إفريقيا وعندما اختفى لفترة من الزمن في إفريقيا حظي باهتمام إعلامي خاص وأرسلت مجلة نيويورك هيرالد مراسلاً آخر ليقتفي أثر لفنجستون هو استانلي وهو عسكري بريطاني من مواليد بريطانيا سنة ١٨٤١م وهو الذي جمع أعمال لفنجستون وعاد بها إلى أوربا ليرجع مرة أخرى مراسلاً للديلي تلغراف ليصل إلى الكنغو مراسلاً صحفياً ولكنه كان في الحقيقة مبعوثاً لملك بلجيكا الذي أكرمه لاحقاً بإطلاق اسمه على إحدى المدن وهي مدينة (ستانلي فيل) ويعتبر ستانلي مسئولاً عما وقع في المنطقة من تناحر بين القبائل إذ كان حفياً جداً بسياسة (فرق تسد) الاستعمارية حيث سلّح القبائل ضد بعضها وأورث المنطقة بذرة التناحر التي مازالت شجرتها تطرح حتى اليوم ثمارها المّرة . بل لاستانلي وتقاريره تتجه كل أصابع الاتهام بأنها كانت المبرز لثروات إفريقيا التي انعقد لها مؤتمر برلين للاتفاق على تقسيمها وبالتالي تقسيم إفريقيا للحدود السياسية الحالية التي أورثت إفريقيا الفرقة والشتات .

ومن الرحالة الذين كان لهم دور في تشكيل واقع إفريقيا المعاصر برازا الإيطالي الأصل الفرنسي الجنسية من مواليد روما ١٨٥١م والذي عمل بالجيش الفرنسي وتولى مهمة تعريف فرنسا للقادة المحليين فور الذي عقد معاهدة باسم فرنسا مع الملك الكنغولي ما كوكو وهو الذي أسس الحاميات الفرنسية الاستوائية وهو الذي أسس أول فروع للشركات التجارية الفرنسية في وسط إفريقيا وهو الذي دل السلطان قوران سلطان باغرمي للاحتماء بالفرنسيين لمقاومة زحف رابح فضل الله الذي بدأ سنة ١٨٩٣م ووقّع

---

[1] محمد صالح أيوب – مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية – مركز البحوث الإفريقية سبها–١٩٩٢،ص١٢٧.

القوران اتفاقية مع القائد الفرنسي (أميل جنتي) وكان من نتائج تلك الاتفاقية إعادة قوران الذي فر أمام رابح وتأمين ملكه تحت الحماية الفرنسية كما جعلت من قوران دليلاً للجيوش الفرنسية حتى معركتها الفاصلة مع رابح في كسرى واستشهاده سنة ١٩٠٠م ونتيجة لكل هذه الجهود من قبل الرحالة (برازا) والذي توفي بعد ذلك ودفن في دكار سنة ١٩٠٥م[1] استحق أن تسمى مدينة إفريقية أنشأها الاستعمار باسمه وهي مدينة (برازا فيل) التي أصبحت عاصمة للكنغو وهذه المدينة كان قد أسسها الرحالة برازا نفسه عام ١٨٧٩م باسم (فرانس فيل).

ومن الرحالة الذين تجولوا في منطقة السودان وتشاد الألماني غوستاف ناختيغال وهو من مواليد ألمانيا سنة ١٨٣٤م وكمعظم الرحالة عمل في الجيش حيث عمل طبيباً في الجيش البروسي وسافر إلى تونس سنة ١٨٦٢م لتعلم اللغة العربية وإجادتها وكان مهماً جداً تعرفه على اللغة العربية لأنها كانت اللغة السائدة في البلاد التي زارها بعد ذلك (برنو وداي ، باغرمي ، دارفور وسنار) وفي سنة ١٨٦٨م توجه إلى كوكا عاصمة مملكة برنو وكان الساتر الذي سافر تحته – وهو يقود حملة استكشافية – إيصال هدية من ملك بروسيا وليام للشيخ عمر بن الحاج محمد الأمين الكانمي سلطان برنو تقديراً لمعاملته الحسنة للرحالة الألمان الذين زاروا برنو وهذا التكليف يدل على أن ناختيغال لا يزال يعمل في إمرة ملك بروسيا ضابطاً في جيشه وليس صحيحاً ما أوردته ناديا كركي وزميلها القسيس هنري كودري في المقدمة التي قدما بها فصلاً من كتاب ناختيغال (الصحراء والسودان) حيث زعما أن ناختيغال كان قد استقال من الجيش البروسي لأسباب صحية وسافر إلى شمال إفريقية للاستجمام وليت شعري كيف يعقل سفر طبيب أوربي من أوربا للاستشفاء في تونس في تلك الأيام من سنة ١٨٦٢م والعجيب أن مقدما الكتاب لم ينسيا أن يذكرانا أن طبيب الجيش الألماني عندما التحق بتونس عمل طبيباً خاصاً عند البيك حاكم تونس ونسيا أن يذكرا في أي مستشفى وعند أي طبيب ذهب ناختيغال للاستشفاء في تونس سنة ١٨٦٢م ولذلك يغلب على الظن أن الرجل استخدم الأمر كله ساتراً لتعلم اللغة العربية التي سيحتاج إليها في مهمته في برنو وداي – على النحو الذي سيتضح لنا لاحقاً – يقول مقدما الكتاب" وعندما كان أي (ناختيغال) على أهبة العودة إلى وطنه في أواخر سنة ١٨٦٨م (بعد أن أكمل علاجه في تونس) – عرضت عليه فجأة (لاحظ فجأة هذه) رئاسة حملة استكشافية إلى كوكا عاصمة برنو قرب بحيرة تشاد. ولما كان يضمر منذ نعومة أظافره سبر غور أسرار بحيرة تشاد (وحق لنا أن نسأل هل كان ناختيغال عندما كانت أظافره ناعمة قد سمع بشيء اسمه بحيرة تشاد ،

[1] راجع محمد صالح أيوب المرجع السابق ص٢٣٠.

وكيف يعقل أنه عندما صار خشن الأظافر جاء ليستكشفها بكل دلالات كلمة يستكشف من الجدة والحداثة) أسرع في القبول"[1].

بدأ ناختيغال رحلته من طرابلس يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٦٩م وخلال فترة إقامته في كوكا عاصمة برنو تعرف على أحد علماء وداي اسمه الفقيه آدم والذي تطوع بمد ناختيغال بمعلومات كثيرة عن تاريخ وداي وتقاليد أهلها وساعده في ذلك تعلمه العربية في تونس ورجع ناختيغال بعد ذلك إلى طرابلس لتسليم تقريره عن رحلته لقنصله في طرابلس وفي أبريل ١٨٧٣م وصل ناختيغال إلى وداي حاملاً كتاب توصية من الشيخ عمر الكانمي سلطان برنو إلى السلطان علي سلطان وداي .

إن استعراض خطاب السلطان عمر الكانمي ورد السلطان علي على الخطاب يبين حسن النية التي كان يعامل بها المسلمون هؤلاء الرحالة رغم انطوائهم على مكائد لم تلبث أن اتضحت معالمها في فترة وجيزة .

خطاب السلطان عمر الكانمي إلى السلطان علي :

" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . من عبد الله تعالى عمر بن محمد الأمين الكانمي إلى حضرة المكرم الفاضل حاوي الفضائل والفواضل ، الأمجد الشامل ، الأسعد الكامل ، صاحب الأخلاق المرضية والمزايا السنية . محبنا السلطان محمد علي بن الفاضل الشهير السلطان محمد شريف ، أبرك السلام وأسنى التحية والإكرام ورحمة الله تعالى وبركاته على الدوام .

أما بعد ،

بموجب كتابنا هذا إليكم يقدم إليكم الذمي النصراني إدريس[2] افندي ونيته المجاوزة إلى أرضه أرض النمسة فنطلب من سيادتكم أن يجاوز سالماً مطمئناً مؤمناً آمناً على أحسن الأحوال بتشييعكم السعيد إلى فور لأنه جاء إلينا بالذمة والعهد والأمان ومن قواعد شرعنا الطاهر مراعاة عهد الذمي حتى قال شيوخ المذهب إن ظلمه أشد من ظلم المسلم لضعفه في بلاد الإسلام فهذا الذي ذكرناه هو الذي نطلبه من نظركم والعمل على المذكور هو الظن بكم ، كان الله تعالى للجميع.

والسلام

بتاريخ ضحوة الخميس أول يوم من شهر الله تعالى ذي الحجة الحرام سنة ١٢٨٩م .

---

[1] ناختيغال – تاريخ وداي – ترجمة ناديا كركي ومتري كردري – أنجمينا سنة ١٩٩٢م ص١ – العبارات بين الأقواس من عند الباحث

[2] لاحظ الاسم الذي اختاره لنفسه إدريس وليس الاسم الذي سماه به أبوه (غوستاف) .

رد السلطان علي :

يقول ناختيغال في كتابه (الصحراء والسودان) الذي صدر بالألمانية سنة ١٨٨٩م أنه لما سلم السلطان علي سلطان وداي رسالة الشيخ عمر الكانمي قال له السلطان علي " سوف تمنح الأمان ما دمت في معيتي وفي دياري وإذا رغبت في التعرف على كل أنحاء المملكة فلك ذلك إذ أنني أعلم جيداً أن الأوربيين يسافرون إلى أقاصي العالم بغية توسيع آفاق معارفهم ولا يزالون عاكفين على تحقيق ما صمّموه مهما كلفهم الأمر . أما أنا وإن لم أفهم مرادك والمنفعة التي ستجنيها فلا أكون حجر عثرة بدربك "[1] .

من استعراض خطاب السلطان عمر يتضح الآتي :

١- أن ناختيغال عمد إلى الكذب بانتحال اسم غير اسمه فاسمه غوستاف واستخدام اسم إدريس يدل على أنه يستخدم اسماً مستعاراً لمهمة لا يصلح معها استخدام الاسم الأصلي .

٢- ادعى أنه عابر سبيل ولا قصد له في الإقامة ولذلك ورد في خطاب السلطان عمر " ونيته المجاوزة إلى أرضه " ومعلوم أن هذه ليست نيته ولا يمكن لعابر أن يجمع معلومات عن بلد في كتاب تصل صفحاته إلى أكثر من مائتي صفحة ويكون عابراً علماً بأن ناختيغال وصل وداي في ابريل سنة ١٨٧٣م وغادرها في ١٧ يناير سنة ١٨٧٤م (حوالي عشرة أشهر) .

٣- مثلما عمد ناختيغال للكذب حول اسمه ، عمد كذلك للكذب حول جنسيته فزعم أنه من النمسا ، إذ في خطاب السلطان عمر " ونيته المجاوزة إلى أرضه ، أرض النمسة " وإخفاء جنسيته وانتحال جنسية أخرى ، دليل آخر على سرية مهمته وحاجته للتعمية . وقد يكون الذي حمله على تغيير جنسيته أن أحد الرحالة الألمان ويدعى (فوجل) كان قد لقي حتفه في وداي سنة ١٨٥٦م عندما كان يقوم بمهمة مشابهة وقتله الأهالي .

٤- جاء في الخطاب " فنطلب من سيادتكم أن يجاوز سالماً مطمئناً مؤمناً آمناً على أحسن الأحوال بتشييعكم السعيد إلى فور " وهذا الطلب ينطوي على أمر غريب إذ كيف تكون وجهته السفر إلى النمسا ويكون ذلك السفر عن طريق دارفور ، علماً بأنه قد جاء من طرابلس مباشرة إلى وداي ويمكنه أن يرجع بنفس الطريق ولا حاجة له بالسفر إلى النمسا عن طريق كوكا – ابشة – الفاشر – الأبيض – الخرطوم القاهرة وهو الطريق الذي ثبت أنه قد اتخذه .

---

[1] غوستاف ناختيغال – المرجع السابق ص ٩ .

أما رد السلطان فيتضح منه الآتي :

١- أن السلطان ساورته الشكوك بخصوص مهمة ناختيغال ولذلك لم ينصرف اهتمامه للحديث عن (مجاوزته لأرضه) إنما مس الموضوع الذي جاء من أجله ناختيغال مباشرة وقال إذ رغبت في التعرف على كل أنحاء المملكة فلك ذلك".

٢- أدرك السلطان تصميم هؤلاء الأوربيين في التعرف على هذه المناطق وأنهم في ذلك " لا يزالون عاكفين على تحقيق ما صمموه مهما كلفهم ذلك " وهو يعلم ما حاق بهؤلاء الأوربيين من قتل وموت أثناء قيامهم بهذه المهام الاستطلاعية وهذا يعني أنهم يبذلون ذلك رجاء تحقيق فائدة أكبر .

٣- عبّر السلطان عن عدم إدراكه لمراد الرحالة والمنفعة التي سيجنيها ولو أنه كان يدرك أن مراد هؤلاء الرحالة ومنفعتهم التي يسعون لتحقيقها هي تدمير ملكه وملك آبائه لربما لم يكن ليسمح لهم ، فقد انصرف تفكيره للحديث عن منفعتهم – التي لم يكن يدركها – دون أن ينصرف للتفكير في حجم الضرر الذي سيحدثونه بأهله وملكه .

واصل ناختيغال بعد ذلك رحلته إلى دارفور ثم الخرطوم ومنها إلى القاهرة التي وصلها سنة ١٨٧٤م[١] .

أن ناختيغال احتاج (لمجاوزة) مملكة وداي إلى عشرة أشهر بينما احتاج لأقل من ذلك (لمجاوزة) ممالك دارفور وكردفان وسنار ومصر .

لقد استفاد ناختيغال فائدة كبيرة من " اعتماده على أعمال التونسي[٢] في عمله عن رحلته إلى وداي سنة ١٨١٠م والذي قام الدكتور بيرون بنشره باللغة الفرنسية في باريس سنة ١٨٥١م[٣] .

المبحث الثاني : اثر كتاب المذكرات والإداريين :

لقد سبق الاستعمار الأوربي إلى إفريقيا حملة واسعة اشتملت على نشاط الرحالة والمكتشفين مثلما رأينا في المبحث السابق واشتملت أيضاً على كتابة المذكرات أما من أبناء المناطق المستهدفة أو من الإداريين الأوربيين الذين عمل بعضهم موظفين في الدولة العثمانية ، وكان لهذه المذكرات أثر كبير في الإعداد والتخطيط والإدارة من قبل المستعمرين للبلاد الإسلامية ونذكر من ذلك :

---

[١] هو نفس العام الذي وصل فيه رودولف سلاطين في زيارته الأولى للسودان .

[٢] محمد بن عمر التونسي .

[٣] راجع محمد صالح أيوب – مجتمعات وسط إفريقيا – مرجع سابق ص١٢٨ .

١/ الحسن الوزان (ليون الإفريقي) :

ولد الحسن بن محمد الوزان في غرناطة في الأندلس سنة ١٤٨٨م[1] وشهد سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس واضطر مع كثير من المسلمين مغادرة غرناطة سنة ١٤٩٤م " ذلك العام الحافل بالبلاء والتمزق كانت نهاية مهلة السنوات الثلاث التي منحت للغرناطيين للاختيار بين الخضوع والمنفى، فحسب اتفاق التسليم كان أمامنا حتى بداية عام ١٤٩٥ المسيحي للتقرير ، بيد أنه لما كان اجتياز البحر محفوفاً بالريب منذ شهر أكتوبر فقد كان من الخير الذهاب في الربيع أو في أقصى حد في الصيف ، وسرعان ما ألصق بمن رغب في البقاء النعت الذي سبق إطلاقه على المسلم القاطن أرضاً مسيحية (مدّجن) وهي كلمة حرفها القشتاليون إلى (مديجار) [2] فهاجر من هاجر إلى فاس وفي عام حجه سنة ١٥١٨م وعند العودة إلى بلاده وقع في أسر أحد القراصنة الصقالبة واسمه (بيتروبوفاديليا) الذي قدمه بعد أسره هدية لبابا الفاتيكان البابا يوحنا ليون بمناسبة عيد القديس فالنتينو يوم الأحد ١٤ فبراير ١٥١٩م .

تعرّف الوزان على مهمته من أحد القساوسة الذين رتّبوا له أول لقاء مع البابا بقوله " يا سيد حسن إن قدومك إلى هنا مهم ، مهم للغاية وليس في وسعي أن أقول لك أكثر من هذا لأن السر يعود إلى الأب الأقدس (يعني البابا) وهو وحده يستطيع كشفه عندما يرى الأمر مناسباً ولكن لا تظن أن حكايتك مردها إلى الصدفة الخالصة أو إلى نزوة قرصان، لا أريد أن أقول لك أن (بوفاديليا) الطيب قد جاب البحار بحثاً عنك ، لا ، على الإطلاق ، بيد أنه كان يعرف أي نوع من العرب عليه أن يقدّم للأب الأقدس ، رحالة مستنير ، ولقد عثر فوق ذلك على سفير[3] وما كنا لنرجو كل هذا "[4] وفي لقائه مع البابا ليون شرح له ماذا يريد "إن رجلاً يملك الفن والمعرفة هو دائماً على الرحب والسعة عندنا لا بوصفه خادماً بل بوصفه محمّياً ، والحق أنّ قدومك إلى هذا المنزل قد تمّ خلافاً لإرادتك وبوسائل لا يمكننا أن نقرها ، بيد أن العالم مخلوق هكذا بحيث كثيراً ما تكون الرزيلة ساعد الفضيلة وكثيراً ما تتم أجلّ الأعمال لأسواء الأسباب وأسوأ الأعمال لأجل الأسباب"[5] وتمّ

---

[1] ذهب مقدما كتاب وصف أفريقيا أن الحسن الوزان ولد سنة ١٤٨٣م راجع محمد حجي ومحمد الأخضر مقدمة كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان – دار الغرب الإسلامي ، ص٧ .

[2] أمين معلوف : ليون الإفريقي (ترجمة د. عفيف دمشقية) دار الفارابي – بيروت ١٩٩٤م ، ص٧٩ .

[3] عمل الوزان سفيراً ببلاط سلطان فاس محمد الوطاس ومبعوثاً منه إلى السلطان سليم الأول العثماني (انظر الحسن الوزان – وصف إفريقيا ص١٠) .

[4] أمين معلوف : ليون الإفريقي (ترجمة د. عفيف دمشقية) دار الفارابي – بيروت ١٩٩٤م ،ص٣١٣ .

[5] نفس المصدر ص٣١٤ .

تنصير الحاج الحسن بن محمد الوزان وحول اسمه إلى يوحنا ليون وهو نفس اسم البابا الذي أرسل قرصاناً للقبض عليه وحتى يفرّق بينه وبين البابا كان ينادى (ليون الأفريقي).

قام الحسن الوزان قبل أسره بعدة رحلات[1] :

١- رحلة إلى الشواطئ الغربية من فاس وزار فيها منطقة سلا .

٢- رحلة إلى وسط المغرب زار فيها مدن تالا وتغزا .

٣- رحلة إلى بلاد السودان حيث ذهب سفيراً من سلطان فاس إلى اسكيا محمد سلطان سنغاي .

٤- رحلة إلى الأطلس الكبير .

٥- رحلة إلى الأطلس الغربي والشمالي .

٦- رحلة إلى سوس ومراكش .

٧- رحلة إلى الحجاز عبر تازا ودبرو وتلمسان وتونس .

٨- رحلة إلى الاستانة زار فيها بلاد الشام ومصر والسودان .

٩- رحلة إلى ليبيا وتونس .

هذه الحصيلة من الرحلات والخبرات هي التي أغرت به الإيطاليين فأسروه وطلبوا إليه أن يدّون خبراته ومعلوماته فألفّ في ذلك عدداً من الكتب ويشير الأستاذان د. محمد حجي ود . محمد الأخضر في تقديمهما لكتاب وصف إفريقيا أن هذه الكتب التي ألفّها في إيطاليا هي[2] :

١-معجم عربي – عبري لاتيني ألفّه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون وانتهى من تأليفه بمدينة بولونيا .

٢-كتاب في التراجم ، باللاتينية عرّف فيه بثلاثين شخصية بارزة من فلاسفة العرب وأطبائهم وانتهى من تأليفه سنة ١٥٢٧م ونشر في زوريخ سنة ١٦٦٤م.

٣-الجغرافيا العامة كتاب ضخم باللغة العربية اطلع عليه بعض مترجميه القدامى إلا أنه ضاع ولم يبق منه غير القسم الثالث الذي ترجمه الوزان نفسه إلى اللغة الإيطالية واعتمد عليه في كتابه الأشهر <u>وصف إفريقيا</u> .

٤- كتاب وصف إفريقيا اعتمد فيه الوزان على مشاهداته وما ظل عالقاً في ذهنه – بعد عشر سنين من الأسر – من كتابات ابن خلدون والقيرواني والبكري والإدريسي والعمري فهو بذلك جمع للمستعمرين الإيطاليين خلاصة تجاربه الشخصية ومعارفه التي استقاها من خبرة الرحالة والكتاب العرب .

---

[1] راجع الوزان : وصف إفريقيا ج١ ، ص٨-١٠ .

[2] راجع الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج١، ص١٢ .

فلأي مقصد عمد الإيطاليون على حمله التأليف هذه الكتب ؟؟؟

أ/ الراجح أن أوربا في تلك الأحيان كانت تقبل على نهضة علمية لا قبل لها بها وكان لابد لها من الاستعانة بالعالم الإسلامي ولذلك تُرجم كتاب الوزان إلى اللاتينية و الهولندية والإنجليزية والفرنسية .

ب/ كانت أوربا تُعِدّ لحملاتها الاستعمارية على العالم الإسلامي بعد نجاح تجربتها في الأندلس وكانت ترغب في معرفة واقع هذه البلدان التي كانت مجهولة بالنسبة لها ولذلك أفادت أيّما فائدة من مثل هذه المذكرات .

ذكرنا نموذج الوزان رغم أنه لا علاقة له مباشرة بالحديث عن المنطقة موضع البحث – إلا من خلال رحلته الثامنة – لندلل على النمط الذي كان يتبعه الغربيون في الإفادة من كتّاب المذكرات حتى ولو كان الميّسر لذلك أعمال القرصنة والاختطاف والاستعمار وتحويل الناس عن أديانهم . وإذا علمنا أن كل تلك المناطق التي وصفها الوزان في كتابه خضعت للاستعمار بعد ذلك حُقّ لنا توجيه الاتهام لأولئك الذين حملوا كتّاب المذكرات هؤلاء لكتابة مذكراتهم قسراً مثلما حدث للوزان أو رضاً وتطوعاً مثلما سنرى لاحقاً.

٢/ محمد بن عمر التونسي :

ولد محمد بن عمر التونسي في القاهرة سنة ١٧٨٩م من أب تونسي وأم مصرية وعمل أبوه نقيباً لرواق المغاربة بالأزهر الشريف ثم سافر إلى سنار ودارفور وعمل وزيراً في مملكة وداي [١] وانقطعت أخبار الوالد عن أسرته فتسقطت الأسرة أخباره فنما إلى علمها وجوده في دارفور ولذلك عزم محمد بن عمر أن يبحث عن والده – حسب زعمه – فسافر مع إحدى القوافل من القاهرة إلى دارفور وكان وصوله إلى هناك سنة ١٨٠٣م على عهد السلطان محمد الفضل والذي كان قد تولى السلطة لتوه بعد وفاة والده السلطان عبد الرحمن الرشيد . عاش محمد بن عمر في دارفور سبع سنوات ونصفا أتيحت له فيها فرصة التعرف على البلاد معرفة جيدة .

بعد ذلك سافر محمد بن عمر إلى مملكة وداي حيث كان أبوه قد انتقل إليها وعمل بها وزيراً لدى سلطان وداي السلطان محمد عبد الكريم صابون وكانت مدة إقامة محمد بن عمر في وداي حوالي ثمانية عشر شهراً .

من وداي عاد محمد بن عمر إلى تونس حيث وصلها سنة ١٨١٣م وبذلك تكون المدة التي قضاها منذ أول خروج له من القاهرة حتى وصوله إلى تونس عشر سنوات أتساحت

---

[١] راجع مقدمة د. خليل عساكر ود . مصطفى سعد لكتاب تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . لمحمد بن عمر التونسي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف – القاهرة سنة ١٩٦٥م ج١ ، ص١١ .

له هذه الرحلة التعرف على الدروب والمسالك في كل من مصر وسنار ودارفور ووداي والمناطق المجاورة حتى تونس .

من تونس عاد محمد بن عمر إلى القاهرة حيث التحق بالجيش المصري واعظاً بالفرقة الثامنة مشاة وكان ذلك أيام حكم محمد علي باشا لمصر واشترك التونسي مع تلك الفرقة العسكرية في حرب المورة ولما رجع منها سنة ١٨٣٢م عمل بتنقيح الكتب العربية المترجمة في علوم الطب والتي كانت تدرس لطلاب كلية الطب البيطري بأبي زعبل ، وهناك التقى برجل كانت له أهمية خاصة في حياته وحياة المنطقة بعد ذلك وهو الذي نشر كتب محمد بن عمر التونسي على نحو ما سنعرف لاحقاً إن شاء الله .

يسجل التونسي هذه العلاقة في كتابه تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان فيقول : " وبعد فيقول الفقير إلى رحمة ربه المنان محمد بن السيد عمر التونسي بن سليمان :

لما وفقني الله تعالى لقراءة علوم العربية وأترع كأسي من بينها بالفنون الأدبية حتى حُسبت من بني الأدب وذويه،وعشيرته التي تؤويه ، أناخ الدهر بكلكله على ما بيدي من العين ، فغادره أثراً بعد عين .. وكانت همتي إذ ذاك معروفة بتحصيل العلوم وجمع المنثور منها والمنظوم .

ثم ناجتني القرونة (النفس) أن أسأل من بعض الناس المعونة فتذكرت أن ليس كل أحمر لحمة ، ولا كل أبيض شحمة وربما يريق الإنسان ماء وجهه ولا يحظى بقصده ، وإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا سيما إذا وقع التعس والنكس وكان الطلب من نحس ....

فدخلت في خدمة من تزينت بلطائفه صحائف الأيام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ، ظل الله الظليل على البلاد والأمصار ، حامي ذمار الإسلام وقامع الفجار من أنام الأنام في وارف حلمه وإحسانه وأذاقهم حلاوة الأمن بنجدته وأمانة .

ألا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ، ومالك الأقطار الشامية بإبراهيمية البطل الغضنفر المشهور ، أمير المؤمنين الحاج محمد علي باشا وليّ النعم ، أعلى الله سرادق عز دولته ، وأبد ملكه بمجده وصولته .

وكان أول خدمتي بوظيفة واعظ في الآلاي الثامنة من المشاة وسافرت معه إلى المورة وكابدت المشقات وكنت قبل ذلك سافرت إلى بلاد السودان ورأيت فيها من العجائب ما إذا سطر يكون كزهر بستان ، ثم استخدمت في مدرسة أبي زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخصصت منها بتصحيح كتب الأجزجية .

ومكثت على ذلك حتى اجتمعت بأبرع أهل زمانه حذاقة وفهماً وأذكى أهــل عصــره صناعة وعلماً ، معلم الكيمياء الحكيم " بيرون الفرنساوي ، وقرأ عليّ كتاب "كليلة ودمنة" باللغة العربية فذكرت له ما عاينته في أسفاري من العجائب البهية فحملني على أن أزيـن وجه الدفتر بإيضاح ما شاهدته من العجائب وأخبّره بما حصل لي في تلك الأسفار مــن الغرائب وامتثلت أمرْه لما له عليّ من اليد البيضاء ورأيت أن ذلك أجمل بي أيضاً لقــول صاحب (المقصورة) من الرجز :

إنما المرء حديث تعده   فكن حديثاً حسناً لمن وعى

فشرعت في إبراز خرائدها من صدف الأذهان ، وكشف حجاب خرائدها الحسان إلى العيان وضممت لذلك من النوادر ما سمعته من الثقات أو نقلته من الكتــب علــى ســبيل الاستطراد ، لتكون هذه الرحلة روضة يانعة الأزهار لمن تأمل فيها ، وحديقة دانية الثمار لمن تصتفح معانيها ولم آل جهداً في إيضاح معانيها للمتأملين ولم أتعمّق في غريب اللغــة ليسهل فهمه على السامعين .

ورتبّتها على مقدمة ومقصد وخاتمة ، وفي كل منها أبواب كما يعلــم مــن الفهرســة وسميتها " تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان"[1].

نقلنا هذا النص على طوله – على غير ما جرت به عادة الباحثين– لأن هذا النــص مهم جداً في إيضاح رأينا في المهمة الخطيرة التي تولاهــا التونســي بكتابــة مذكراتــه وإيداعها لدي " بيرون " الذي أفاد منها هو وقومه أيما فائدة لإذكاء الفتن فــي المنطقــة والتحضير للحملات الاستعمارية التي أعقبت ذلك ويحق لنا أن نسأل هنا سؤلاً مهماً :

هل كان كتاب تشحيذ الأذهان لمحمد بن عمر التونســي هــذا تقريــراً اســتخبارياً؟ ولمصلحة من ؟ .

من قراءة النص يتضح الآتي :

١– أن مولد محمد بن عمر التونسي من أب تونسي وأم مصرية وإقامته في مصر بعد رحيل والده لجهة غير معلومة لأسرته ، أوقعت أسرته في مشاكل مادية ونفســية عصيبة اضطرت معها أن تمد يدها للسؤال يقول التونسي " ثم ناجتني القرونــة أن أسال من بعض الناس المعونة " ويبدو أن حظه لم يوفقه على من يسد له خلّة ذلـك أنه تذكر " أن ليس كل أحمر لحمة ولا كل أبيض شحمة وربما يريق الإنسان مــاء وجهه ولا يحظى بقصده ... سيما إذا وقع التعس والنكس وكان الطالب من نحــس "ولذلك اضطر أن يستخدم نفسه لمن يعطيه ويكون له سيداً ويؤويه" فدخلــت فــي خدمة من تزينّت بلطائفه صفحــات الأيــام ... أمير المؤمنين الحاج محمد علــى باشا ....الخ ".

---

[1] محمد بن عمر التونسي – تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان الصفحات من ١ وإلى ٥ .

٢- كان عمله مع محمد علي باشا في قوة نظامية هي الجيش - وإن كانت وظيفته فيه وظيفة واعظ - إلا أنه ملتزم بسلك الجندية حتى أنه شارك في حرب المورة مع محمد علي .

٣- سافر إلى بلاد سنار ودارفور ووداي للبحث عن والده ولنا شك قوي في هذا السبب إذ أنه أدرك أن أباه مقيم بدارفور ، المعلومات وصلته من قافلة كانت قد وصلت لتوها من دارفور واستقى معلوماته من السيد أحمد بدوي وهو ممن كان في تلك القافلة وفي ذلك يقول التونسي : " فلقيت على سبيل المصادفة رجلاً من أهل القافلة مسناً ، ذا هيبة ووقار يسمى السيد أحمد بدوي فقبلت يده ووقفت أمامه برهة فسألني بلطف وقال لي : ماذا تريد ؟ قلت أسأل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم أحد يدلني عليه .

فقال : من هو ؟ وما اسمه ؟

فقلت : اسمه السيد عمر التونسي وهو رجل من أهل العلم .

فقال : على الخبير به سقطت ، هو صاحبي وأنا أعرف الناس به وأرى بك شبهاً له ، فكن ابنه .

فقلت : أنا هو ، على تغيّر حالي وتبلبل بالي .

فقال : يا بنّي ما يُقعدك عن اللحاق بأبيك ، لترى عنده ما يهنيك .

قلت : قلة ذات يدي واعتدادي وعددي .

فقال : إن أباك من أعظم الناس عند السلطان أكرمهم عليه دون أهل الديوان وإن أردت التوجه إليه فأنا علّي مؤونتك ومركوبك وراحتك حتى تصل إليه وتقف بين يديه"[١] .

فوالده إذاً كان معروفاً وكان السفر إليه ممكناً ولكن لو تتبعنا قصته بعد ذلك نجد أن التونسي قد أرسل خطاباً لوالده عند انطلاق القافلة ووصل الخطاب إلى أبيه وجاءه منه رد وهدية للسيد أحمد البدوي جزاء ما صنع بابنه - كل ذلك قبل أن يدرك التونسي والده - واستقبله عمه أحمد زروق وما لبث أن لقي والده بعد ذلك بحلة " جولتو " من حلال أبي الجدول"[٢] وبعد مضي وقت قصير من التقاء الوالد بولده قرر الوالد العودة إلى تونس وترك ولده الذي قطع الفيافي ليلقاه في دارفور ، ثم يحكي لنا التونسي أن أباه - حال مروره بوداي في طريقه إلى تونس - طلب له المقام في وداي بل وعمل فيها وزيراً في بلاط السلطان محمد عبد الكريم صابون وبعد ذلك أقام التونسي في دارفور

[١] راجع التونسي ص٣٩ .

[٢] المرجع السابق ص٦٢.

سبع سنوات ونصف سنة وتوجه إلى وداي وأقام فيها ثمانية عشر شهراً وكانت حصيلة لقائه بوالده الذي تكبّد المشاق لملاقاته لا تتعدى الأشهر القلائل فكيف يستقيم ذلك ؟

٤- لما عاد التونسي من جولته التي مر فيها بدارفور ووداي وتونس، عاد إلى مصر وعمل في الجيش ثم عمل بعد ذلك في مدرسة بأبي زعبل لتصحيح الكتب الطبيعة " وهو عمل حكومي أيضاً .

٥- أثناء عمله في مدرسة أبي زعبل التقى بالفرنسي " بيرون " والذي كان له دور مهم في حياة التونسي بعد ذلك فهو الذي ذكر له التونسي أخبار رحلاته في بلاد السودان " فحملني على أن أزين وجه الدفتر بإيضاح ما شاهدته من العجائب وأحبره بما حصل ليّ في تلك الأسفار من الغرائب فامتثلت أمره " (١) .

٦- اشتمل كتاب التونسي على :

أ/ المقدمة وفيها ثلاثة أبواب الأول عن السبب الباعث لرحلته لبلاد السودان والثاني وصف فيه الطريق من مصر إلى دارفور في وصف تفصيلي ذكر فيه المسافات ومعالم الطريق والآبار والثالث ذكر فيه نبذة عن سيرة السلطان عبد الرحمن الرشيد وهي سيرة لم يشهدها التونسي لأنه سافر إلى مصر بعد وفاة الرشيد وتولى محمد الفضل ولكنه سمعها من بعض زملائه في القافلة مما يعني أنه كان شديد الاهتمام بأخبار دارفور قبل وصوله إليها وليس لمعرفة أخبار والده .

ب/ المقصد وفيه تسمية موفقه جداً ولها دلالتها في بيان الهدف الذي كتب كتابه من أجله ويشتمل المقصد على ثلاثة أبواب ، الأول وفيه صفة دارفور وأهلها وعوائدهم وعوائد ملوكهم وأسماء مناصبهم ومراتبهم وفي هذا الباب رسم هيئة مجلس السلطان ومقر الحكم [١] وملابس الملوك ومتعلقاتهم ... الخ . الثاني وذكر فيه بعض عادات دارفور المرتبطة بالزواج والحياة الاجتماعية ، أما الثالث فخصصه لذكر أمراض السودان والمأكولات وصحة الأقاليم والصيد وبعض الحيوانات ومعاملة الأهالي .

ج/ الخاتمة وتشمل على ذكر أنواع النباتات في دارفور كما ذكر شيئاً عن السحر و(التعزيم) وضرب الرمل وغيره .

وجملة المعلومات التي وردت في الكتاب هي مما تحتاجه الاستخبارات والجيوش علماً بأن الكتاب محليّ بالرسومات ومزود بالخرط التفصيلية .

٧- لمحمد بن عمر التونسي كتاب آخر سماه (الرحلة إلى وداي) قام (بيرون) بترجمته إلى الفرنسية ونشره في باريس سنة ١٨٥١م وكان الظن كما ورد في مقدمه د. خليل عساكر وزميله مصطفى مسعد لكتاب " تشحيذ الأذهان " " أما النص العربي لهذه

---

[١] أنظر ملحق رقم (٥) .

الرحلة – إلى وداي – فانه لم ينشر حتى اليوم ولا نعرف عنه شيئاً ولعله في حوزة ورثة بيرون "[1] ، غير أن الباحث اطلع على مخطوطة للكتاب باللغة العربية في المعهد الوطني للدراسات الإنسانية بأنجمينا وهنالك صورة للنسخة بمكتبة الباحث وهو مذكور في الملاحق المرفقة مع هذا البحث .

٨- الأصل العربي لكتاب تشحيذ الأذهان هو النسخة التي كتبها بيرون بخطه ونشرها في باريس سنة ١٨٥٠م وجاء في هذه النسخة " وذلك برسم وخط السيد بيرون "[2] كما أن الترجمة الفرنسية للكتاب والتي سبقت النص العربي في الطباعة هي الأخرى من عمل بيرون وذلك سنة ١٨٤٥م وعنوانها :

(VOYAGE AU DARFOUR, OU: L'AIGUISEMENT DE L'ESPRIT, PAR LE VOYAGE AU SOUDAN ET PARMI LES ARABES DU CENTRE DE L'AFRIQUE).

٩- الأهم من كل ذلك أن الكتاب اشتمل على ملحق أعده " بيرون " وسماه (الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور ومشروع الحملة المصرية على دارفور سنة ١٨٤٣م) مما يدل على أن طلب بيرون من التونسي كتابة مذكراته كان القصد منه التجهيز لمشروع الحملة المصرية على دارفور ، والسؤال أيضاً هل كان (بيرون) يعمل لصالح محمد علي باشا أم لصالح جهات أخرى ؟ فإذا علمنا أن فرنسا كانت ترتب لغزو المنطقة وأن محمد علي باشا والذي كانت جيوشه قد غزت السودان ولم يستطع إدارتها بإداريين من أبناء المسلمين فاستعان بالألمان والنمساويين والبريطانيين وأنفردوا بالسلطة فيها وأدخلوا أجندة بلادهم في هذه المناطق المفتوحة فقد كان الفرنسيون يتطلعون لأن يتخذوا محمد علي مطية لأغراضهم أيضاً .

فمن هو أبو مدين هذا ؟ وما علاقته بدارفور؟ وما علاقة بيرون والتونسي به؟ :

أبو مدين هو الأمير محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن الرشيد وأخ السلطان محمد الفضل ، لم يكن له أي شهرة في دارفور وخلال إقامة التونسي في دارفور لم يتعرف عليه ولم يسمع به ، وقد هرب أبو مدين من دارفور واحتمى ببني جرار والتمس محمد الفضل أخاه أبا مدين من بني جرار فمنعوه فدارت بينهم معارك هرب على إثرها أبو مدين إلى كردفان حيث احتمى بوالي محمد علي باشا عليها والذي ضمنت له هذه الهجرة إلى مصر سنة ١٨٣٤م وفي مصر طلب محمد علي باشا من أبي مدين العودة إلى كردفان ليتولى المقاومة ضد أخيه محمد الفضل ووعده الباشا بأن يوليه عرش دارفور غير أن حروب محمد علي في فازوغلي قد صرفته عن تنفيذ وعده بنصرة أبي

[1] تشحيذ الأذهان ، تقديم د. عساكر و د. سعد ص١٤ .

[2] المرجع السابق ص١٥ .

مدين حتى انقضى حكم محمد الفضل وتوفي وخلفه ابنه الأمير حسين وفي سنة ١٨٤٣م غادر أبو مدين القاهرة إلى سنار بطريق النيل وقد سبقه إليها ثمانمائة جندي من المرتزقة[1] وأرسل محمد علي لواليه في سنار ليدعم حملة أبي مدين ضد دارفور وذكر " بيرون " صفات كثيرة في هذا الملحق يدلل بها على أحقية أبي مدين في العرش ولكن الأمور جرت بغير ما يريد بيرون وبغير ما يريد الباشا فانهزم أبو مدين وانطوت هذه الصفحة من التمرد أما عن علاقة بيرون والتونسي بأبي مدين فيرد عن السؤال حولها بيرون نفسه في ملحقه لكتاب التونسي يقول " وأتيحت لي وللشيخ التونسي – أكثر من مرة – فرصة الجلوس إليه – أبو مدين – على مائدة واحدة ... وامتد حديثنا الذي جرى باللغة العربية إلى الكلام عن دارفور وعادات أهلها وحاصلات كل إقليم من أقاليمها ، كما امتد إلى الحديث عن الأحوال التي جعلت الأمير يقرر الهرب وعن المخاطر التي تعرّض لها وإلى أي حد استطاع الاستفادة من هذه الكارثة التي جاءت من حسن حظه !! "[2] .

ويمضي (بيرون) ليكشف أطراف المؤامرة التي شارك فيها التونسي ولي نعمة السلطان محمد الفضل الذي استضافه في الفاشر وأكرم وفادته ووفادة أبيه وعمه من قبل ، يقول بيرون " وهنا أخذت أنا والشيخ التونسي نكرر له القول بأن العناية الإلهية هي التي قادته إلى مصر ليتعلم منها وليوسع مداركه فيها ، وليرى مظاهر الحضارة الجديدة التي ينبغي أن ينشرها بين أهل دارفور وفي آخر مرة قابلته فيها – قبل رحيله من القاهرة إلى السودان ذكرت له هذا القول مرة أخرى وقلت: من المؤكد أنك سوف ترى مدينة تندلتي[3] من جديد بفضل مساعدة محمد علي .... ويبدو أن العناية الإلهية فيضت لك كل شيء لتفتح أبواب الحضارة لأهل السودان ، إنك رجل ذو حظ عظيم ولا تنسى ذلك أبداً "[4] .

غير أن مذكرات التونسي وبيرون كتبت قبل أن تحسم المسألة وبفشل أبو مدين في تنفيذ المخطط ولذلك لن تجد ذكراً لهذا الفشل في المذكرات .

بعد هذا السرد أستطيع أن أجيب عن سؤالي الذي صدرت به هذا الكلام وهو: هل كان كتاب تشحيذ الأذهان للتونسي تقريراً استخبارياً ؟ .

أقول : نعم كان تقريراً استخبارياً تؤكد ذلك كل الشواهد التي سقتها آنفاً .

---

[1] راجع التونسي المرجع السابق ص٣٥٧ .

[2] التونسي المرجع السابق ص٣٤٣ .

[3] مركز من ضواحي الفاشر وهو الاسم الأصلي للمدينة والفاشر تعني مجلس السلطان فغلب اسم المجلس على اسم المدينة وليس المقصود تندلتي الواقعة في نواحي النيل الأبيض على طريق كوستي الأبيض .

[4] قطعاً المقصود هو الحضارة الغربية العلمانية وليس الحضارة الإسلامية التي كانت لها دولة في دارفور ولها سلطان مبايع.

ولمصلحة من ؟ أقول في الظاهر لمصلحة محمد على باشا وفي الحقيقة لمصلحة الحضارة الغربية التي ترعى فرنسا برنامجها واختصت بيرون للقيام بذلك ومحمد على مجرد مرحلة لعمل يغلب على ظني أن فرنسا كانت تريد أن تقوم به لتوسيع مستعمراتها شرقاً باتجاه دارفور وممالك السودان الأخرى.

ودليل آخر هو أنه مما اشتمل عليه كتاب تشحيذ الأذهان من ملاحق ملحق رقم (٣) وهو عبارة عن معجم عربي فوراوي قال د. عساكر في مقدمته " هذا المعجم العربي الفوراوي الصغير مما جمعه المسيو جومار في مقدمته الطويلة للترجمة الفرنسية لكتاب تشحيذ الأذهان للتونسي نقلاً عما جمعه " كوينج " في رحلته إلى كردفان ثم ضمنه ما أورده التونسي في كتابه ، ناسباً ذلك بقوله " عن الشيخ " وكذلك ضمّنه الكلمات التي جمعها بنفسه في بحث له عن الألفاظ في إفريقيا الشمالية الشرقية [1] حيث اشتمل المعجم على العديد من الألفاظ مرتبة حسب حروف الهجاء كما اشتمل على ذكر الأعداد والضمائر وتصريف الأفعال .

أما كتاب التونسي " رحلة إلى وداّي " والذي يظن أن نسخته العربية قد فقدت ، فقد استطاع الباحث أن يحصل على نسخة مصورة منها ، من المعهد الوطني للدراسات الإنسانية بالجامعة التشادية ، وهذه الصورة مع الباحث ، وهي عبارة عن مخطوطة تشتمل على كتاب التونسي تشحيذ الأذهان ، والذي يقع في الصفحات من (١) إلى (١٢١)، وهو ترقيم مزدوج ، بمعنى أن كل صفحتين مصورتين في صفحة واحدة تعطيان رقماً واحداً ، أما " رحلة إلى وداّي " فإنها في الصفحات من (١٢٢) وإلى آخر المخطوطة في صفحة (٣٢٠) وتشتمل المخطوطة على :

١- الفصل الثاني : (وهو بداية كتاب الرحلة إلى وداي) وهو في أحوال دار وداّي وعوائدهم ، وعوائد ملوكهم ، وأسماء مناصبهم.
٢- الفصل الثالث : في نبذة من سيرة السلطان عبد الكريم صابون .
٣- الفصل الرابع : في ذكر ما وقع من السلطان صابون من الحروب ، وقهر الملوك وملك البلاد .

فصل في طول دار وداّي ، وعرضها .

فصل في ذكر التجارة ، وما يتجر به .

فصل في اصطلاح تزويج الفور.

فصل في الخصيان المعروفين في مصر بالطوايشة .

وهذه النسخة مصورة من نسخة بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية .

---

[1] التونسي مرجع سابق ص٤١٦ .

يبدو واضحا أن كتاب الرحلة إلى وداي كان الأساس الذي بنى عليه الفرنسيون برنامجهم للتمهيد لغزو مملكة وداي ، فقد أتاح لهم الكتاب فرصة التعرف على المملكة وأوضاعها .

٣/ رودلف سلاطين (سلاطين باشا) :

ولد رودلف سلاطين في فينا سنة ١٨٥٧م ، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره زار السودان ، أي في سنة ١٨٥٧م ، ويحكي هو عن زيارته تلك فيقول في كتابه (السيف والنار في السودان) : كنت في سنة ١٨٧٤م قد سحت في السودان ، عن طريق أسوان ، فذهبت إلى كورسكو ، وبربر ، ووصلت الخرطوم في شهر أكتوبر من تلك السنة ، وعرجت على جبال النوبة ، وبقيت مدة قصيرة في دلين [١] ، حيث كانت مركز الرسالة الكاثوليكية النمسوية ، ومن هنا خرجت في اكتشاف جبال جولفسان [٢] نايمة ، وجبال كاديرو [٣] ، وكنت أود أن أطيل بقائي في هذه الأصقاع ، ولكن حال دون ذلك قيام [٤] عرب الحوازمة " [٥] .

من هذا النص يتضح أن سلاطين وهو ما يزال غراً في السابعة عشر من عمره ، زار السودان ، وقصد جبال النوبة ، حيث مقر الإرسالية النمساوية ، وتجول في مناطق الجبال، مما يعني أن له صلة بأعمال هذه الإرسالية ، وإن كان قد أضرب عن ذكر ذلك صراحة في كتابه السيف والنار ، وكانت نيته إطالة البقاء ، مما يعني أنه قد جاء لبرنامج حال دون تنفيذه ثورة عرب الحوازمة ضد الحكومة التركية المصرية ، وعند عودته من جبال النوبة إلى الخرطوم ، تعرف على د. أمين (أمين باشا) ، حيث قاما بمكاتبة غردون، الذي كان وقتها حاكماً على مديريات خط الاستواء ، وقد رد عليهما طالباً اللحاق به للعمل معه ، استجاب أمين لطلب غردون الذي عينه حاكماً لمدينة " اللادو " ، وأسبغ عليه لقب بك بينما أعتذر سلاطين وفضل السفر إلى النمسا ، لتلقيه خطاباً من أهله ، ولو أنه وافق واستجاب لكان في وسعنا أن نعلم ماذا كان سيكل غردون إليه من أعباء وماذا كان سيخلع عليه من ألقاب ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

---

[١] يقصد الدلنج .

[٢] يقصد جبال الغلفان النجمانق .

[٣] يقصد جبال الكيدرو .

[٤] يقصد بقيام عرب الحوازمة أي ثورتهم ضد الحكومة التركية المصرية .

[٥] سلاطين باشا – السيف والنار في السودان – مكتبة الحرية – أمدرمان ١٩٣٠م ، ص٥ .

في يوليو سنة ١٨٧٨م تلقى سلاطين خطاباً آخر من غردون ، يدعوه للالتحاق به للعمل معه في خط الاستواء ، قد وصل ذلك الخطاب لسلاطين عندما كان يعمل في البوسنة ، (ضمن جنود الخدمة الإلزامية) ، في الآي ولي عهد النمسا الأمير رودلف ، ولكن لم يستطع سلاطين أن يستجيب لطلب غردون إلا في ديسمبر من ذلك العام ، بعد أن أكمل خدمته العسكرية ، وبعد انتهاء الحرب البوسنية .

وصل سلاطين القاهرة ، وفيها تلقى خطاباً من جيقلر باشا[1] ، والذي كان قد عين مديراً لمصلحة التلغراف بالسودان ، يدعوه للسفر معه إلى سواكن .

وصل سلاطين الخرطوم في ١٥ يناير ١٨٧٩م ، وعينه غردون مفتشاً مالياً (مفتش ضرائب) ، وحيث إنه فشل في مهمته قدم استقالته ، وقبلها غردون ، ولكنه عيّنه مديراً لدارا ، وهي تشمل الجزء الجنوبي الغربي من دارفور .

في زيارة له إلى الخرطوم ، وهو لا يزال حينها – مديراً لدارا ، التقى ببعض القساوسة الذين كان لهم دور كبير في تعويق مسيرة الإسلام في السودان ، منهم الأسقف كمبوني ، والأب أوهر ولدر ، والأب دختل ، وكان سلاطين قد تكفّل بأخذهم معه إلى كردفان – وهو في طريقه إلى دارفور ، حيث فارقه كمبوني واوهر ولدر إلى جبال النوبة لزيارة الإرسالية الكاثوليكية ، التي كان قد زارها سلاطين عند زيارته الأولى للسودان سنة ١٨٧٤م .

قضى سلاطين فترة حكمه في دارفور ، مع بدايات الثورة المهدية ، وساءت أحواله جداً بعد سقوط الأبيض ، وتمرّد أحد أهم رجاله وانضم للثورة ، وهو الأمير خالد زقل ، ولتطمين الأهالي ، ولضمان بقائه حاكماً بينهم اضطر سلاطين لإشهار إسلامه ، يروى سلاطين ذلك في مذكراته السيف والنار يقول : " وأرسلت في ذلك المساء في طلب محمد أفندي فرج ، وسألته عن مجريات النهار ، وماذا كان ينظر إلى الجنود والضباط ؟ ".

وبعد حوار طويل قال محمد فرج لسلاطين " ترغب أن أخبرك الحقيقة ، فهاكها ، إنهم لا يعترضون عليك لأنك أوربي بل لأنك غير مسلم" ... فقلت له : "هبني صرت

---

[1] هو كارل كريستيان جيقلر ألماني الأصل لم يتجاوز تعليمه السنة الأولى من المرحلة الثانوية بدأ حياته العملية في إصلاح الساعات (ساعاتي) ثم اشتغل عاملاً في مصنع تركيب آليات للتلغراف ، هاجر إلى السودان باعتباره مهندساً للتلغراف وأمضى في عمله هذا خمس سنوات وعندما سافر غردون إلى دارفور لمعالجة موضوع ثورة سليمان الزبير كلّفه بالقيام بأعباء الحكمدارية بالإنابة ثم رقّي إلى رتبة الباشا (راجع سلاطين ، السيف والنار ص٦–٨ كما راجع يوسف فضل حسن ، دراسات إفريقية العدد ١٦ سنة ١٩٩٧م ص١٩ وراجع كذلك مذكرات جيقلر – The Sudan Memories of Carl Christian Giegler Pasha . 1873 – 1883 , o u p , London 1984

مسلماً فهل رجالنا يصدقون إسلامي ؟ ويؤملّون النصر ، وهل هذا يزيد ثقتهم فيّ ؟ "
وأردف يقول : " في هذه الدنيا يحتاج الإنسان إلى أن يعمل أعمالاً تخالف عقيدته ، إما اضطراراً ، وإما لسبب آخر ، وحسبي أن يصدقني الجنود ، ويثقوا بي ، ويقلعوا عن خرافاتهم السخيفة . "[1] جمع غردون جنوده ، واستدعى القاضي أحمد ود بشير ، وأحد التجار واسمه محمد أحمد ، وألقى فيهم الخطبة التالية :

" أيها الجنود : لقد كابدنا المشاق العديدة معاً ، ونزلت بنا الكوارث الفادحة، وما الكوارث إلا محكّ الرجال ، ولقد جاهدتم وقاتلتم ببسالة الأبطال ، وليس عندي شك في أنكم ستداومون على ذلك ، فإننا نقاتل من أجل مولانا الخديوي، حاكم البلاد ، ومن اجل أنفسنا أيضاً ، ولقد اشتركت معكم في الأفراح والأتراح ، وعندما كان يلوح الخطر ، كنت على الدوام ، معكم لأختِم في اللقاء وإني وإن كنت رئيساً ، فحياتي ليست أغلى من حياتكم ، وقد سمعت أن البعض يعدّني أجنبياً غير مؤمن بالإسلام ، ولكني أقول لكم إني مؤمن كما أنتم مؤمنون ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[2] .

وحينئذ انطوى سلاطين على هذا النفاق ، معلناً إيمانه ، مضمراً كفره[3] ، غير أن ذلك لم يسعفه في مواجهة مد الثورة المهدية ، وعندما يئس من أي إنقاذ بعد سقوط الأبيض ، قرر الاستجابة لطلب المهدي بالتسليم وكان ذلك في ٢٣ ديسمبر ١٨٨٣م . وبعد ذلك التحق بالمهدي في الأبيض ، وأعلن أنه من الأنصار ، وتسمى " بعبد القادر سلاطين " ، وظلّ ملازماً للخليفة ، وخدمة أثنى عشر عاماً ، وكان حارساً بباب الخليفة ، لكن الخليفة لم ينخدع بنفاقه أبداً ، حتى تمكّن من الهرب من أم درمان في فبراير سنة ١٨٩٥م .

وصل سلاطين إلى القاهرة يوم ١٩ مارس سنة ١٨٩٥م ، وأُنعم عليه برتبة الباشوية. وفي ذلك يقول سلاطين : " بعد عودتي إلى مصر بقليل ، تشرفت بمقابلة حضرة صاحب السموّ خديوي مصر ، الذي أنعم عليّ برتبة الباشوية . دخلت السودان منذ ستة عشر عاماً كملازم أول في الجيش النمساوي ، وعندما عينت حاكماً لدارفور منحت من الحربية المصرية لقب أميرال ، أما الآن فرقيت إلى درجة اللواء حسب نظام الجيش المصري"[4] .

وفور وصوله إلى مصر ، وبعد ما لقيه من ترحيب يقول : " كان أول عمل لي بطبيعة الحال كتابة تقرير رسمي مفصل أرفعه لرؤسائي الحربيين ، وبعد ذلك بفترة بدأت في كتابة قصة حياتي في الأعوام الستة العشر الأخيرة "[5] .

---

[1] سلاطين نفس المرجع ص٨٨ .
[2] سلاطين باشا المرجع السابق ص٨٩ .
[3] وفي ذلك يقول " ومع ذلك فقد كان يخفق تحت الجبة قلب كله ولاء للحكومة وكله عزم على الاستفادة من هذه التجارب " راجع سلاطين ص١١٠ .
[4] سلاطين السيف والنار – ص٣٢١ .
[5] سلاطين المرجع السابق نفس الصفحة .

قصة حياته هذه دونّها في مذكراته التي أسماها (السيف والنار في السودان) ، وفرغ من كتابتها سنة ١٨٩٥م أي قبل أربع سنوات من سقوط الدولة المهدية ، وعلاوة على ما طفحت به مذكرات سلاطين من سب وسخرية من المهدي ، والخليفة ، وأهل السودان جميعاً ، والإسلام ، فقد كانت وثيقة مهمة للقوى الأجنبية ، حيث استعانت بما فيها من معلومات وأفكار للانقضاض على السودان ، وإطفاء شعلة الثورة المهدية ، وتعويق مسيرة المد الإسلامي ، التي بدأتها تلك الثورة . ويختم سلاطين مذكراته بتحديد الهدف من كتابته لتلك المذكرات . " قصدت من ذلك أن تكون لتفاصيلي أهمية كبرى عندما يجّد وقت العمل ، وعندما يبحث العاملون بحثاً جدياً في خلاص (المغلوبين على أمرهم) ، وعندما يسمح الله باستخدام معلوماتي ومجهوداتي ، في سبيل إبادة الظلم الدرويشي ، وإزالة حكم سيدي الجائر ، وعدويّ عبد الله الذي سيظل ألدّ أعدائي طول ، الحياة التي أحياها في الدنيا "[1].

ويحدد سلاطين بصورة قاطعة القوة التي يمكن أن يزول بها حكم سيده . يقول : " إنه لمن المغالاة والجنون المطبق ، أن يفكر أحد في أن (المغلوبين على أمرهم)[2] ، في عهد الخليفة عبد الله يستطيعون إنهاء حالتهم المزرية بثورة داخلية ، لأنهم لا يملكون شيئاً من معدات الدفاع أمام قوة الحكومة الظالمة[3]، وإذن لابد من وصول العون والمدد من الخارج إلى أولئك المنكودين ... عندئذ يستطيع السودانيون الوثوق في القوى الجديدة الخارجية ، التي ستساعدهم في تحطيم قيود العسف والتطويع ، بالإمبراطورية المهدية الجائرة[4].

فسلاطين بشّر باستخدام القوة الأجنبية لإسقاط الدولة المهدية ، وحذّر من نشاطها في محيط الجوار، " تلك هي الأمة -يعني المهدية- هي التي تعترض الطريق من النشوز المركزية القائمة على وادي النيل ، إلى البحر الأبيض المتوسط ، كما أنها الأمة التي تضع طابعها ، يقصد طابعها الديني والفكري – على المناطق التي كانت في وقت من الأوقات – يقصد وقت سيطرة الأوربيين على هذه الأنحاء باسم الدولة العثمانية – متمتعة بالهدوء والسلم"[5].

---

[1] سلاطين – المرجع السابق ص٣٤٩ .

[2] المقصود بالمغلوبين على أمرهم أهل السودان.

[3] علماً بأن هؤلاء الذين لا يملكون قوة ، قد واجهوا قوة قاتلة وأبادوا جيشاً وطردوا قادته من أمثال سلاطين .

[4] المرجع السابق ص٣٣٩.

[5] سلاطين المرجع السابق ص٣٤٠ .

بل إن سلاطين بشّر بالوسيلة التي كان يراها مناسبة لتأمين خطة الفتح ، وهي الوسيلة التي أتخذها كتشنر بنصيحة من سلاطين ، يقول سلاطين : " ولا شك أن هـــذه الجـــهات ستتصل قبل مرور وقت طويل بشاطئ النيل ، بواسطة سكة حديدية ، لا تساعد على فتـــح الجهات التي تجتازها فحسب ، بل ستساعد على إيجاد مخرج لتجارة الخط الاســـــتوائي الجنوبي ، وما جاوره من الجهات"[1].

عُيّن سلاطين نائباً لمدير المخابرات بالجيش المصري ، وظل في موقعه ذلك حتـــــى موقعة كرري ، ثم لما تولى ونجت وظيفة الحاكم العام بعد استقالة كتشنر ، عُيّن سلاطين في وظيفة أسميت " المفتش العام "[2] وأعطى صلاحيات واسعة ، حيث كان يُعتبر الرجـــل الثاني في الإدارة ، ومستشار الحاكم العام في الشئون الدينية ، والقبلية ، وبـــهذه الصفـــة استطاع سلاطين الطواف على جهات السودان المختلفة ، إضافة إلى عمله مشرفاً علـــى إدارة المخابرات المركزية بالخرطوم ، والتي أوكل إليها جمع المعلومات ، وإرسالها فـــي تقارير رسمية للخارجية البريطانية ، كما أُلحق بالإدارة قسم أسموه مكتب العمل ، ليكـــون مسئولاً عن توفير العمال لحاجة الحكومة الناشئة ، كما أُوكل لإدارة المخـــابرات تقديـــر اتجاهات الرأي العام ، وموقف الأهالي من الحكومة ، ظل سلاطين في موقعه مفتشاً عاماً ومشرفاً على إدارة المخابرات ، حتى استقالته سنة ١٩١٤م وقد عاد بعدها للنمسا حيـــث توفى هناك .

المبحث الثالث :اثر القساوسة والمبشرين :

رغم أن المسيحية دخلت إلى أفريقيا في القرن الثاني الميلادي ، قبل دخول الإســـلام بخمسة قرون حيث دخل الإسلام في القرن السابع الميـــلادي ، إلا أن المســـيحية ظلـــت محصورة في مساحة محدودة من الأراضي الأفريقـــــية ، فـــي مصـــر ، والســـودان ، والحبشة ، (منطقة حوضي النيل الأدنى وأعالي النيل الأزرق) . وظلت علاقة الكنيســـة الأفريقية ودية جداً مع الإسلام والمسلمين ، بدليل إيواء الحبشة وملكـــها للمســـلمين فـــي الهجرة الأولى ، ودفاعه عنهم، وبدليل مصاهرة الرسولﷺ للأقباط في مصر ، بزواجـــه من ماريا التي كان وكيل رسول الله ﷺ في زواجها المقوقس عظيم القبط ، وبدليل عـــهد الموادعة الذي وقعّه المسلمون مع ملوك النوبة ، فيما يعرف باتفاقية البقط ، والتي وافـــق فيها النوبة على حماية مسجد دنقلا وإسراجه ، بل الدليل الأقوى هو تحول مناطق مسيحية بأكملها للإسلام في هذه المنطقة ، عن طريق التواصل الاجتماعي وحده .

---

[1] المرجع السابق ص٣٤١ .

[2] راجع د. مكي شبيكة – السودان عبر القرون – ص٤٨٤ .

أما بقية إفريقيا فلم تشهد نشاطاً مسيحياً ، إلا بعد موجة التوسع الأوربي الاستعماري الذي نشط بعد مؤتمر برلين . والجهات التي اضطلعت بمهمة التنصير ، ليست هي الكنائس الإفريقية ، وإنما الكنائس الأوربية ، وذلك في وقت كانت فيه أوربا قد أطرّحت المسيحية ، واتخذت العلمانية أسلوباً للحياة العامة والخاصة ، وفي الوقت الذي كانت تقفل فيه الكنائس في أوربا : كان المنصّرون ينتقلون في أفريقيا من قرية إلى قرية ، رغم الظروف الصعبة التي كانوا يواجهونها في أدغال إفريقيا ، فلو أن الأمر كان متعلقاً بهداية الناس للمسيحية ، فإن أهل أوربا ممن جرفهم تيار العلمانية كانوا في مسيس الحاجة لهذه الهداية من أهل إفريقيا الذين كان الإسلام قد استحوذ على كل شعاب حياتهم –على نحو ما رأينا في الأبواب السابقة ، من تأثير الإسلام في كيان الدولة والمجتمع في إفريقيا .

والمبشرون الذين نشطوا في إفريقيا ، كانوا وثيقي الصلة بالدوائر الاستعمارية في الغرب ، أمثال غردون وكتشنر اللذين توليا إدارة ، وحكم السودان في فترتين مختلفتين ، ومن أمثال نيوبولد ، مدير مديرية كردفان ١٩٣٢ – ١٩٣٨م والذي ، ذكر في مذكراته، بعض أرائه حول الإسلام من نوع قوله : أن المسيحية تتفوق على الإسلام لأنه إستاتيكي (جامد) والداعين له ليسوا بقديسين ، وأنه لا يترك شيئاً للخيال وليس روحياً "[١] .

هذا النشاط التنصيري في إفريقيا ، كان مقدمة للاستعمار قبل وصوله ، ووسيلة لاستمراره بعد وصوله ، إذ عمدت الإدارة الاستعمارية لدعم الكنيسة في برامجها ، وأوكلت إليها مهمة التعليم ، وصرفت عليه من ميزانية الدولة .

التنصير في السودان :

تأسست عدد من الجمعيات الأوربية لتنصير إفريقيا ، وكانت في طليعة تلك الجمعيات التي زارت السودان ، وعملت فيه جمعية (الأباء البيض) ، التي أسسها الكاردنيال الكاثوليكي الفرنسي الجنسية لافجيري . وكذلك (إدارة إفريقيا الوسطى) التابعة لبابا الفاتيكان جريجوري السادس.

وكان من القساوسة السابقين للعمل في السودان ، القسيس أنجلو فينكو خريج معهد مازا في فيرونا في إيطاليا ، والذي جند عدداً من طلاب هذا المعهد للالتحاق به للعمل في السودان ، وكان ممن استجاب له القسيس المشهور دانيال كمبوني [٢] ، والذي كان له أثر كبير في العمل النصراني في السودان ، فمن هو كمبوني هذا؟

---

[١] د. محمد الحافظ مصطفى – السياسة البريطانية تجاه الإسلام في منطقة جبال النوبة – دراسات إفريقية العدد السادس فبراير ١٩٩٠م ، ص .

[٢] راجع الأب برنارد وارد – قلب محب لإفريقيا – جمعية كمبوني – الخرطوم ١٩٩٦م ، ص

دانيال كمبوني :

ولد دانيال كمبوني في قرية تقع شمال إيطاليا ، في ١٥ مارس ١٨٣١م ، ونسبة لحالة الفقر التي كانت تعاني منها أسرته ، لم يستطع مواصلة تعليمه ، فاحتضنته الكنيسة والتحق بمعهد مازا اللاهوتي ، والذي أسس خصيصاً لإيواء الطلاب الفقراء ، ونتيجة لمحاضرة قدمها انجلو فينكو للطلاب في معهد مازا بفيرونا ، بدأ كمبوني يعد نفسه للمشاركة في العمل التنصيري في السودان ، فتعلم مبادئ علم الدواء ، ودرس المقررات التي بموجبها تمت رسامته كاهناً وكان ذلك سنة ١٨٥٥م . وفي سنة ١٨٥٧م التحق بإرسالية فتحها الأب نيكولا مازا ، مؤسس المعهد الذي درس فيه كمبوني للعمل في منطقة أعالي النيل ، في أفريقيا ، وعند وصول البعثة التي شارك فيها كمبوني بدأوا في تعلم لغة الدينكا ، ولكن قبل أن يبدأوا عملهم التنصيري في إعداده تأسيس إرسالية " الصليب المقدس " ، كانت الحميات قد فتكت بهم فقرروا العودة إلى أوربا سنة ١٨٥٩م . هذه الإرسالية (الصليب المقدس) ، كان قد أسسها من قبل بعض المبشرين النمساويين سنة ١٨٥٤م[1] ، وكان موقع هذه الإرسالية قرب مدينة شامبي في جنوب السودان ، ولكن لم يستطع القساوسة النمساويون ، كما لم يستطع خلفهم الإيطاليون الاستمرار في المنطقة ، لعدم ملائمة البيئة لظروفهم الصحية . في ذلك يقول الأب برناردوارد : "حضر إلى الخرطوم ، فجنوب السودان ، مجموعة واحد وخمسين مبشراً في دفعتين ، ما بين سنة ١٨٦١م وسنة ١٨٦٢م ، سافروا إلى أعالي النيل ، ولم يقضوا فترة الاستعداد والتعود على مناخ المنطقة الاستوائية ، مما أدى إلى وفاة مدير الإرسالية ، وسبعة من أعضائها أثناء السفر ، أما الباقون فقد ماتوا أو أخذتهم الأمراض فانسحبوا خلال أشهر قليلة ، إلا اثنين منهم مكثا في الخرطوم ليحرسا مباني الإرسالية[2] . وكان في للفاتيكان شعور بأنه لا أمل في الوصول إلى قلب أفريقيا آنذاك ، مما أضطر كمبوني أن يبقى في إيطاليا ... واستمر في تعليم الأفارقة في كلية مازا فيرونا ، وفي مدى السنين ، اتضح أن تعليم الأفارقة في أوربا <u>لا يعتبر عملاً ناجحاً حيث برودة الجو لا تلائم الأفارقة</u> "[3] .

وضع كمبوني خطة للعمل التنصيري في أفريقيا ، عرضها على البابا بيوس التاسع بابا الفاتيكان ، فأجازه وبناء على تلك الخطة قام كمبوني بجولة واسعة في أوربا ، شملت فرنسا وبريطانيا وألمانيا ، واستغرقت الفترة من نوفمبر ١٨٦٤ وحتى يونيو ١٨٦٥م ،

---

[1] الأب برنادوارد – قلب محب لأفريقيا – قصة مختصرة عن حياة المطران دانيال كمبوني – جمعية كمبوني – الخرطوم سنة ١٩٩١م ص١١ .

[2] هذا يعني أن الإرسالية لم تجد من يحرسها من الأهالي فأبقوا هذين الاثنين لحراستها .

[3] الأب برناردوارد المرجع السابق ص١٨ .

حيث اضطر لقطع جولته لمواجهة بعض الاتهامات التي صدرت بحقه من إدارة معهد مازا بفيرونا ، وكان الهدف من الجولة هو جمع التبرعات للعمل التبشيري في إفريقيا .

توجه كمبوني إلى إفريقيا في رحلته الثالثة في نوفمبر ١٨٦٥م ، وكان يرافقه قسيس ، يدعى كاسوريا لم يحتمل السفر ، وعند وصولهما الشلال الرابع قرر كاسوريا العودة إلى أوربا ، حيث اضطر كمبوني إلى قطع رحلته والعودة إلى روما أيضاً ، وفي فيرونا وجدت إدارة معهد مازا أن العمل في أفريقيا غير مبشر بأي نتائج إيجابية ، فقررت عدم دعم نشاط كمبوني ، فاضطر إلى تأسيس جمعية خاصة أسماها (جمعية الصالح لإحياء إفريقيا) وذلك في أول يونيو سنة ١٨٦٧م ، وكانت بذلك البذرة الأولى لإرسالية كمبوني في أفريقيا . وشاركه التأسيس القساوسة استانسلاوس وجون وجوزيف والكسندر ، واشتملت خطتهم على الآتي :

١- تأسيس معهد فيرونا بإيطاليا لتدريب القس والمتطوعين الأوربيين للعمل في أواسط أفريقيا .
٢- تأسيس كليات في القاهرة لتأهيل طلاب ، وطالبات من إفريقيا للعمل في أواسط أفريقيا .
٣- تكوين لجنة لجمع الدعم والمساعدات المالية[1] .

أول عمل بدأت به الإرسالية هو فتح كليتين ، واحدة للرجال ، والأخرى للنساء في القاهرة ، سنة ١٨٦٨م ، وأخذوا يقبلون فيها طلاباً من إفريقيا ، ويشيعون أن هؤلاء الطلاب عبيد هربوا من أسيادهم أنقذتهم الكنيسة .

بذل كمبوني مجهوداً كبيراً في الفترة من سنة ١٨٦٨م ، وحتى سنة ١٨٧٢م ، لجمع تبرعات للإرسالية من مختلف أنحاء العالم ، هذا المجهود أهله لينال وظيفة النائب الرسولي للبابا ، في أواسط إفريقيا ، ومنح سلطات أسقف قبل أن يُرسَم إليها ، وكان ذلك في مايو سنة ١٨٧٢م .

لم يحرز كمبوني أي نجاح يذكر ، فقد كانت إرساليته مواجهة بعدة مصاعب . أولها الظروف المناخية غير الملائمة للقساوسة الذين استجلبهم من أوربا ، وعدم تجاوب الأهالي مع نشاطه ، وفي آخر عهده كانت بشائر الثورة المهدية قد بدأت تلوح في الأفق ، وأن نشاط كمبوني في الفترة الأخيرة كان قد تركز في الأبيض والخرطوم ، حيث بنى فيهما كنيستين كبيرتين ، وبما أن أكبر فتوحات المهدية كانت تحرير الأبيض ، ثم تحرير الخرطوم ، فإن تحرير المدينتين قد عصف بكل آمال كمبوني في تحقيق أهدافه في تنصير أفريقيا ، انطلاقاً من الخرطوم . كما عصفت به الظروف المناخية للسودان التي ،

---

[1] الأب برتارد وارد – المرجع السابق ص٢٥ .

لم يكن كمبوني ولا واحد من قساوسته مستعداً ، لها حيث وقع تحت تأثير الحمى ، التي كانت سبباً في وفاته في ٩ أكتوبر ١٨٨١م ، بعد أن شهد وفاة عدد من القساوسة الذين يعملون في إرساليته في نفس اليوم[1] .

خلف كمبوني عدد من المطارنة لإكمال خطته وهم على النحو التالي :

١- فرنسيس سوغارو ١٨٨٣ – ١٨٩٤م .
٢- انطونيو روفيجيو ١٨٩٤ – ١٩٠٢م.
٣- فرنسيس اكسافير جاير ١٩٠٣ – ١٩٢٣م.
٤- باولو سلفستري ١٩٢٥ – ١٩٣٠م.
٥- فرنسيس اكسافيربيني ١٩٣٠ – ١٩٥٢م.
٦- اغسطينو باروني ١٩٥٣ – ١٩٨١م.
٧- غبريال زبير داكو ١٩٨١م – وهو المطران الحالي وهو من أبناء الجنوب.

النشاط الكنسي بعد المهدية :

لم يؤت النشاط التبشيري أكله إلا بعد سقوط ام درمان واستشهاد الخليفة عبد الله ، وبسط الاستعمار لنفوذه على السودان حيث قامت السلطة الاستعمارية ، بتعطيل كل النظم التي كانت تعمل بها المهدية ، وبنت على أنقاضها نظماً جديدة، كان للكنيسة فيها يد طولي، فقد تولت الكنيسة برامج التعليم بكاملها ، وبالتالي تأسيس جيل جديد مصادم ، لما كانت تدعو له المهدية ، حيث بدأ نشاط الجمعية المسيحية التبشيرية ، وتمّ تأسيس كلية غردون التذكارية ، وأدخل نظام التعليم المدني ، وانتشرت الكنائس في كل مدن السودان. ونسبة لأن المستعمرين البريطانيين كانوا ينتمون للطائفة الانجلكانية ، فإن النشاط التبشيري في السودان في هذه الحقبة ، قادته الكنيسة الانجليكانية ، بقيادة الأب ليولين قويني ، المولود في مقاطعة ويلز الجنوبية في ١١ يونيو ١٨٦٣ ، والذي وصل السودان في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠ ، وتوفى في ديسمبر ١٩٥٧م[2]، وهو الذي أقنع الإدارة البريطانية بجدوى العمل التنصيري وسط المسلمين في الشمال ، وهو الذي أسس كاتدرائية غردون الملحقة بسراي الحاكم العام (القصر الجمهوري الآن) ، وهو الذي فتح المدارس الكنيسية في عدد من مدن السودان ، في الخرطوم وعطبرة ومدني ، وهو الذي اجتهد – دون أن يفلح – لتحويل العطلة الأسبوعية في السودان من الجمعة إلى الأحد.

[1] الأب برنارد وارد المرجع السابق ص٤٥ .

[2] د. حسن مكي – المشروع التنصيري في السودان – شعبة البحوث والنشر الخرطوم ١٩٩١م ، ص٣٥ .

رغم أن الكنيسة – تحت رعاية المستعمر – قد أفلحت في تغيير كثير من أنماط حياة الناس الثقافية ، والاجتماعية ، إلا أنها فشلت في تحقيق برنامجها في تنصير المسلمين ، في شمال السودان ، لذلك ركزّت جهودها في الجنوبيين ، وكانت أقوى سياسات الاستعمار تأثيراً في ذلك :

١- إطلاق يد الكنيسة في مجال التعليم ، حيث إن كل المدارس التي تأسست في الجنوب كانت تابعة للكنيسة ، ومناهجها من وضع الكنيسة ، دون أي تدخل من الحكومة[1].
٢- سياسات المناطق المقفولة التي انتهجها الاستعمار البريطاني ، حيث عزل أهل الجنوب ، وجنوب كردفان ، وجنوب النيل الأزرق ، ومنع المسلمين من الشمال من الدخول لمناطق الجنوب إلا بتصريح حكومي .
٣- اتخاذ اللغة الإنجليزية لغة للإدارة والحكم بالجنوب ، ومنع استعمال اللغة العربية ، والتي كانت ومازالت اللغة الوحيدة للتخاطب بين القبائل الجنوبية .

وعندما اصبح السودان مُعَدّاً لنيل استقلاله في ١٩٥٦/١/١م . كان المستعمر قد أفلح في إعداد نخبة جنوبية لا تعرف ديناً غير المسيحية ، ولا تعرف لغة غير الإنجليزية ، رغم أن المنطقة كلها لم تكن تعرف المسيحية أو الإنجليزية قبل دخول الاستعمار في سنة ١٨٩٩م ، وأصبح هذا الوضع حاجزاً بين أهل السودان ، شماله وجنوبه ، وأفرز هذا التباين الذي أنشأه الاستعمار ، قطيعة أذكاها الاستعمار ، وأشعل فتيل حربها قبل إعلان استقلال السودان ، حيث اندلع التمرد في أغسطس ١٩٥٥م ، أي قبل أشهر من تاريخ إعلان الاستقلال .

التنصير في تشاد :

كانت تشاد قبل الاستعمار ، ممالك إسلامية تحكم بالشريعة ،ووجد المستعمرون الفرنسيون صعوبة في بداية العمل التنصيري في تشاد ، ولذلك تركزت جهودهم التنصيرية في الكنغو ، والغابون ، ولم يبدأ نشاط تبشيري حقيقي في تشاد ، إلا في سنة ١٩٢٣م[2] . وواجهت هذا النشاط صعاب ، ليس فقط من تلقاء رفض المسلمين ، الذين قاطعوا كل أعمال المبشرين ، ومدارسهم ، ولكن من تلقاء تعارض مصالح الإرساليات الكنسية التي كانت تتنازع بين البروتستانت والكاثوليك ، فقد أسرع الأمريكان إلى تشاد ، وافتتحوا إرساليات بروتستانتية في جنوب تشاد ، ورغم أن فرنسا المستعمرة كاثوليكية المذهب ، إلا أن بابا الفاتيكان لم يكن يرغب في أن تتولى فرنسا مهمة نشر

---

[1] د. حسن مكي : السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان – شعبة البحوث والنشر الخرطوم سنة ١٩٨٣م .
[2] د . محمد صالح أيوب مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية – مركز الدراسات الإفريقية سبها سنة ١٩٩٢م ، ص١٤٥ .

الكاثوليكي في إفريقيا ، ولذلك قرر البابا ربط نشاط الكنيسة الكاثوليكية في تشاد بنشاط الوكالة الإيطالية في الخرطوم[1]. والسبب هو الاختلاف السياسي بين فرنسا وإيطاليا من جهة والتوافق بين فرنسا وبريطانيا من جهة أخرى .

ومثلما هو الحال في السودان ، فإن الكنيسة في تشاد كانت هي المسئولة عن التعليم طيلة فترة الاستعمار ، مسئولة عن فلسفته ، ومناهجه وإدارته ، وتمويله ، ولذلك كانت مقاطعة المسلمين عنيفة للتعليم ، ونشطت الكنيسة في المجموعات الزنجية في جنوب تشاد، وخلقت منهم الطبقة المتعلمة ، وأكسبتهم ديانة المستعمر (النصرانية) ، ومثلما أنقسم السودان بفعل الكنسية ، إلى شمال وجنوب متصارعين ، يتكرر نفس المشهد في تشاد ، بتقسيم البلاد إلى شمال وجنوب متصارعين ، ولكن بإخراج مختلف، حيث تركز التعليم والمسيحية واللغة الفرنسية في الجنوب، وبالتالي أنفتح الباب أمام الجنوبيين دون غيرهم لتولي الوظيفة العامة ،واستلام مقاليد الأمور بعد رحيل المستعمر، ولم يكن أمام الشماليين إلا مقاومة هذا الوضع الجديد .

وفي ظل سيطرة المسيحيين البيض في عهد الاستعمار ، والسود ، في العهد الوطني ، تنامت برامج التنصير ، فأسست الكنيسة لنفسها مراكز ، في حواضر الممالك الإسلامية السابقة ، ففي عاصمة وداي (أبشه) حيث لا يوجد بين المواطنين الأصليين مسيحي واحد، أنشأت الكنيسة مجمعا ، يحتوى على كنيسة ، ومدرسة ومكتبة ونادي شبابي[2] . وأفسحت الكنيسة في (أبشه) لأبناء المسلمين مجالا للتعلم ، والرياضة بل والسكن في داخلية المجمع ، فقد أخبرني أحد طلاب المركز الإسلامي وهو من حفظة القرآن الكريم ، أنه عندما قدم للدراسة في المدرسة الثانوية في أبشه ، ولأن أهله من مدينة (ماو) لم يتردد أن يطلب من الكنيسة السماح له بالسكن في الداخلية . وأكد لي هذه الرواية القسيس المشرف على المجمع ، القس هنري كودري الفرنسي الجنسية ، والذي درس اللغة العربية في الخرطوم ، لتعينه على إنجاز مهمته في تشاد ، أكد لي الرواية خلال لقائي معه ، عند زيارة له للخرطوم في سنة ١٩٩٣م ، وحرص من ضمن زيارته ، على زيارة ذلك الطالب الذي كانت الكنيسة قد استضافته في داخليتها ، في أبشه.ورغم هذا المجهود الذي يشمل نشاط المجمع التنصيري ، وقيام هذا القس وزميلته اللبنانية (ناديا كركي) بالتدريس في المدارس ، وزيارة الأسر وافتراش الأرض ، وتقديم الهدايا ، بقصد كسب المسلمين ، رغم ذلك يقول د. محمد صالح أيوب أنهما قد "أشارا أكثر من مرة إلى خيبة أملهما في سكان المنطقة ، وعزف عقلهم عن قبول أي شيء عن المسيحية"[3]

---

[1] د. محمد صالح أيوب، المرجع السابق نفس الصفحة .

[2] د. محمد صالح أيوب المرجع السابق ، ص١٤٧ .

[3] د. محمد صالح أيوب المرجع السابق نفس الصفحة .

الفصل الثاني

الاستعمار البريطاني في السودان (١٨٩٩-١٩٥٦)م

المبحث الأول : أثر الاستعمار في صرف السودانيين عن دورهم الدعوي في إفريقيا .

المبحث الثاني: إضعاف علاقة السودانيين بضيوفهم من مهاجري غرب إفريقيا

مقدمة:

شهدت الفترة الأخيرة من حكم الخليفة عبد الله للسودان تحرشات من الدول الأجنبية من الشرق والشمال بل والجنوب أيضاً ، فمن الشرق دارت معارك بين الدولة المهدية وإمبراطور الحبشة يوحنا ، كما دخلت إيطاليا إلى مصوع وإرتريا ، بموجب اتفاقية بريطانية إيطالية لتقسيم المستعمرات ، وفي الجنوب " ظهرت قوات دولة الكنغو الحرة كتهديد جديد للمهدية في جنوب السودان ، ويبدو أن البلجيك كانوا يطمعون في ضم جنوب السودان إلى مستعمراتهم الإفريقية "[1] .

أما في الشمال فإن حملة الإنقاذ التي صدها المهدي عن تقديم أي خدمة لغردون ،قد ظلت ترابط في دنقلا حتى أجلاها الأمير محمد الخير. ولكن في يوليو ١٨٩٤ حدثت تطورات جديدة ، حيث احتل الإيطاليون كسلا[2] ، بموجب الاتفاقية البريطانية الإيطالية ، التي أشرنا إليها سابقاً ، وفي هذه الاتفاقية تعهدت إيطاليا باستعادة كسلا للسودان ، إذا تمكن البريطانيون من استعادة باقي السودان ، ولكن الإيطاليين خسروا معركة كانوا قد خاضوها ضد الأثيوبيين في منطقة " عدوة "[3] ، وحينها انتهز الخليفة الفرصة ، فأرسل الأمير أحمد فضيل لاستعادة كسلا ، فاتصل السفير الإيطالي في لندن بالحكومة البريطانية، وأبدى لها استعداد الحكومة الإيطالية لإخلاء كسلا ، إذا لم تقم بريطانيا بتحريك الجيش المصري ، للقيام بمناورات لشغل الخليفة ، وصرفه عن التوجه لكسلا[4] ، ولذلك حركت الحكومة المصرية قواتها ، بأوامر من بريطانيا ، وبقيادة بريطانية (الميجر جنرال هربرت كتشنر) سردار الجيش المصري ، والذي تحرك لاحتلال عكاشة[5] لشغل جيش الخليفة ، إلا أن مساعدات ضخمة تلقاها سارعت باحتلاله للمدن الشمالية ، وتمكن من هزيمة قوات المهدية في كل المواقع التي تمت فيها مواجهة بينهما ، واقترح كتشنر حينها على الحكومة البريطانية بالموافقة على مواصلة الزحف والاستيلاء على بقية أنحاء السودان ، وكان له ذلك ، حتى كانت واقعة كرري الشهيرة ، وهزيمة جيش المهدية يوم الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٨م ، وانسحاب الخليفة إلى أم دبيكرات ، حيث كانت وقعتها يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩م ، أي بعد أكثر من سنة من هزيمة كرري ، سقط الخليفة

---

[1] د. محجوب الباشا : التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان – مركز الدراسات الاستراتيجية- الخرطوم ١٩٩٨م ص١٠٥. كما راجع د. مكي شبيكة – السودان عبر القرون ص٤٢٥ ، وكذلك علي محمد بركات السياسة البريطانية استرداد السودان ص٨٩ وكذلك د. محمد فؤاد شكري – مصر والسودان ص٤٦٦ .

[2] راجع د. مكي شبيكة – السودان عبر القرون ص٤٢٤ .

[3] راجع علي محمد بركات – المرجع السابق ص١١٥ .

[4] مكي شبيكة – المرجع السابق ص٤٢٩ وص٤٣٠ .

[5] المرجع السابق ص٤٣٤ .

شهيداً ، وأصبح كتشنر البريطاني حاكماً للسودان ، باسم خديوي مصر ، وملك بريطانيا، وخضع السودان لنظام حكم لم يعرف التاريخ له مثيلاً [1] من قبل ولا بعد، وهو نظام الحكم الثنائي ، الذي وقع نص وثيقته في القاهرة عن مصر بطرس غالي وزير خارجية مصر ، وعن بريطانيا لورد كرومر قنصل بريطانيا في القاهرة ١٩ يناير ١٨٩٩م .

وغرابة هذا النظام الذي تضمنته اتفاقية الحكم الثنائي ، أنه لم يشر لمسألة السيادة على السودان لمن ؟ فقد جاء في مقدمة الاتفاقية ما نصه:

" حيث إن بعض أقاليم السودان التي خرجت من طاعة الفخيمة الخديوية ، قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية ، والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الإنجليز ، والجناب العالي الخديوي .

وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتوحة المذكورة ، من القوانين اللازمة عنها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن ، وما تستلزمه كل جهة من الاحتياجات المتنوعة . وحيث إنه من المقتضى الصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على مالها من حق ، الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الإداري والقانوني الآنف ذكره ، وفي إجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل[2] .

المبحث الأول : أثر الاستعمار في صرف اهتمام السودانيين عن القيام بدورهم الدعوي في أفريقيا :

ظلت مسألة تحديد السيادة على السودان ، والتكييف القانوني لاتفاقية الحكم الثنائي ، وتفسيراتها ، من أعوص المسائل في السياسة السودانية ، وجرّت تداعيات تلك القضية السياسية ، المستعمرين والوطنيين على حد سواء ، للصراع حول طلاسمها ، وشغلتهم عما هو أهم ، فانصرف السياسيون عن تحسين أوضاع البلاد الداخلية ، وحل مشاكلها ، فخرج السودان من تجربة الاستعمار بلا بنيات اقتصادية ، أو ثقافية ، ولم يتح له تطوير قدراته السابقة قبل مجيء الاستعمار ، كما استطاع المستعمر تكريس اهتمام أهل السودان بالمشاكل الوافدة من تلقاء الشمال ، فانحصرت كل الاهتمامات في هذا الجانب ، فثورة

---

[1] قال لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة) ما نصه : " كان ضرورياً أن يبتدع نظام يكون السودان بمقتضاه في آن واحد مصرياً وبريطانياً وكان من الواضح أنه يمكن التوفيق بين هذين الاعتبارين المتعارضين بغير خلق نظام هجين من الحكم لم يعرفه القانون الدولي من قبل.

[2] راجع نص الاتفاقية في نعوم شقير – جغرافية وتاريخ السودان ص ، وكذلك الكتاب الذي أصدرته رئاسة مجلس الوزراء المصرية باسم السودان من ٣ فبراير سنة ١٨٤١م إلى ١ فبراير ١٩٥٣م – المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٥٣م ود . مكي شبيكة السودان عبر القرون ص٤٦٦ ، وكذلك علي محمد بركات المرجع السابق ص٢٢٨ .

١٩٢٤م ، ومؤتمر الخريجين ، وقيام الأحزاب السياسية ، كانت فيها قضية الصلة بالشمال، هي الأساس ، فوهنت علاقات السودان بمحيطه الإفريقي ، وخصوصاً مع تشاد، وغرب إفريقيا وضعف اهتمام الساسة " الناشئين حينها " عن الاهتمام بمكائد الاستعمار ، في أطراف البلاد الأخرى في الجنوب ، والشرق والغرب ، ولذلك عندما رحل الاستعمار في منتصف القرن العشرين ، كان قد خلّق للسودان مشاكل داخل حدوده ، ومشاكل مع جواره الشمالي ، وقطيعة مع جواره الإفريقي الآخر .

ايّاً كانت الدوافع التي حدت بالعرب للهجرة إلى أفريقيا والسودان – على وجه الخصوص – فإن مهمة جليلة قد شارك فيها أولئك المهاجرون تمثلت في نشر الإسلام وبث علومه ، وكان اهتمام العرب دائماً هو الاتجاه جنوباً لكسب أراض جديدة للإسلام ، فبعد اتفاقية البقط ، ٦٤١م أخذت الهجرات العربية تتزايد ، وأخذ المهاجرون يختلطون مع الأهالي ، ويفرزون أجيالاً جديدة حتى إذا جاء العام ١٥٠٥م ، كان العرب قد وصلوا جنوباً حتى بلاد الفونج في أعالي النيل الأزرق ، وخالطوا الفور ، وأسسوا معهم مملكة قبل ذلك سنة ١٤٤٥م . إذن منذ دخول العرب السودان كانت وجهتهم الانتقال جنوباً ، ولم تكن تشغلهم شواغل باتجاه الشمال ، ولم يصبح الشمال هماً إلا بعد حملة محمد علي على سنار سنة ١٨٢١ ، والتي حولّت مجرى اهتمامات أهل السودان بالاتجاه شمالاً ، بعد أن كانت اهتماماتهم جنوبية ، ولما جاءت الثورة المهدية حاولت تصحيح ذلك المسار ، مستفيدةً من الأصول الفكرية التي سادت منطقة الحزام السوداني ، (السودان ، تشاد ، نيجيريا ، ... إلى غرب إفريقيا) عن المهدية وقرب قيام دولتها ، ورأينا كيف تضامنت إفريقيا مع دعوة المهدي فكرة ودولة ولكن بروز الخطر مرة أخرى من تلقاء الشمال ، قطع المهدية عن محيطها الحيوي في غرب إفريقيا ، وصرفها لمواجهة مشاكل الشمال ، ولمّا تمكّن المستعمر من إسقاط الدولة المهدية ، تيّسر له شغل السودانيين عن القيام بمهمتهم ، في مواصلة نشر الإسلام داخل القارة ، بمشاكل الشمال ، فتحولت أبصارهم تلقاءه ، بعد أن كانت مصوّبة تجاه إفريقيا ، وانتهز المستعمر هذه الفرصة ليرمي بفوائه " من المبشرين " ، خلف الخطوط في المناطق الجنوبية – على نحو ما رأينا من نشاط كمبوني ، وغيره من المبشرين ، في مكان سابق من هذا البحث . حتى إذا انتبه المسلمون ، وجدوا الحواجز والسدود قد وضعت ، وحيل بينهم وبين ما خلفهم أسلافهم من أجله لمواصلة نشر الإسلام والتمكين له .

وقد أفلح المستعمر أيما فلاح في ذلك ، وأقوى الأدلة على ذلك ، هو ما انصبغت به هموم الحركة السياسية السودانية ، التي نشأت بعد ذلك ، فبينما كان جدول أعمال الملك بادي (أبو دقن) سنة ١٦٤٣م ١٦٧٨م ، نشر الإسلام في منطقة الشلك وجبال النوبة ،

وكانت أجندة المهدي تقوية نفوذ عامله على غرب إفريقيا (حياتو بن سعيد) ، وتوثيق صلته بالمجاهد رابح فضل الله . تحولت أجندة الأحزاب السياسية في ظل المستعمر وبعده، بين مؤيد لأحقية مصر في السيادة على السودان ، وبين متعاون مع بريطانيا بدعوى استقلال السودان ، ولو أن هذا التحول وقع عبر القرون والأجيال لكان له ما يبرره ، أما وقد وقع ذلك في جيل عاصر المهدية ، أو كان من طبقة التابعين فيها فلا عذر ، فقد انجرّت الحركة الوطنية بكليتها إلى هذه القضية ، منذ العشرينات من هذا القرن، أي بعد بضع وعشرين سنة فقط من دخول الاستعمار ،حتى إنها دخلت في معارك مسلحة قتالاً تحت هذا الشعار ، ولو أن الحركة الوطنية ركزّت جهدها ، أو على الأقل وازنت بين جهدها في الاهتمام بمسائل الشمال ، مع اهتمامها برسالتها الأساسية في مجالها الحيوي ، لربما أورثت أهل السودان وضعاً مغايراً لما هم فيه الآن .

المبحث الثاني : أثر الاستعمار في إضعاف علاقة السودانيين بضيوفهم من مهاجري غرب إفريقيا:

ظل السودان يشكّل مهجراً للمسلمين من غرب إفريقيا لفترة طويلة من الزمن ، والأسباب التي دفعت سكان غرب إفريقيا للهجرة إلى السودان عديدة منها :

١/ طريق الحج :

يشكّل موقع السودان على ساحل البحر الأحمر ، وامتداده إلى داخل القارة الإفريقية طريقاً مهماً للحجاج المسافرين إلى مكة ، من غرب إفريقيا . وهو طريق بري ، يمتد من مراكش ، مروراً بولاته ، تمبكتو – زيندر ، كانم ، وداي ، دارفور ، سنار ، سواكن فمكة المكرمة . وقد اشتهر عن حجاج غرب إفريقيا أن معظمهم إنما يأتي إلى الحج راجلاً ، وقد أصطلح أهل السودان على تسمية هذه الطريقة في السفر الراجل" تكرنة"[1] ، فيقولون فلان متكرن أي جاء يمشي راجلاً . ولذلك فإن مسيرة الحاج ليقطع أرض السودان بهذه الطريقة ، قد تكلفه عدة سنوات ، يتعرض فيها لظروف الحياة العادية ، من مرض ، وموت ، وفقر ، وجوع ، وغيرها ، ولذلك فإن عدداً من هؤلاء قد يقيم إقامة دائمة ، قبل أن يدرك الحج ، وقد تكون إقامته الدائمة بعد أن يدرك الحج ، وهو في طريق العودة لبلاده .

---

[1] وهي نسبة إلى قبائل التكرور أو التكرون وهو الاسم الذي اشتهر به سكان غرب إفريقيا في أدب الرحالة العرب .

٢/ طلب الأمان :

هاجر عدد مقدر من سكان غرب إفريقيا للسودان بعد بعض حالات الاضطراب الأمني ، التي شهدتها بعض مناطق غرب إفريقيا ، فقد هاجر بعض سكان مملكة سوكوتو بعد أن غزاها البريطانيون سنة ١٩٠٩م ، وكانت اشهر هذه الهجرات ، هي هجرة أمير المؤمنين الطاهر ابن أحمد بن أبي بكر بن عثمان دان فوديو ، والتي استشهد فيها قبل أن يدرك السودان ، ولكن ابنه محمد بلومي ورنو (ما يرنو) واصل بجماعة تقدر بحوالي ٢٥,٠٠٠ نسمة ، حتى أدركوا قرية الشيخ طلحة على النيل الأزرق ، (١٥ كيلو جنوب شرق سنار)[١] وذلك سنة ١٩٠٦م .

كما تعتبر من الهجرات المشهورة ، هجرة بعض علماء ومواطني مملكة وداي ، بعد مجزرة الكبكب التي ارتكبها الفرنسيون في أبشه ، حيث قاموا بقتل أكثر من أربعمائة من العلماء " بالساطور " وكان ذلك في يوم ٢٥ يناير ١٩١٧م .

كما هاجرت مجموعة كبيرة من المسلمين ، من تشاد إلى السودان ، بعد الحملة التي قادها ضدهم " تمبلباي " أول رئيس تشادي بعد الاستقلال ، وظلت هذه الهجرات تتزايد إبان اشتعال الحرب الأهلية في تشاد ضد تمبلباي ، بقيادة جبهة التحرير الوطنية التشادية " فرولينات " ، وذلك ابتداء من العام ١٩٦٦م .

٣/ إدراك المهدي ونصرته :

لقد شاع في أدب سكان غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قرب ظهور الإمام المهدي ، وبناء على نبوءة الشيخ دان فوديو مؤسس مملكة سوكوتو ، فقد التفتت الأنظار إلى منطقة وادي النيل حيث يتوقع ظهور الإمام المهدي ، وهاجر لهذا السبب عدد كبير من السكان قبل ظهوره ، وقد ذكرنا في سيرة الخليفة عبد الله أن ثلاثة أجيال من أسرته : "جده علي الكرار ، ووالده محمد ،وشخصه(عبد الله) " ، كانوا جميعاً يقتفون أثر المهدي ، حتى أدركه عبد الله في طيبة ، وبايعه حتى قبل أن يبوح بمهديته ، وحول اهتمام مواطني غرب إفريقيا بهذا الأمر يقول (بالمر) في تقريره عن الرحلة من ميدوغري إلى جده : " الأعداد الكبيرة من مواطني غرب إفريقيا الذين عبروا إلى السودان ، جاءوا لأسباب دينية ، ويمكن القول خرافية للاعتقاد السائد لدي الفولاني بأن هذا الشعب المختار سيقاد يوماً إلى وطن أجداده بواسطة المهدي"[٢].

---

[١] وذلك حسب ما أورده د. أبو منقة نقلاً عن كوردر : راجع أبو منقة الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سوكوتو – دراسات أفريقية العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٩م .

[٢] راجع د. أبو منقة – المرجع السابق ص٢٩ .

٤/ القرابة وصلة الرحم :

أشرنا في الفصل الأول من الباب الأول من هذه الدراسة أن هناك عدداً من القبائل المشتركة بين السودان وتشاد ، كما أن عدداً من قبائل غرب إفريقيا ، مثل الفولاني ، والهوسا ، وغيرهما تربطها صلات القربى ، والرحم بمجموعات تقيم في السودان ، وساعد هذا السبب في كثير من الهجرات التي حدثت من سكان غرب إفريقيا للسودان للزيارة ، وفي بعض الأحيان للإقامة .

٥/ العمل :

أرض السودان ، بسهولها الواسعة الخصبة ، ومياهها الجارية ، وأمطارها الغزيرة ، كانت سبباً في هجرة العديد من مواطني غرب إفريقيا للعمل في السودان ، أما رعاة تتبعهم قطعانهم ، أو عمالاً زراعيين في عدد من المشاريع الزراعية في السودان ، أو في أعمال خدمية .

٦/ التعليم :

هاجرت إلى السودان مجموعة من سكان غرب إفريقيا بقصد تلقي العلم في معاهد السودان المختلفة ، وكان معهد أم درمان العلمي أهم هذه المراكز العلمية، هذا فضلاً عن أن مجموعة كبيرة من الطلاب الوافدين من غرب إفريقيا كانوا يقصدون بعض الخلاوي المشهورة ، وبعض المشايخ المشاهير ، ومازالت هذه الظاهرة موجودة حتى اليوم ، يذكر صاحب الطبقات أن عدد الطلاب التكارنة في خلاوي الشيخ القدال (ت ١٦٨٤) بلغ حوالي ألف وسبعمائة طالب[١] .

لتلك الأسباب ولغيرها ، هاجرت أعداد مقدرة من سكان غرب إفريقيا وأقامت في السودان ، فأسست سلطنة ما يرنو جنوب سنار ، كما أسسوا مشيخة تكارير القلابات ، بين نهري عطبره والرهد .

أدرك الاستعمار أن أقوى رابطة تربط هؤلاء المهاجرين بالمواطنين ، هي الرابطة الدينية ، ذات البعد الجهادي ، وحتى يتمكن المستعمر من تأمين أوضاعه، عمل على عزل هؤلاء المهاجرين عن الاختلاط بالمواطنين ، عزلاً مادياً وإدارياً .

---

[١] ود ضيف الله – الطبقات ص٢٢ .

أولاً: العزل المادي :

أقام المستعمر مستوطنات لمهاجري غرب إفريقيا بعيداً عن المواطنين ، ففي رسالة مؤرخة في ١٢ مايو ١٩٢٦م ، صادرة من مدير مديرية النيل الأزرق إلى انجلسون مفتش مركز القضارف يقول فيها :

" The site of the existing seltement was chosen so that the Fellata might not be mixed up with Arabs "[1].

ويقول في موقع آخر من الرسالة مؤكداً نفس هذا المعنى:

"Our difficulty is that there is not much room for Settlements in this Province except up agaist Arab villages".

مما يؤكد حرص المستعمرين على عزل المهاجرين عن المواطنين ، حتى لا يقع أي إختلاط بينهما ، يمكن أن يسفر عنه تنسيق للجهود في مكافحة المستعمر.

ثانياً : العزل الإداري :

سعى المستعمر لتكريس العزل المادي (المكاني) ، بعزل إداري ، يجعل من مجموعة المهاجرين فئة تدار بطرق مخصوصه، وبمطالعة وثائق الإدارة الإستعمارية في السودان ، يتبين أن الخطة من العزل الإداري كان القصد منها هو عدم اتاحة أي فرص للتواصل بين المهاجرين ، والمواطنين ، حتى لا تعود جذوة المهدية من جديد ، ففي الخطاب المشار إليه سابقاً ، يخاطب مدير النيل الأزرق مفتش القضارف بقوله :

" Maiwerno is always looking for an out let for Villages which will not be in any way under Arab sheikhs.... We here think it important to Maiwerno's influence over the Fellata as much as possible, as he is definitelly anti – Mahdist, and so many of the Fellata are Mahdist "[2]

فهو يخشى من اختلاط المهاجرين بالمواطنين ، فيؤثر المواطنون في تهييج حماس المهاجرين للانتصار للمهدية ، ولذلك آثرت الإدارة الاستعمارية أن تهئ الظروف لقائد من المهاجرين ، هو السلطان مي ورنو ، والذي لم يكن – على خلاف ما كان عليه قومه – مقتنعاً بمهدية المهدي .

والدليل الأقوى على الهاجس الأمني لدى المستعمر من وجود المهاجرين ، ما ورد في مذكرة من خمس صفحات ، صادرة من مدير مديرية النيل الأزرق ،

---

[1] خطاب رقم 36.G. 2 صادر من مدير مديرية النيل الأزرق لمفتش مركز القضارف بتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٦ – راجع الملاحق .

[2] المرجع السابق .

للسكرتير بالرقم : Bnp/scr/36.g.3 بتاريخ ٢١ أبريـــل ١٩٣٠م يقـول فـي الفقـرة الخامسة ، الصفحة الثانية ، ما يلـي:

" Tere are many advantages in fitting in the sultan with our general Policy of Native Administration. in this province there are , on the sultan`s own figures , at least 15.000 Fellata" .

"Mr.Lethem. In his report compiled in 1924/1925, estimated the number at 12.000. In the whole of the Sudan Mr. Lethem estimated there were at any given time 56.000. They stretch in an un- interupted chain of settelments from the sea to Darfur and across to Nigeria, and it was obvious, from Mr. Lethem`s investigations, to what use these facilites of Communication could be put in the event of anti – Government or anti – Christian attitude on the part of Fellata as awhole. " [1]

[1] خطاب رقم (BNP/SCR/36.G.3) ود مدني ٢١ أبريل ١٩٣٠م من مدير مديرية النيل الأزرق إلى السكرتير الإداري – الخرطوم (الفقرة (5) ص٢) ، راجع الملاحق .

الفصل الثالث

(الاستعمار الفرنسي في تشاد (١٩٠٠-١٩٦٠)م)

المبحث الأول : سياسة الاستيعاب الثقافي .

المبحث الثاني : إضعاف دور المسلمين في الحياة العامة .

مقدمة :

تكاثفت الضغوط على رابح فضل الله – مثلما – رأينا من قبل ، ودافع عن دولتــــه ، وقاتل حتى سقــط شهــيداً فـــي أبريل سنة ١٩٠٠م . وفي ٥ سبتمبر صدر مرسوم مــن رئاسة الجمهورية الفرنسية ينص على تنظيم مناطق الحاميات العسكرية الفرنســـية فـــي تشاد، وإلحاقها إدارياً بإقليم أوبانقي[١]، وأطلق اسم القائد الفرنسي (لامي) علـــى المنطقـــة العسكرية التي أنشئت على الضفة الشرقية لملتقى نهر شاري ولوغون ، والتي أصبحـــت فيما بعد العاصمة الإدارية لمستعمرة تشاد باسم (فورت لامي)[٢].

وبذلك تحـــولت إدارة المستعمـــــرة التشـــادية ليـــد الفرنســـيين ، ولتـــدار مـــن داخل إقليم (أو بانقي) ، ولـــم تعـــد عواصــــم تشـــاد الســـابقة (أبشـــه) أو (ماســـينا) أو غيرها عواصم للإدارة الجديدة ، وكـــانت هـــذه بدايـــة لخلـــق واقـــع سياســـي وإداري جديد ، صحبه وضع ثقافي مختلـــــف.

ظلت الفترة من ١٩٠٠م إلى ١٩١٨م فترة مقاومة مستمرة للاستعمار[٣] ، وما إن حـــلّ عام ١٩٢٠م حتى صدر مرسوم فرنسي صارت بموجبه تشاد مستعمرة فرنســـية تابعـــة لأقاليم إفريقيا الاستوائية ، والتي كانت تضم كلاً مـــن الكنغـــو ، والغـــابون ، وإفريقيـــا الوسطى، وعاصمتها برازافيل ، وبذلك قطعت تشاد عن محيطها العربـــي الإســـلامي ، وتبعت لمنطقة لا علاقة لها بما كان سائداً في الممالك التشادية ، من ثقافـــة ، وتقـــاليد ، وأعراف ، وساعد ذلك على تشكيل أوضاع تشاد الثقافية والسياسية والاجتماعية مستقبلاً .

المبحث الأول : سياسة الاستيعاب الثقافي :

تميزت السياسة الاستعمارية الفرنسية دون سواها من سياسات الاستعمار الأوربـــي ، بأنها كانت تسعى دوماً لجعل شعوب المستعمرات جزءاً من الثقافة الفرنسية ، ظنـــاً مـــن الفرنسيين أن مهمتهم في العالم هي نقل ثقافة جديدة كانت فرنسا هي دولة المنشـــأ لـــها ، وعلى الشعوب المستعمرة (بفتح العين) أن تخضع لهذه السياسة ، لأنها تهدف لمصلحـــة هذه الشعوب .

نشرت جريدة " المؤيد " القاهرية عام ١٩٠٠م (١٣١٧هـ) مقالاً للمستشرق الفرنسي (هانوتو) ، والذي كان يشغل حينها منصب مستشار وزارة المســـتعمرات الفرنسـية ، يحلل فيها أوضاع العالم الإسلامي ، ويقترح بعض المعالجات التي ينبغي أن تقـــوم بـــها

---

[١] اوبانقي هو إفريقيا الوسطى حالياً .

[٢] د. عبد الرحمن عمر الماحي : المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي – القاهرة ١٩٩٧م ص٢٤٥ .

[٣] راجع يوسف بركة – تشاد الدولة العربية المجهولة – بحث غير منشور ، ص١٠٨ .

الإدارة الفرنسية ، حتى تتمكن من تنفيذ سياستها في استيعاب المسلمين في الحضارة والثقافة الفرنسية ، يقول " إن شعباً جمهوري المبادئ ، (شعب فرنسا) يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشد له إلا نفسه ، هو الذي تقلد زمام إدارة شعب آخر ، لا يلبث أن ينمو حتى يساويه في العدد ، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة ، والأصقاع المجهولة ، والمُتّبع لتقاليد وعادات غير التي نحنو لها ونحترمها ، هو الشعب الإسلامي السامي الأصل ، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن ملح المدنية وروحها "[1] .

في هذا النص يزعم (هانوتو) أن الشعب المسيحي الآربي الأصل هو الذي تكفل مجمل ملح المدنية وروحها ، للشعب المسلم الساميّ الأصل، فهو يقابل في ذلك بين شعبين – بزعمه – أحدهما : متخلف والآخر متحضر ، ولابد للمتحضر من استيعاب الآخر في ثقافته وحضارته ، حتى يَطْعَم ذلك المتخلف الحضارة التي حُرم منها .

شكلّت مثل هذه الاستشارات سياسة فرنسا تجاه مستعمراتها وهي سياسة الاستيعاب الثقافي ، والتي تعني " تلك العملية التي قامت بها فرنسا لاحتواء الشعوب المستعمرة ، عن طريق فرض الثقافة الفرنسية عليها"[2]. ويشمل ذلك جميع مظاهر الثقافة ، من حيث اللغة ونظم الحياة الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية ، والتأثير النفسي ، الذي يشعر معه الشخص المستعمر ، (بفتح العين) وكأنه جزءٌ من الكيان الفرنسي .

خضعت تشاد كغيرها من دول المستعمرات الفرنسية لهذه السياسة وأحدثت أثراً في مجالات الحياة المختلفة :

أ/ المجال السياسي :

ما أن تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها على تشاد ، حتى أخذت تعيد صياغة الأوضاع السياسية في البلاد بطريقة مغايرة للنمط الذي كان سائداً ، فرغم أن فرنسا تحالفت مع بعض الحكام التشاديين ، مثلما حدث مع عبد الرحمن قوران ، سلطان باغرمي لمواجهة رابح فضل الله، إلا أن القوات الفرنسية سرعان ما تنكرت لتحالفها ، وأزالت كل الممالك التشادية ، وربطت تشاد سياسياً بأفريقيا الفرنسية الاستوائية ، والتي كانت تضم الكنغو والغابون وإفريقيا الوسطى ، وعاصمتها برازفيل، وعينت فرنسا مجموعة من الإداريين الفرنسيين للاضطلاع بمهمة الحكم ، واستبعدت أي عنصر وطني

---

[1] راجع د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – مكتبة وهبة – القاهرة ط(١٠) ص٢٥.

[2] د. محمد صالح أيوب : مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية : ص١٧٧ .

محلي ، وعندما استعانت بعناصر غير فرنسية ، فإنها استخدمت عناصر غير تشادية من جزر الهند الغربية وغيرها[1] .

بل كان أعلى درجات الاستيعاب السياسي ، هو صدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة ، في ٤ أكتوبر ١٩٥٨م ، والذي تقرر بموجبه دمج جميع المستعمرات الفرنسية مع فرنسا "الأم" ، ومنحها حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي ، ونتيجة لهذه الخطوة، تأسست أحزاب سياسية في تشاد كانت عبارة عن فروع للأحزاب السياسية الفرنسية ، مثل :

١/ حزب الاتحاد الديمقراطي ، (UDT) بزعامة عربي القوني والذي كان فرعاً لحزب تجمع الشعب الفرنسي .

٢/ الحزب التقدمي التشادي ، (PPT) بزعامة جبريل ليزيت وفرانسو اتمبلباي والأول من جزر الهند الغربية ، درس في فرنسا ، وعمل في المغرب ، وانتقل إلى تشاد ليعمل صرافاً في مدينة مندو ، والحزب يعتبر فرعاً للحزب الاشتراكي الفرنسي .

٣/ حزب الحركة الاشتراكية الإفريقية ، (MSA) بزعامة أحمد غلام الله ، وهو تشادي من أصل سوداني ، من جزيرة الأشراف بدنقلا ، صاهر إحدى الأسر من الباغرمي ، وكان يعمل بالتجارة ، ثم انخرط في العمل السياسي ، وأسس الحركة الاشتراكية الإفريقية .[2] "كفرع محلي لحزب أكبر، له فروع في جميع المستعمرات الفرنسية الإفريقية وهو حزب الاشتراكية الإفريقية "[3].

ب/ المجال الدستوري :

ألغى الاستعمار الفرنسي النظم الدستورية التي كانت سائدة في الممالك التشادية ، واستعاض عنها بسلطات واسعة منحها للإداريين الفرنسيين ، للفصل في المنازعات التي تعرض ، عليهم هذا فضلاً عن مسئولياتهم الإدارية والعسكرية والمالية ، واستمر هذا النظام من ١٩٠٠م وحتى ١٩٥٨م ، وذلك عندما صدر القانون الدستوري الفرنسي في ٣ يونيو ١٩٥٨م ، والذي نظم العلاقات بين الجمهورية الفرنسية، والشعوب الإفريقية ، ثم صدر في ٤ أكتوبر ١٩٥٨م دستور الجمهورية الرابعة ، والذي نظم ما عرف بالرابطة الفرنسية الإفريقية ، وبموجبه صارت تشاد جمهورية في إطار هذه المنظومة ، وذلك في

---

[1] والمثال على ذلك جبريل ليزيت رئيس حزب التقدم التشادي وجان باتيست رئيس حزب اتحاد تشاد الديمقراطي المستقل أما الأول فأصوله من جزر الهند الغربية وأما الثاني فوالده فرنسي .

[2] راجع يوسف بركة : تشاد الدولة العربية المجهولة : بحث غير منشور ص١١٠ .

[3] عمر أحمد صديق : المشكلة التشادية : بحث ماجستير جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٢م ، غير منشور ، ص٤١ .

٢٨/١١/١٩٥٨م وتتمتع بالحكم الذاتي ، واحتفظت فرنسا لنفسها بإدارة شئون الدفاع ، والسياسة الخارجية ، والاقتصاد ، والمالية ، والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وأخذ يمثلها شخص يعرف باسم " المندوب السامي الفرنسي "[١] . وبناءً على ذلك صدر أول دستور تشادي في ٣١/٥/١٩٥٩م ، واعتبر تشاد دولة علمانية، ديمقراطية اجتماعية ، تسير وفق مبادئ العدالة والحرية والمساواة والإخاء ، وأصبحت تشاد بذلك تأخذ بنمط دستوري فرنسي ، ظل يلازمها عبر كل حقبها السياسية ، مما يؤكد أن عملية الاستيعاب قد شملت هذا الجانب أيضاً .

ج/ المجال القانوني :

مثل ما ألغت فرنسا النظام الدستوري الذي كان سائداً في الممالك التشادية ألغت كذلك النظم القانونية ، وأعطت حكام المقاطعات اختصاص الفصل في القضايا ، وفرض الغرامات ، وتوقيع العقوبات في جميع القضايا ، استمر ذلك حتى عام ١٩٤٥م عندما تم إدماج النظام القانوني التشادي نهائياً في النظام القضائي الفرنسي . " وتولست السلطة القضائية الفرنسية وحدها النظر في كافة المخالفات والجرائم ، التي ترتكب في الأراضي التشادية طبقاً لقانون الإجراءات وقانون العقوبات الفرنسي"[٢] .

يعتبر الاستيعاب في النظام القانوني الفرنسي هو أهم مؤشرات الإدماج في الثقافة الفرنسية . " فقد اعتبر المشرعون الفرنسيون أن قبول الإفريقي الخضوع لقانون الأحوال الشخصية الفرنسي ، والقانون المدني والجنائي الفرنسي ، هو الفارق الذي يميزه عن الإفريقي الذي يرفض الخضوع لهذا القانون ، ويتمسك بقانونه الخاص للأحوال الشخصية، وخاصة القانون الإسلامي ، ولهذا وضع الفرنسيون حداً فاصلاً بين الشخصيتين ، فالإفريقي الذي يتخلى عن قوانينه أعطى مكانة مواطن (CITOYER) وترتب عن هذه التفرقة ظهور ما يسمى بقانون (الانديجينا INDIGENAT) ، وهي مجموعة من الأوامر الإدارية ، والعرفية التي يطبقها الضباط ، والحكام العسكريون ، والمدنيون ، وتنطبق فقط على الرعايا الإفريقيين الذين لم يرتقوا إلى مستوى التذويب والاستيعاب في البيئة الاجتماعية الفرنسية ، ومن ثم فهؤلاء الإفريقيون يحاكمون أمام محاكم إدارية خاصة، وعقوبات قانون (الانديجينا) قاسية ، تتراوح بين الاعتقال والنفي ، ومصادرة الممتلكات ، والإعدام ، والغرامات المالية الباهظة ، هذا بالإضافة إلى أن

---

[١] راجع عبد الرحمن عمر الماحي: المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي – القاهرة ١٩٩٧م ، ص٢٤٦ – ٢٥١.

[٢] د. عبد الرحمن عمر الماحي : المرجع السابق ص٢٥٧ .

الإفريقي الذي لا يقبل هذا التذويب القانوني لا يتمتع بأية ضمانات ، أو حريات ، أو حقوق سياسية أو نقابية "[1].

د/ مجال اللغة والثقافة :

لقد كانت اللغة السائدة في الممالك التشادية قبل دخول الاستعمار هي اللغة العربية ، حيث كانت هي لغة الإدارة ، والتجارة ، والتعليم . ورغم احتفاظ كل قبيلة بلغتها المحلية، إلا أن لغة التخاطب المشتركة كانت هي اللغة العربية ، وتؤكد ذلك كل المكاتبات التي كانت تصدر عن هذه الممالك[2].

ما أن حلّ الاستعمار الفرنسي في تشاد حتى بدأ حرباً ضد اللغة العربية والثقافة العربية ، وتمثل ذلك في اعتماد اللغة الفرنسية لغة للإدارة والتعليم ، ورغم أن فرنسا لم تنشط كثيراً في مجال التعليم ، إلا أنها شأن كل الإدارات الاستعمارية الأوربية تركت إدارته للكنائس ،كما ربطت ناتج التعليم بنظمها الخاصة ، وجعلت التعليم مدخلاً للحصول على الوظيفة الحكومية ، وتحقيق أغراض المستعمر " وقد أوضح هذا المسعى الفرنسي (ويليام بونتي) ، أحد أوائل الحكام الفرنسيين لإفريقيا الفرنسية ، وذلك بقوله : (نعمد إلى تشكيل صفوة من الشباب توجه لمساعدة جهودنا الخاصة) . وأشار إلى ذلك (هنري سيمون) ، وزير المستعمرات الفرنسية إلى أن التعليم الفرنسي في إفريقيا ، الهدف منه (جعل أفضل عناصر السكان الأصليين فرنسيين بالكامل) . وأشار " بريفي " أحد الحكام الفرنسيين ، إلى أن التعليم الابتدائي للأفارقة هو : (من أجل مساعدتنا في أعمالنا لغرض الاستعمار) "[3].

رغم سياسة فرنسا المعلنة في هذا المجال ، إلا أن مجهوداتها في مجال نشر التعليم كانت محدودة جداً ، فحتى عام ١٩١٨م لم يكن عدد المدارس الابتدائية في كل تشاد ، يتجاوز خمس المدارس ولم تستوعب هذه المدارس أكثر من ١٨٤ تلميذاً[4] ، ولم تنشئ فرنسا في تشاد كلها مدرسة إعدادية إلا في عام ١٩٤٧م ، وعندما خرج الاستعمار الفرنسي من تشاد لم يكن بها أكثر من ثلاث مدارس إعدادية ، ومدرسة ثانوية واحدة فقط، ولم يكن حملة الشهادة الإعدادية يتجاوزون السبعين ، ولم يتجاوز عدد حملة الشهادة الثانوية عشرة الطلاب[5] . ومن غريب سياسات الاستعمار الفرنسي ، ذلك المرسوم الذي

---

[1] د. محمد أيوب : المرجع السابق ، ص١٨١ .

[2] راجع الملاحق في آخر البحث .

[3] د. محمد صالح أيوب ، المرجع السابق ص٢٦٣ .

[4] راجع د. عبد الرحمن عمر الماحي – المرجع السابق ص٢٦٣ .

[5] د. عبد الرحمن الماحي – المرجع السابق ص٢٦٤ .

أصدره الحاكم العام لأقاليم أفريقيا الاستوائية ١٩٤١م ، بعدم التوسع في مجال التعليم ، حتى لا يكون هناك خريجون لا تحتاج إليهم الإدارة الفرنسية في الخدمة العامة .

إذا كان هذا هو حجم النشاط التعليمي في تشاد في ظرف ستين عاماً ، بهذا التواضع، فكيف نفسر سيادة اللغة الفرنسية وحاكميتها وفق نصوص كل الدساتير التشادية ، من دستور ٥٩ وحتى دستور ٩٦ ، والذي ينص في مادته التاسعة على : "أن اللغتين الرسميتين : هما الفرنسية والعربية " . التفسير الوحيد المتاح ، هو سطوة السلطة الفرنسية الأمنية ، والاقتصادية ، على تشاد ، فإن قطاعاً مقدّراً من الشعب التشادي لا يفهم اللغة الفرنسية بأي درجة من درجات الفهم ، في حين أنه لا توجد إلا نسبة ضئيلة جداً من التشاديين لا تفهم العربية ، حيث إن العربية هي لغة التخاطب اليومي بين التشاديين ، في مجالات الحياة المختلفة .

هـ/ المجال الاقتصادي :

عملت فرنسا على ربط النظام الاقتصادي في مستعمراتها بنظامها الاقتصادي الخاص، ويعني هذا بالضرورة أن تنفق فرنسا على مستعمراتها ، حتى تستطيع أن تسلك في إطار النظام الاقتصادي الخاص بها ، لكن الغريب أن فرنسا عاجلت – وبمجرد استيلاء قواتها على أراضٍ واسعة من إفريقيا – إلى إصدار القانون المالي لسنة ١٩٠٠م ، والذي صدر في ١٣ أبريل ١٩٠٠م ، لينص على " أن جميع المستعمرات الفرنسية ، عليها أن تغطي تكاليفها المالية الخاصة بالخدمات العامة داخل الإقليم ، بما في ذلك مرتبات الدرك ، والشرطة . أما الجيش فيكون تابعاً لميزانية وزارة الدفاع الفرنسية "[1]. ولكن ورغم ذلك ، اجتهدت فرنسا في ربط تشاد بعجلة الاقتصاد الفرنسي ، وتمثل ذلك في تحديد أنماط الإنتاج الاقتصادي التشادي الذي تحتاجه الأسواق الفرنسية ، فقد ألزمت فرنسا المزارعين التشاديين بزراعة القطن ، وأعطت إنتاجه أهمية خاصة . كما تمثل في ربط تشاد بالعملة الفرنسية الإفريقية المرتبطة بالفرنك الفرنسي وهي ، "الفرنك سيفا" . ولكن أسوأ مظاهر الاستيعاب الفرنسي للاقتصاد التشادي ، هو كبح حركة النشاط الاقتصادي في تشاد ، وتقييدها من الانطلاق ، رغم غنى المجتمع التشادي بالموارد الطبيعية ، التي كان من الممكن أن تجعل تشاد ، من أفضل الدول اقتصاداً . ولعل أوضح ما يدل على هذه السياسة ، هو تكتم فرنسا على مكونات تشاد المعدنية ، والبترولية ، والتي ظهرت مؤخراً ، مما دفع فرنسا لتأكيد تلك المعلومات ، بما توافر لديها سلفاً من دراسات ، حول إمكانات الاقتصاد التشادي .

---

[1] د. عبد الرحمن الماحي – المرجع السابق ص١٧٢ .

وأغرب ظاهرة في الأداء الاقتصادي الفرنسي في تشاد ، أنه رغم أن تشاد من مستعمرات فرنسا ، ورغم نظام الاستيعاب الكامل الذي كانت تمارسه فرنسا وفق دساتيرها ، إلا أن ما كانت تقدمه فرنسا من دعم لتشاد ، كان يُعَد من باب القروض وعندما أعلن استقلال تشاد في سنة ١٩٦٠م ، كانت تشاد مدينة لفرنسا باثني عشر مليارا وخمسمائة وعشرة ملايين فرنك سيفا[1] ، مما يعني أن تشاد دخلت مرحلة الاستقلال ، وهي مكبلة بديون تثقل كاهلها ، ولضمان حصول فرنسا على ديونها ، فإن الإدارة المالية التشادية ، ظلت ومنذ فجر الاستقلال ، وحتى الآن بيد الإدارة الفرنسية ، بصورة تكاد تكون كاملة ، حيث إن معظم الصرّافين في الإدارات الحكومية التشادية هم من الفرنسيين .

و/ المجال الاجتماعي :

حاول الاستعمار الفرنسي استيعاب المجتمع التشادي في الحياة الاجتماعية الفرنسية ، وكان مدخله لذلك إنشاء مجتمعات حضرية جديدة ، غير تلك التي كانت قائمة إبان الممالك الإسلامية ، فأنشأ مدناً مثل " فورت لامي" ، " فورت ارشامبول " ، " موندو " ، وحاول أن يصبغ حياة سكان هذه المدن بصبغته الاجتماعية ، ولكن المجموعات السكانية التي نزحت إلى هذه المدن رغم استيعابها لبعض مظاهر الحياة الأوربية ، إلا أنها ظلت تحافظ على نمط حياتها التقليدية ، فحافظت لحد كبير على لغتها ، ونظمها في الأفراح والمآتم ، وتشييد المساكن والعلاقات الاجتماعية ، مع الآخريين . ذلك أن جملة سكان الحضر – حسب إحصاء ١٩٦٠م – لم يتجاوز ٢٦٠٧٨٨ نسمة ، من جملة سكان تشاد والبالغ عددهم حينها ٢٦٠٥٠٠٠ نسمة ، بل إن مدينة فورت لامي العاصمة ، والتي أنشأها الاستعمار سنة ١٩٠٠م كان تطور عدد السكان فيها كما يلي[2]:

السنة	عدد السكان
١٩١٠م	٣٠٠٠
١٩٥٠م	٣٠,٠٠٠
١٩٦٠م	٩٥,٥٣٦

أما أكبر أثر للاستعمار الفرنسي في تشاد ، فهو خلق طبقة من المثقفين المرتبطين بالثقافة الفرنسية ، والذين انبتّت جذورهم من المجتمع التشادي ، وانقسم المجتمع بذلك إلى طبقتين : الطبقة الحاكمة ، ومعظمها من غير المسلمين من الذين نشأوا مشربيّن بالثقافة الفرنسية ، وهي قليلة العدد ، وقوية النفوذ ، والمجموعة الأخرى هي الأكبر ، عدداً ،

---

[1] د. عبد الرحمن الماحي – المرجع السابق ، ص١٣٥ .

[2] د. عبد الرحمن الماحي : المرجع السابق صفحات ١٩٤، ١٩٥ ، ٢٠٢ .

والألصق بالأعراف والتقاليد التشادية ، غير أنها الأقل حظاً في السلطة والثروة ، وهـــذا الوضع هو الذي هيأ الظروف لانفجار الأوضاع الاجتماعية ، والسياسية ، بعـــد رحيـــل المستعمر ، وظلّت معه تشاد في صراع مسلّح بين فصائلها المختلفة ، الأمر الذي ســـاعد على مزيد من التخلف في الأوضاع الاجتماعية ، والسياسة ، والاقتصادية .

غير أنه يلزمنا هنا الإشارة لظاهرة لازمـــت الاســـتعمار الفرنســـي فـــي مختلـــف الدول الإفريقية وهي ظهور فئة من السـكان الـــهجين ، والذيـــن يســـمون (المتيـــس) ، وهم عبارة عن نتاج لعلاقات فرنســـية محليـــة بعضـــها شـــرعي ، ومعظمـــها غـــير شرعي ، وتشكل هـــذه المجموعـــة فئـــة شـــديدة الـــولاء للثقافـــة الفرنســـية ، شـــديدة الاحتقار للمجتمع المحلـــي .

ز/ المجال العسكري :

إن أبرز مظاهر الاستيعاب في المجال العسكري ، هو تلك الهزيمة العسكرية التـــي ألحقتها الجيوش الفرنسية بالجيوش التابعة للمالك التشادية ، وبها استطاعت كسر كبريـــاء الجندي التشادي ، ولحق بها إحلال الجيوش الفرنسية مكان تلك الجيوش الوطنية ، ومـــا استتبع ذلك من إدخال النظم العسكرية الفرنسية ، التي لم تكن معروفة من قبل ، وصحب ذلك تجنيد للكثير من الشباب بنظام السخرة ، الذي يلزم رئيس كل قرية أو شيخ قبيلـــة ، أن يُعد عدداً من الشباب للانخراط في ملك الجندية " . وفي المناطق المناوئة لإجـــراءات السخرة ، والتجنيد ، خاصة في الشمال ، والحزام الأوسط ، تقام حملات تعســـفية علـــى الأسواق ، والقرى يُساق فيها الرجال بالقوة"[1] ، مما أدى إلى هجرة أعـــداد كبـــيرة مـــن الشباب إلى خارج تشاد ، وبما أن الاستعمار الفرنسي كان يفرض ســـطوته علـــى كـــل المناطق المجاورة لتشاد ، فإن المهرب المناسب كان إلى السودان ، أو نيجيريا ، حيـــث الاستعمار البريطاني ، وإن لم يكن بأفضل من رصيفه الفرنسي .

ورثت تشاد نظاماً عسكرياً فرنسياً ، هو الذي يحكم مؤسستها العســـكرية الحاليـــة ، وورثت أسوأ من ذلك قواعد عسكرية ، يُقدر عدد العاملين فيها بالآلاف . وظلـــت هـــذه القواعد تتدخل في الأوضاع الداخلية لتشاد ، وذلك بإسناد المجموعات الموالية لفرنســـا ، على حساب المجموعات المعادية ، لها وشكّل الوجود العسكري الفرنسي في الأراضـــي التشادية ضغطاً مستمراً على تشاد ، يحول دونها ودون التحول عن مقتضيات المصـــالح الفرنسية ، الاقتصادية والثقافية والأمنية.

---

[1] د. عبد الرحمن الماحي : المرجع السابق ص١٧٥ .

المبحث الثاني : إضعاف دور المسلمين في الحياة العامة :

عندما دخل الاستعمار الفرنسي إلى تشاد ، وجـد فيـها دولاً إسـلامية ، كـان دور المسلمين في إدارة شئونها هو الأساس ، وبما أن الإسلام كان هو الديانة الكتابية الوحيـدة السائدة في المنطقة ، حيث لم تكن المسيحية قد دخلت بعد ، إذ انها دخلت مع المستعمر ، فإن العقائد التي كانت سائدة بجانب الإسلام هي العقائد الروحية الإفريقية وكانت سـائدة وسط القبائل الجنوبية ، والتي يطلق عليها جملةً لفظ قبائل السارا – وإن كان السارا قبيلـة واحدة ، ضمن هذه المجموعة الزنجية من القبائل .

اهتم المستعمر بهذه القبائل ، وركّز نشاطه عليها ، فنشر وسطها الكاثوليكية ، واللغـة الفرنسية ، واستخدمهم في الخدمة العامة (وتعد قبائل السارا في الجنوب أكثر المجموعات السكانية التشادية هدفاً وتحضراً في مضمار التعليم والثقافة الفرنسية) . وذلـك للعنايـة والاهتمام الخاص الذي تلقّاه سكان الجنوب من المستعمر ... وكان نتيجة ذلك أن تولـوا إدارة البلاد ، وقيادة الدولة بعد الاستقلال ، فكان أول رئيس لتشاد هو فرانسوا تمبلبـاي ، من قبيلـة السـارا ، وخلفـه كـذلك الجنرال فيلكس مالوم ، الذي أطاح بتمبلباي مـن نفس القبيلة"[1] .

ولعل السبب في تركيز الاستعمار على العناصر الجنوبية ، واهمال العناصر الشمالية، أن الثانية أبدت مقاومة ، وتذمّراً ، ومقاطعة للسياسات الاسـتعمارية ، بينمـا اسـتجابت الأولى ، وأصبحت تشكّل عصبية النظام السياسي ، والاقتصـادي ، والإداري، وأصبـح معظم سكان المدن التشادية من هذه الفئة ، بينما لزم الشماليون الأرياف ، أو الهجرة إلـى الدول المجاورة .

عندما خرج المستعمر من تشاد سنة ١٩٦٠م ، بعد نيل تشاد لاستقلالها ، آلت السلطة إلى العناصر الجنوبية ، لتمكّنها من كل شيء واتخذت خطاً في الحكم ، يضمن اسـتمرار الهيمنة الفرنسية على أوضاع تشاد ، فأصدر تمبلباي قرارات أفضت إلى جعـل اللغـة الفرنسية لغة رسمية للبلاد ، واعتبار جميع الأعياد المسيحية عطلات رسـمية ،وتطبيـق علمانية الدولة ، وعندما شعر تمبلباي بمقاومة القوى الشمالية عبر أحزابها ، اضطر سنة ١٩٦٢م إلى إصدار قراره الشهير الذي أدى إلى حل جميع الأحزاب ، واعتمـاد نظـام الحزب الواحد ، والذي كان بداية إشعال فتيل الثورة ضد نظام تمبلباي والخط الفرنسي .

إن فرنسا قبل خروجها من تشاد ، سعت لتـأمين أوضـاع المجموعـات الجنوبيـة المسيحية، وذلك بإعدادها الإعداد الذي يمكّنها من الاستمرار في الحكم بكفـاءة أشـرفت

---

[1] نورين مناوي : تشاد ـ نحو الاستقرار والديمقراطية – بدون تاريخ ، ص٢٤ .

فرنسا على تقويتها ، وحرستها بأجهزتها ، فالجيش التشادي كان معظـــم ضباطـــه مـــن الجنوبيين ، وقيادات الخدمة المدنية ، ومديرو الشركات ، ورجال الأعمال ، كان معظمهم من الجنوبيين كذلك.

الخلاصة :

لاحظنا كيف شكّلت الحقب التاريخية المتعاقبة صورة المنطقة ، وأهلتّـــها لأن تلعـــب دوراً في الحياة العامة ، إلا أن القوى الاستعمارية ، مستخدمةً كل الأســـاليب والحيـــل ، ومستفيدة من المبشرين ، وبعض المضللين من أبناء المنطقة ، استطاعت أن تعيق مسيرة الإسلام ودعوته ، فلأول مرة منذ أكثر من ثمانية قرون بعد دخـــول الإســـلام ، وقبـــول الأهالي لدعوته طوعاً واختياراً ، يُرغم الناس على الدخول في النصرانية بفعل القوانيـــن الجائرة والخطط المسمومة ، فتغيرت عقائد الناس ، وتحولت ألسنتهم ، فجنوب الســـودان الذي انطلقت منه دولة إسلامية نشرت الدين في بعض أنحاء وســـط إفريقيـــا ، أصـــرّت القوى الغربية أن تحيله إلى منطقة يشار إليها بأنها مناقضة لباقي الســـودان دينـــاً ولغـــةً وثقافةً ، وأهل تشاد الذين ظلت اللغة العربية لسانهم ، والإسلام ثقافتهم ، عمل الاســـتعمار الفرنسي بضغط سياسة الاستيعاب الثقافي ، على تحويل لســـانهم للفرنســـية ، وثقافتـــهم لتصير ثقافة غربية . بل إن أسوأ ما خلفته هذه الحقبة في البلدين هو تلك الشروخ البنيوية بين الشمال والجنوب في البلدين ، والتي جعلت كلا من البلدين مشغولاً بنفسه ، غير قادر على أن يقدم للبلد الآخر ما يحتاجه من مساعدة ، هذا فضـــلاً عـــن أن إفـــرازات هـــذه السياسات الاستعمارية ، جعلت النخب السياسية في كل بلد ، تصوّب قبلة غير القبلة التـــي كان عليها الأمر قبل دخول الاستعمار ، فالسودان ظل مشغولاً بشماله . وتشـــاد ربطـــت بدول وسط إفريقيا التي تضعف فيها الثقافة الإسلامية ، كما تم إدماجها في فرنســـا لغـــةً وثقافةً ونظاماً سياسياً ، واقتصادياً ، وكان تأثير ذلك نظماً اجتماعية وثقافيـــة وسياســـية مختلفة فـــي هذا البلد عن ذاك ، وكان حرّياً بهذه الأوضاع أن تضعـــف العلاقـــة بيـــن البلدين ، إلا أن شعور الشعبين في البلدين بحاجتهما للتماسك ، أدت إلـــى المزيـــد مـــن الهجرات بالذات من قبل المسلمين التشاديين ، باتجاه السودان طلباً للحماية ، والنصـــرة واستعداداً لمنازلة المستعمر ، التي أدت إلى عودة المسلمين للحكم ولو اسمياً فيما بعد .

الباب الرابع :

حقبة الحكم الوطني بعد الاستقلال (١٩٥٦-١٩٩٩)م

الفصل الأول

الفترة الأولى للحكم الوطني (١٩٥٦ — ١٩٦٨م)

الفصل الثاني

الفترة الثانية للحكم الوطني(١٩٦٩ — ١٩٨٨م)

الفصل الثالث

الفترة الثالثة للحكم الوطني (١٩٨٩ — ١٩٩٩م)

تمهيد :

ظل السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري من ١٨٩٩م وحتى ١٩٥٦م ولمدة سبع وخمسين سنة حتى نال استقلاله في الأول من يناير عام ١٩٥٦م ، كما ظلت تشاد تحت الحكم الفرنسي من ١٩٠٠م وحتى ١٩٦٠م ولمدة ستين سنة حيث نالت استقلالها من الحكم الفرنسي في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩٦٠م .

تعاقبت على البلدين في فترة ما بعد الاستقلال حكومات عدة وتراوحت العلاقة بين البلدين ما بين التحسن الشديد والتوتر الشديد وقد اخترنا تقسيم فترة ما بعد الاستقلال إلى ثلاث حقب على النحو التالي :

١- الحقبة الأولى وتمتد من ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٨م .

٢- الحقبة الثانية وتمتد من ١٩٦٩م وحتى ١٩٨٨م .

٣- الحقبة الثالثة وتمتد من ١٩٨٩م وحتى ١٩٩٩م .

هذه الحقب فترات متداخلة من الحكم في البلدين على النحو التالي :

السودان	تشاد
١٩٥٦م – ١٩٥٨م فترة حكم إسماعيل الأزهري الأولى	١٩٥٦م – ١٩٥٩م بداية نشاط الأحزاب التشادية
١٩٥٨م – ١٩٦٤م الحكم العسكري الأول بقيادة الفريق إبراهيم عبود	١٩٦٠م – ١٩٧٥م فترة حكم الرئيس انقرتا تمبلباي
١٩٦٤م – ١٩٦٥م فترة الحكم الانتقالي لثورة أكتوبر برئاسة سر الختم الخليفة	
١٩٦٥م – ١٩٦٩م فترة حكم إسماعيل الأزهري الثانية	١٩٧٥م – ١٩٧٩م فترة الحكم العسكري بقيادة فليكس مالوم
١٩٦٩م – ١٩٨٥م فترة الحكم العسكري الثاني بقيادة المشير جعفر نميري	مايو ١٩٧٩م – أكتوبر ١٩٧٩م فترة الحكم الانتقالي بقيادة لول محمد شوا
١٩٨٥م – ١٩٨٦م فترة الحكم العسكري الانتقالي بقيادة المشير عبد الرحمن سوار الذهب	١٩٧٩م – ١٩٨٢م فترة حكومة الوحدة الوطنية بقيادة غوكوني عويدي
١٩٨٦م – ١٩٨٩م فترة الحكم التعددي الحزبي بقيادة الصادق المهدي	١٩٨٢م – ١٩٩٠م فترة حكم حسين هبري
١٩٨٩م وحتى تاريخه فترة حكم ثورة الإنقاذ الوطني بقيادة الفريق عمر حسن أحمد البشير	١٩٩٠م وحتى تاريخه فترة حكم الحركة الوطنية للإنقاذ بقيادة الجنرال إدريس دبي أتنو

تمهيد :

ظل السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري من ١٨٩٩م وحتى ١٩٥٦م ولمدة سبع وخمسين سنة حتى نال استقلاله في الأول من يناير عام ١٩٥٦م ، كما ظلت تشاد تحت الحكم الفرنسي من ١٩٠٠م وحتى ١٩٦٠م ولمدة ستين سنة حيث نالت استقلالها من الحكم الفرنسي في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩٦٠م .

تعاقبت على البلدين في فترة ما بعد الاستقلال حكومات عدة وتراوحت العلاقة بين البلدين ما بين التحسن الشديد والتوتر الشديد وقد اخترنا تقسيم فترة ما بعد الاستقلال إلى ثلاث حقب على النحو التالي :

١- الحقبة الأولى وتمتد من ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٨م .

٢- الحقبة الثانية وتمتد من ١٩٦٩م وحتى ١٩٨٨م .

٣- الحقبة الثالثة وتمتد من ١٩٨٩م وحتى ١٩٩٩م .

هذه الحقب فترات متداخلة من الحكم في البلدين على النحو التالي :

السودان	تشاد
١٩٥٦م – ١٩٥٨م فترة حكم إسماعيل الأزهري الأولى	١٩٥٦م – ١٩٥٩م بداية نشاط الأحزاب التشادية
١٩٥٨م – ١٩٦٤م الحكم العسكري الأول بقيادة الفريق إبراهيم عبود	١٩٦٠م – ١٩٧٥م فترة حكم الرئيس انقرتا تمبلباي
١٩٦٤م – ١٩٦٥م فترة الحكم الانتقالي لثورة أكتوبر برئاسة سر الختم الخليفة	
١٩٦٥م – ١٩٦٩م فترة حكم إسماعيل الأزهري الثانية	١٩٧٥م – ١٩٧٩م فترة الحكم العسكري بقيادة فليكس مالوم
١٩٦٩م – ١٩٨٥م فترة الحكم العسكري الثاني بقيادة المشير جعفر نميري	مايو ١٩٧٩م – أكتوبر ١٩٧٩م فترة الحكم الانتقالي بقيادة لول محمد شوا
١٩٨٥م – ١٩٨٦م فترة الحكم العسكري الانتقالي بقيادة المشير عبد الرحمن سوار الذهب	١٩٧٩م – ١٩٨٢م فترة حكومة الوحدة الوطنية بقيادة غوكوني عويدي
١٩٨٦م – ١٩٨٩م فترة الحكم التعددي الحزبي بقيادة الصادق المهدي	١٩٨٢م – ١٩٩٠م فترة حكم حسين هبري
١٩٨٩م وحتى تاريخه فترة حكم ثورة الإنقاذ الوطني بقيادة الفريق عمر حسن أحمد البشير	١٩٩٠م وحتى تاريخه فترة حكم الحركة الوطنية للإنقاذ بقيادة الجنرال إدريس دبي أتنو

الفصل الأول

الفترة الأولي للحكم الوطني (١٩٥٦ – ١٩٦٨) م

المبحث الأول : تَسلّم الأحزاب للسلطة وتطور الأوضاع في السودان.

المبحث الثاني : تَسلّم الأحزاب للسلطة وتطور الأوضاع في تشـــاد .

المبحث الثالث : انــدلاع الثورة التشاديــة وآثــارهــا في المنطقة .

المبحث الأول : استلام الأحزاب للسلطة وتطورات الأوضاع في السودان :

شكّلت اتفاقية الحكم الثنائي بين إنجلترا ومصر سنة ١٨٩٩م واقع السودان السياسي المعاصر ، وانتقلت أوضاع السياسة السودانية لتتمثل التجارب السياسية المصرية والبريطانية ، فثورة سعد زغلول في مصر سنة ١٩١٩م وجدت لها صدى في السودان حيث نادى سعد زغلول بجلاء القوات البريطانية من وادي النيل ووحدة السودان ومصر وأنقسم الشارع السياسي في السودان إزاء تلك الدعوة ، فقامت مجموعة المثقفين من خريجي المدارس وخاصة كلية غردون بتأييد دعوة سعد زغلول ، ونعت على فئة أخرى هاجمت سعد زغلول ووصفت ثورته بالغوغائية واستنكرت دعوته لوحدة السودان ومصر وأيّد هذا الاتجاه زعماء الطوائف الدينية الثلاثة وكان المعبّر عن آرائهم السيد حسين شريف صاحب جريدة (الحضارة)[1] .

نشأت الأحزاب السودانية وهي منقسمة حول مسألة العلاقة مع كل من مصر وبريطانيا إلى قسمين الأحزاب الاتحادية وتدعو للوحدة مع مصر وجلاء بريطانيا وكانت اكبر الأحزاب الممثلة لهذا التيار الحزب الوطني الاتحادي بزعامة إسماعيل الأزهري والأحزاب الاستقلالية وتدعو لاستقلال السودان وتطوير علاقته مع بريطانيا وأكبر الأحزاب الممثلة لهذا التيار حزب الأمة برعاية السيد عبد الرحمن المهدي، وشهد أوائل العقد الرابع من القرن العشرين ميلاد هذه الأحزاب وضمت المجموعة الاتحادية أحزاب الأشقاء ، الاتحادي ، وحدة وادي النيل ، الأحرار والجبهة الوطنية بينما ضمت الأحزاب الاستقلالية حزب الأمة والحزب الجمهوري الاشتراكي والحزب الوطني وحزب القوميين[2] .

وعندما عرضت قضية السودان على الأمم المتحدة سافر إلى مقر الأمم المتحدة من السودان وفدان أحدهما اتحادي يطالب بالوحدة مع مصر والآخر استقلالي يطالب بالانفصال .

عند قيام الثورة المصرية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قررت الموافقة على ترك أمر السودان للسودانيين يقررون فيه ما يرونه مناسباً ولذلك تم توقيع اتفاقية الحكم الذاتي ١٩٥٣/٢/٢١م والتي بموجبها تم تحديد الفترة الانتقالية وقيّدت صلاحيات الحاكم العام وشُكّلت لجنة متعددة الجنسيات لأجراء الانتخابات ولجنة لسودنة الوظائف وألزمت الاتفاقية الحكومتين المصرية والبريطانية احترام خيار الشعب السوداني في الاتحاد أو الاستقلال .

---

[1] عبد الماجد أبو حسبو – جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، دار جشيه ، ص

[2] عبد الماجد أبو حسبو – المرجع السابق ص١١١ .

أجريت أول انتخابات برلمانية وفق قانون الحكم الذاتي وكانت نصراً للتيار الاتحادي حيث أحرز الحزب الوطني الاتحادي أغلبية مطلقة مكّنته من تشكيل أول حكومة برئاسة السيد/ إسماعيل الأزهري حيث أحرز الحزب (٥٣) مقعداً من أصل (٩٧) مقعداً ، في حين أحرز حزب الأمة (٢٢) مقعداً وأحرز الجنوبيين (٧) مقاعد والمستقلون (٧) مقاعد والجمهوري الاشتراكي ٣ مقاعد وفاز ممثل الجبهة المعادية للاستعمار (الحزب الشيوعي) بمقعد واحد فقط[1].

الأحداث التي أعقبت الانتخابات ومنذ أول يوم لانعقاد البرلمان في أول مارس ١٩٥٤م وحتي قيام انقلاب عبود عام ١٩٥٨م كانت صراعاً محتدماً بين الأحزاب ومحور الصراع هو طبيعة العلاقة مع مصر ورغم ان الأحزاب الاتحادية وعلى رأسها الوطني الاتحادي تبنت خيار الاستقلال من داخل البرلمان إلا أن علاقتها بمصر ظلت مدار حركتها السياسية الداخلية والخارجية .

المبحث الثاني : استلام الأحزاب للسلطة وتطورات الأوضاع في تشاد :

سمحت الإدارة الفرنسية في منتصف الأربعينات من القرن العشرين (١٩٤٤م – ١٩٤٦م) بتأسيس أحزاب سياسية في تشاد ، ونشأت هذه الأحزاب في إطار عمل سياسي برعاية فرنسية متجاوزاً للحدود التشادية مرتبطاً بمستعمرات فرنسا الأفريقية ، فقد تأسس مثلاً حزب التجمع الديمقراطي الأفريقي كفرع من الحزب الاشتراكي الفرنسي واعتمد على مقررات مؤتمر باماكو الذي أسس حزباً بهذا الاسم واختير هوفيت بوانيه رئيس ساحل العاج السابق رئيساً لهذا الحزب وكان فرع هذا الحزب في تشاد هو حزب التقدم التشادي برئاسة جبرل ليزيت (LISETTE) ورغم أن ليزيت لم يكن تشادياً إلا أن هذا الحزب وجد تأييداً من غالبية سكان جنوب تشاد المسيحيين وفي الانتخابات التي أجريت عام ١٩٥٦م حصل هذا الحزب على (٤٧) مقعداً من أصل (٦٥) مقعداً من مقاعد الجمعية الوطنية وكوّن رئيسه جبريل ليزيت أول حكومة وطنية وهو من مواطني جزر الهند الغربية كان عضواً في الجمعية الوطنية الفرنسية ممثلاً لتشاد عام ١٩٥٨م ثم اختير حاكماً للعاصمة فورت لامي ثم نائباً لرئيس المجلس الحكومي ثم رئيساً للوزارة حتى ١٩٥٩/٨/٢٤م وعندما كان في زيارة رسمية لإسرائيل اصدر تمبلباي (نائبه) قراراً بعزله وحظر دخوله للبلاد باعتباره عنصراً أجنبياً وظل تمبلباي رئيساً حتى خروج المستعمر في ١١ أغسطس ١٩٦٠م ، ثم أعيد انتخابه بعد ذلك وظل في الحكم حتى

[1] راجع محمد إبراهيم طاهر : تاريخ الانتخابات البرلمانية (في السودان) : بنك المعلومات السوداني – الخرطوم ١٩٨٦م ، ص٢٢ .

الإطاحة به واغتياله في ١٣/٤/١٩٧٥م بانقلاب دبّره الميجور كاموقي ودال عبد القـــادر وأصبح رئيس حكومة الانقلاب فيلكس مالوم والذي كان معتقلاً لحظة وقوع الانقلاب .

ظل المسلمون يشكّلون معارضة لنظام الحكم في تشاد وأسسوا عدداً من الأحزاب منها:

١/ حزب الاتحاد الديمقراطي التشادي بزعامة عربي القوني .

٢/ حزب الحركة الاشتراكية الأفريقية بزعامة أحمد غلام الله .

٣/ حزب الاتحاد الوطني التشادي بزعامة محمد أبّا سعيد .

٤/ حزب اتحاد تشاد الديمقراطي المستقل بزعامة جان باتست وهو هجين مـــن أب فرنسي وأم تشادية .

غير أن هذه الأحزاب لم تشهد استقراراً ولا وحدة وكثرت انشقاقاتها وخلافاتها وكانت علاقاتها المستمرة بالقوى الفرنسية سبباً لعزوف المواطنين الشماليين عنها[1] إضافة إلى أن مقاطعة المسلمين للتعليم الحكومي جعل المستوى الثقافي لقياداتهم أقل من مستوى القيادات الجنوبية المسيحية والتي استفادت من فرص التعليم الحكومي ومن تجزبة الوظيفة العامـة ومن موقفها الذي ظاهره معارضة الوجود الفرنسي الاستعماري .

فقد كان حزب التقدم التشادي مكروهاً من الحكومة الفرنسية لميوله اليســـارية إلا أن تحولاً قد طرأ في سياسة الحزب عام ١٩٥٦م وغيّر من تأييده للحزب الشيوعي الفرنســي فوجد رضا الحكومة الفرنسية مما أهلّه للفوز في الانتخابـــات واســتطاع أن يشــكل اول حكومة ، ورغم أن المسلمين قد استطاعوا إسقاط حكومة ليزيت وتشكيل حكومة برئاســـة أحمد غلام الله إلا أن هذه الحكومة لم تستطع الاستمرار أكثر من أسبوعين لتسقط ويعــود حزب التقدم التشادي للسلطة مرة أخرى ويبقى فيها حتى عام ١٩٧٥م .

باستقرار تمبلباي في السلطة ورغم أنه قد وصل للحكم عبر انتخابات في نظام حزبـي تعددي إلا أنه أصدر قرار في ١٨ يناير ١٩٦٢م[2] حظر نشاط الأحزاب واعتمد سياســـة الحزب الواحد . وفي أبريل من نفس العام أصدر دستوراً اشتمل على :

١- إعلان علمانية الدولة واشتراكيتها .

٢- الفرنسية لغة الدولة الرسمية .

٣- إعلان الجمهورية الرئاسية .

---

[1] راجع عمر محمد أحمد صديق : المشكلة التشادية -جامعة الخرطوم معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، ١٩٨٢م (بحث غـــير من شور) ص٤٢ .

[2] عمر محمد أحمد صديق المرجع السابق ، ص٥٧ .

تذمّر المسلمون من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة ومن النصوص التي وردت في الدستور وخرجت المظاهرات ضد الحكومة فشن تمبلباي على المعارضة حملة اعتقالات بلغت في مارس ١٩٦٣م أكثر من مائة وخمسين معتقلاً فيهم كبار قيادات العمل السياسي من المسلمين واستمرت حملة الإعتقالات . وعلى أثر محاولة تمبلباي اعتقال قيادات أخرى من المسلمين اندلعت مظاهرات واسعة في العاصمة فورت لامي في يوم ١٦ سبتمبر ١٩٦٣م واجهتها الحكومة بالعنف أسفرت الحملة عن مقتل اكثر من مائتي شخص من الشيوخ والنساء والأطفال وبلغ عدد المعتقلين أكثر من ألف "[١] .

وانتقلت أحداث الشغب من العاصمة إلى الأقاليم وشكّلت هذه الشرارة الأولى للثورة التشادية ، حيث ظلت الأحداث تخمد ثم تتجدد بين كل فينة وأخرى ، وانتهزت المعارضة فرصة زيادة الضرائب على المواطنين فسيّرت مظاهرات في قرية (منقالمي) في منطقة أم حجر في شرق تشاد واجهتها الحكومة بالعنف وهكذا أصبحت ظاهرة العنف والعنف المضاد هي الشكل الأساسي لحركة العمل السياسي في تشاد .

أخذت قوى المعارضة تتركز في المنطقة الشرقية من تشاد المتاخمة للحدود السودانية وعند وقوع أحداث في منطقة أدري الحدودية في أواخر عام ١٩٦٥م (ديسمبر) نزح عدد من المواطنين التشاديين إلى السودان بعد قتل ثلاثة من رجال الشرطة واستولوا على أسلحتهم .

المبحث الثالث : اندلاع الثورة التشادية وآثارها في المنطقة :

لقد كانت أحداث سبتمبر ١٩٦٣م أعلى درجات تصاعد السخط الشعبي على ممارسات حكومة فورت لامي بقيادة فرانسوا تمبلباي ، وبالأخذ في الاعتبار نزوح أعداد كبيرة من المواطنين التشاديين إلى السودان في بداية القرن العشرين بعد معركة الكبكب الشهيرة سنة ١٩١٧م فقد بدأ التفكير الجاد لدى التشاديين المقيمين في السودان في تأسيس عمل سياسي عسكري مضاد للسلطة في فورت لامي وتحولت الأحزاب السياسية الشمالية إلى حركات مقاومة سرية ، وصادفت حملة الاعتقالات والعنف الذي قامت به الحكومة أن كان بعض قادة المعارضة خارج البلاد فقد كان السيد إبراهيم باشا الأمين العام لحزب الاتحاد الوطني التشادي يرافقه السيد أبوبكر جلابو في زيارة إلى غانا لمقابلة الرئيس الغاني السابق كوامي نكروما وإطلاعه على موقف الحكومة المتعسف حيال المعارضة ، عندما وقعت الأحداث سافر الوفد من غانا إلى الجزائر لمقابلة السيد أحمد بن بلة الرئيس

---

[١] عمر محمد أحمد صديق المرجع السابق ص٦٣ .

الجزائري الأسبق ، هذا الوجود خارج البلاد مكّن قيادة حزب الاتحاد الوطني التشادي من التحرك لتأسيس معارضة مسلحة رغم أن رئيس الحزب السيد محمد أبا سعيد كان قد اعتقل داخل فورت لامي وزاد من قدرة الحزب على الحركة فرار السيد محمد الباقلاني إمام أحد قادة حزب الاتحاد الوطني إلى إفريقيا الوسطى وشرع في تكوين خلايا المقاومة ضد الحكومة من الجاليات التشادية في إفريقيا الوسطى وزائير ولكن الباقلاني اكتشف أن جهوده في زائير وإفريقيا الوسطى لن تؤتي ثماراً مثلما إذا كانت حركته من داخل السودان ووسط الجالية التشادية كبيرة العدد والتي أندمج بعض أفرادها في المجتمع السوداني فكاتب الباقلاني أحد أبناء الجالية التشادية في السودان وهو السيد هجرّو آدم السنوسي وهجرّو هذا كان قد بلغ به الاندماج في المجتمع السوداني أن صار ضابطاً في القوات المسلحة السودانية يقول هجرّو :" كانت الرسالة التي جاءتني مكتوبة باللغة الفرنسية فاتصلت بالأخ حسن أحمد موسى رئيس الاتحاد العام لأبناء تشاد بالسودان (الجالية التشادية) وبحثنا عن شخص ليترجم لنا الرسالة فعرفنا أن شخصاً في جبهة الميثاق الإسلامي يقال له حسن الترابي يمكن أن يساعدنا في ترجمة الرسالة ، فأخذنا الرسالة وذهبنا إليه، فترجم الترابي لنا الرسالة ، وكانت الرسالة تتحدث عن الأحداث الأخيرة التي وقعت في تشاد وكان أسلوب الرسالة حاداً يعاتبنا على أننا تركنا أهلنا وأقمنا في السودان وأهلكم الآن يتعرضون لقتل واضطهاد من النصارى "[1] .

اجتمعت لجنة الاتحاد العام لأبناء تشاد لدراسة الرسالة وقررت الرد عليها مشفوعة بطلب من أبناء الجالية في إفريقيا الوسطى ليحضر واحد منهم لمزيد من الشرح والتفصيل، فوفد إلى السودان السيد محمد الباقلاني إمام ونزل بمنزل في الخرطوم (حي الديوم الشرقية) كان يسكنه أحد أعيان الجالية التشادية بالسودان هو السيد حسن جبارة[2] .

أثناء إقامته بالخرطوم بدأ الباقلاني تكوين خلايا لحزب الاتحاد الوطني التشادي وتكونت أول لجنة برئاسة الشيخ الشريف محمد صغيرون وعضوية هجرّو السنوسي وحسن جبارة وهارون أيوب وعبد الكريم الجابري ومطر نصر وآخرين[3]. تحرك الباقلاني حفز الجالية التشادية لتنشيط عملها وتحويله من مجرد عمل اجتماعي إلى عمل سياسي عسكري وقام رئيس الجالية حسن أحمد موسى بتأسيس منظمة سماها جبهة تحرير تشاد بدأت الجبهة عملها العسكري بهجوم على مركز أدري في الحدود الشرقية ، وانطلق ذلك الهجوم من داخل الأراضي السودانية في سنة ١٩٦٥م الأمر الذي أدى إلى

---

[1] هجرّو السنوسي : مقابلة مسجلة بشريط كاسيت في أنجمينا سنة ١٩٩٢م .

[2] هجرّو السنوسي : المصدر السابق .

[3] يوسف بركة : تشاد الدولة العربية المجهولة – بحث غير منشور ، ص١١٥ .

احتجاج الحكومة التشادية لدي الحكومة السودانية واضطرت الحكومة السودانية لاعتقال رئيس الجالية التشادية السيد حسن أحمد موسى .

كان الهجوم على ادري هو البداية الفعلية لحركة المقاومة المسلحة ضد الحكومة التشادية من داخل الأراضي السودانية ورغم أن العمل كان محدوداً جداً ولم يكن قد رُتب له بطريقة جيدة من الناحية السياسية، حيث كانت هناك بوادر خلاف بين الباقلاني الوافد من تشاد عبر أراضي إفريقيا الوسطى وحسن أحمد موسى رئيس الجالية ، إلا أن هذا النشاط العسكري رغم ذلك فتح شهية المسلمين التشاديين لتصعيد القتال ضد حكومة فورت لامي من داخل الأراضي السودانية ، فقام الباقلاني بدعوة إبراهيم أباشا وأبوبكر جلاّبو لزيارة السودان لتنظيم صفوف المقاومة ، كما قام باستدعاء أعضاء الخلايا التي كان قد سبق له تكوينها بإفريقيا الوسطى وبدأت حملة تعبئة واسعة أشرف عليها الباقلاني وقام بتدريبها سراً داخل السودان النقيب هجرّو السنوسي في منزل كان يقيم فيه بمنطقة الفتيحاب[1] .

بعد وصول أفواج المتطوعين وبداية التدريب العسكري نشط الباقلاني في عمل سياسي آخر هو توحيد الحزب الوطني وجبهة تحرير تشاد للقيام بعمل سياسي عسكري مشترك أسفرت جهوده عن عقد مؤتمر في مدينة نيالا بغرب السودان في يونيو ١٩٦٦م وتمخض ذلك المؤتمر عن توحيد الحزب الوطني وجبهة تحرير تشاد في كيان جديد سمّي (جبهة التحرير الوطني التشادي) (FRONT DE LIBERATION NATIONAL Du TCHAD) وصارت تعرف اختصاراً باسم (فرولينات FROLINAT) وصدر بيان المؤتمر في ٢٢ يونيو ١٩٦٦م في نيالا وتضمن الاتفاق على الآتي :

١. الكفاح بكل الوسائل لقلب الحكم القائم الذي هو عبارة عن استعمار جديد ديكتاتوري فرضته فرنسا على شعبنا منذ ١١ أغسطس ١٩٦٠م .
٢. جلاء كل القواعد والجيوش الأجنبية المتمركزة في تراب وطننا .
٣. تأسيس حكومة قومية وطنية ديمقراطية شعبية .
٤. تطبيق سياسة ملائمة والوضع في الأرياف .
٥. رفع أجور العمال والموظفين والجنود بمقدار الثلث ن وإلغاء جمع الضرائب والبهائم المفروضة جوراً .
٦. تشجيع وحماية متوسطي وصغار التجار من الشركات الأجنبية الكبيرة .
٧. تشييد ثقافة وتربية ديمقراطية تقدمية ذات طابع وطني وجعل اللغة العربية والفرنسية كلغتين رسميتين .

---

[1] هجرّو السنوسي : المصدر السابق .

٨. ربط علاقات دبلوماسية مع جميع البلدان (ما عدا إسرائيل وجنوب إفريقيا) على أساس مبادئ مؤتمر باندونغ والمبادئ الخمسة للتعايش السلمي[١] .

هذا البيان والذي تصدرته الآية: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... ﴾ وختم بتحديد علم الثورة المكون من اللون الأحمر (فوق) والأزرق (تحت) والأبيض على عمود وبداخله هلال ونجمة خضراوان ويتضح منه الآتي :

١. المظهر الإسلامي للثورة تعبر عنه الآية التي صُدّر بها البيان واختيار الهلال والنجمة الخضراوين شعاراً للحركة .
٢. اتخاذ سبيل الكفاح المسلح واعتبار نظام الحكم القائم بقيادة تمبلباي امتداداً للاستعمار الفرنسي .
٣. الموقف الرافض للوجود الفرنسي والمطالبة بتفكيك القواعد العسكرية وجلاء القوات.
٤. المطالبة بنظام ديمقراطي والعناية بسكان الريف وهذا ربما كان من آثار الأدب السياسي الذي كان سائداً في السودان – منطلق الثورة – بعد نجاح ثورة أكتوبر الشعبية سنة ١٩٦٤م .
٥. محاولة التقرب للعاملين في الدولة بالوعد برفع أجورهم بمقدار الثلث والتقرب للقطاعات الأخرى من التجار والرعاة بوعده بالحماية من المنافسة الأجنبية وإلغاء الضرائب على التجار والرعاة .
٦. اعتماد ثقافة وتربية ديمقراطية تقدمية – وهي أيضاً من آثار أدبيات العمل السياسي الذي كان قد انتشر حينها في السودان .
٧. جعل اللغة العربية لغة رسمية مساوية في ذلك للفرنسية وهي محاولة لتأكيد عروبة تشاد في مقابل تيار الفرنسة الذي كان يحميه الاستعمار .
٨. بناء سياسة خارجية على نسق دول عدم الانحياز واتخاذ موقف المقاطعة تجاه إسرائيل وجنوب افريقيا أخذاً بالتوجيه العام للدول العربية والإفريقية التي كان الثوار ينتظرون دعمها وتأييدها لهم في نضالهم ضد تمبلباي .

منذ ذلك التاريخ في منتصف عام ١٩٦٦م ظلت تطورات الأوضاع في تشاد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسودان وظلت الجالية التشادية بالسودان تقوم بمعظم الأعمال الحاسمة في توجيه مسيرة الأوضاع بالداخل .

بعد إجازة مقررات مؤتمر نيالا تم توزيع الأدوار والوظائف فكلف إبراهيم أباشا بقيادة المقاومة من الداخل وكلف هجرّو السنوسي بتنظيم العمل العسكري وبرامج التدريب وكلف محمد الباقلاني إمام بمتابعة التعبئة والعلاقات الخارجية ، لكن بعد شهور من اتفاق نيالا تم إطلاق سراح رئيس الاتحاد العام لأبناء تشاد بالسودان حسن أحمد موسى من

---

[١] راجع في الملاحق " البيان المشترك من الاتحاد الوطني التشادي وجبهة تحرير تشاد" .

السجون السودانية وكان أول عمل قام به بعد خروجه من السجن هو اعتراضه على مقررات مؤتمر نيالا باعتبارها تذويباً للجبهة التي أسسها في حزب الاتحاد الوطني ، وسعى الباقلاني لتدارك الموقف مستعيناً بوسطاء من الأحزاب السودانية (الوطني الاتحادي وحزب الأمة) وأسفرت المساعي عن عقد مؤتمر في مدينة مدني يوم ٣١/١٠/١٩٦٦م أي بعد أربعة أشهر من اتفاق نيالا ، حضره ممثلون لجبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي ومراقبون من الحزب الوطني وحزب الأمة السودانيين واتفق الطرفان على :

١. ضم الصف وتوحيد الميزانية .
٢. تكوين مجلس رئاسي من أربعة أشخاص (اثنان من كل طرف).
٣. الموافقة على تعيين المجلس الرئاسي من:

أ/ حسن أحمد موسى	جبهة تحرير تشاد .
ب/ يوسف محمد علي	جبهة تحرير تشاد .
ج/ إبراهيم أباشا	الاتحاد الوطني التشادي.
د/ محمد الباقلاني	الاتحاد الوطني التشادي.

٤. الاتصال بالقواعد في الداخل لتنويرهم بما تم الاتفاق عليه .
٥. يكلف المجلس الرئاسي بتقديم مقترح دستور للجبهة يتضمن برنامج طرفي التحالف.
٦. إلغاء اتفاق نيالا وإلغاء تسمية (فرولينات) واختيار اسم (اللجنة المؤقتة لجبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي) كاسم للتنظيم الجديد . كما اتفق على مسائل إجرائية أخرى[1] .

يتضح من الاتفاق أن مجموعة جبهة تحرير تشاد بقيادة حسن أحمد موسى كانت تحرص على عدم إلغاء وجودها واعتبار تكوين (فرولينات) باطلاً ولذلك أصرت على مسائل إجرائية منها الإبقاء على اسمي طرفي التحالف تأكيداً لوجودهما معاً .

ولذلك يعتبر مؤتمر نيالا هو البداية المنظمة لحركة الثورة التشادية ويعتبر التعبير السياسي الأقوى عن وجود تلك الثورة وانطلاقها من الأراضي السودانية وتأثرها بمجريات الأحداث السياسية والاجتماعية فيه وفي أوساط الجالية التشادية على وجه الخصوص ، ولذلك عاد الباقلاني ومجموعته لاستخدام اسم "فرولينات" من جديد وتشكل هيكل الجبهة العسكري من قيادة عامة ترأسها الحاج اسحق عبد الهادي ونائبه بحر وناع[2].

---

[1] راجع بيان من جبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي – مدني – ٥/١١/١٩٦٦م (ملحق) .
[2] يوسف بركة المرجع السابق ص١٢٢.

كل هذه التطورات كانت علي جبهة الثورة الشرقية داخل الحدود السودانية وظلت هي الأقوى تأثيراً من بداية تأسيس الجبهة في عام ١٩٦٦م وحتى عام ١٩٦٨م عندما انطلقت ثورة التوبو[1] احتجاجاً على الضرائب التي فرضتها الحكومة ونتيجة للعنف الذي واجهت به الحكومة هذا الاحتجاج من جلد للرجال وحلق لرؤوس النساء ،هاجر سلطان التوبو إلى ليبيا والتحق ابنه قوكوني وداي – الذي كان يعمل سكرتيراً لقائد منطقة فايا لارجو– التحق بقواعد الثوار في جبال تبستي[2]، ولما كانت ثورة التوبو هي رد فعل غير منظم لحملة العنف التي شنتها الحكومة، فقد انتهزت قيادة (فرولينات) الفرصة أرسلت أحد عناصرها من أبناء التوبو (محمد طاهر عبدي) ليشرف على تنظيم هذه المجموعة تحت اسم الجيش الثاني لفرولينات باعتبار أن جبهة السودان هي الجيش الأول بقيادة إبراهيم أباشا والباقلاني .

إذن فقد أطبقت الثورة على الحكومة التشادية من جهتي الشرق والشمال وما أن حل عام ١٩٦٩م حتى كانت الثورة قد أوجعت الحكومة ضرباً في عدد من المناطق منها :

١. أم التيمان ١٩٦٧م .
٢. تيبستي ١٩٦٨م .
٣. موقورورو ١٩٦٩م .

لقد اختارت الثورة التشادية السودان كأرض لانطلاقها وكان دافعها لذلك "عدة اعتبارات أولها أن السودان في ظل ثورة أكتوبر كان بلداً ديمقراطياً حراً ليس فيه قواعد أجنبية ويمكن التحرك فيه بسهولة هذا بالإضافة إلى طبيعة الحدود الطويلة الممتدة بين البلدين والتي لا توجد فيها موانع طبيعية تعوق التنقل والتحرك وحيث أن البلدين تجمعهما معاً عوامل اللغة والدين والثقافة ويوجد منذ القدم تشاديون كثيرون في السودان مما يمكنهم الاستفادة منهم لمساندة جبهة التحرير وأن السودان بلد مسلم وجميع القادة مسلمين"[3].

ما أن وصلت نداءات التعبئة أبناء الجالية التشادية في السودان حتى تدافعت مجموعات منهم للالتحاق بالثورة وقامت مجموعات المناصرة بتقديم يد المساعدة لترتيب أعمال المجاهدين ففي الخرطوم اتخذ هدرو السنوسي من منزله بالفتيحاب قاعدة للتدريب "وفي نيالا كان هناك أشخاص يساعدون الثوار فحسن محمد من سكان حي النسيم كان المسئول عن استقبال وضيافة العناصر القادمة من الخرطوم والتي كانت مكان تجمع الوافدين من

[1] التوبو من قبائل القرعان تقطن شمال تشاد .

[2] قوكوني وداي (الرئيس التشادي الأسبق) مقابلة مسجلة في أبحنيا ١٩٩٢م .

[3] عمر احمد صديق – المشكلة التشادية، ص٧٢ .

مدن السودان المختلفة (بورتسودان، القضارف، ود مدني) أما عيسى عبد الله فهو المسئول عن ترحيل هذه العناصر إلى الحدود السودانية التشادية والشيخ أبو سعدية والشيخ محمد أبوحوه هما المسئولان عن الدعاية في نيالا بينما كان التاجر (السوداني) خضر كمبال هو المسئول عن تجهيز الملابس للثوار وإطعامهم)[1].

هذه التحركات أوقعت الحكومة السودانية في حرج دبلوماسي عظيم سيما وأن بعض الأحزاب السودانية كانت تشارك في دعم هؤلاء الثوار ، مثلما رأينا من وساطة ممثلي الحزبين الوطني الاتحادي والأمة في خلافات الباقلاني وحسن أحمد موسى أما جبهة الميثاق الإسلامي فكان يُظن أنها اكبر مساعدي الثورة لعلاقة عيسى عبد الله بجبهة الميثاق وتوجهات الباقلاني الإسلامية الأمر الذي اشتكى منه تمبلباي مدعياً بأن الثوار كونوا حكومة إسلامية في المنفى وسارع الدكتور محمد إبراهيم خليل وزير الخارجية السوداني حينها لنفي هذه المزاعم "إن تصريحات تمبلباي لا تحمل في مضمونها أي حقيقة"[2].

وطالبت تشاد حكومة السودان بحل كل الجبهات التشادية العاملة في السودان وقفل مقارها وتسليم قياداتها وهدد تمبلباي أنه وفي حالة عدم استجابة السودان لمطالبه فانه لن يتعاون في تسليم أي من المتمردين الجنوبيين الفارين لتشاد كما أخذ يصدر البيانات التي تحملّ السودان مسئولية توتر الأوضاع في تشاد واتخذ قراراً في سنة ١٩٦٥م بقفل الحدود بين البلدين وبوساطة من الرئيس هاماني ديوري رئيس النيجر حدث انفراج بسيط في العلاقات وانعقدت لجنة وزارية بين البلدين في نوفمبر ١٩٦٨م في نيامي وتوصل الطرفان إلى الآتي :

١. تتعهد تشاد برفع القيود على حسابات السودانيين في البنوك وإعادة حرية التنقل لهم كاملة .
٢. تتعهد حكومة السودان بتسليم المجرمين الذين تطلبهم حكومة تشاد في الجرائم التي تنص عليها اتفاقية تبادل المجرمين وكانت اتفاقية لتبادل المجرمين قد وقعت بين البلدين في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥م .

هذه الإجراءات أدت إلى إضعاف نشاط قيادات المعارضة التشادية فقد هاجر أبوبكر جلابو إلى القاهرة والتحق الباقلاني بجامعة أم درمان الإسلامية لتسوية أوضاع أقامته بالسودان وتبريرها ،لكن ذلك لم يوقف مسيرة العمل العسكري الذي كان يقوده إبراهيم أباشا في الداخل وقدّر صحفي فرنسي يدعى جاك اسنارد في مقال نشرته اللوموند * أن

---

[1] عمر محمد أحمد صديق : المرجع السابق ص٧٨ (نقلاً عن ملفات الأمن السوداني).

[2] عمر محمد أحمد صديق المرجع السابق ، ص٨٠ .

المتمردين استطاعوا أن يرتفعوا إلى مستوى عال من التنظيم لم يعد – مع كل يوم يمر – تنظيم (أهالي) كما كان في الماضي "[1] .

تعرضت فصائل الثورة التشادية لبعض الخلافات الداخلية وكان أشدها بعد استشهاد قائد (فرولينات) الأول السيد إبراهيم أباتشا في ١٩٦٨/٢/١٨م في جبال دقي انديتي في محافظة السلامات عندما حاصرته القوات الفرنسية واغتالته وحزت رأسه وطافت به شوارع العاصمة فورت لامي[2]. وكان سبب الخلاف في أوساط قيادات الثورة هو من سيخلف أباتشا في القيادة ؟ فبينما كان الباقلاني ومجموعته يرون ان حق اختيار القيادة الجديدة تقرره القواعد كان الدكتور أبّا صديق[3] والذي وفد على الثورة للتو، يرى انه الأكثر تأهيلاً بحكم خبرته ووضعه السابق وما أن حل عام ١٩٧١م حتى كانت الخلافات قد تفاقمت وادّعى كل من أبا صديق والباقلاني فصل الآخر من الجبهة ، في عام ١٩٧٢م انفصل الجيش الثاني بقيادة غوكوني ورفض الانصياع لقيادة أبّا صديق ثم بعد تنازل قوكوني عن القيادة طوعاً لحسين هبري صار هبري قائداً للجيش الثاني.

أدت الخلافات بين الباقلاني وأبا صديق إلى أن يقوم الباقلاني بترتيب أوضاع الجبهة على نسق جديد وميّز مجموعته بتسميتها بقوات (البركان) وتحول برنامجها إلى برنامج إسلامي واضح المعالم فقد تضمنت اللائحة التنظيمية لجبهة فرولينات (قوات البركان) أهدافاً محددة تتمثل في الآتي :

أ/ القضاء على الاستعمار بنوعيه القديم والحديث محلياً ودولياً .

ب/ تشييد مجتمع عادل وفق المبادئ الإسلامية ليؤكد على :

١. ترجمة إرادة الأغلبية مع تأمين وصيانة حقوق الأقلية .

٢. المحافظة على الحريات العامة دون تمييز بسبب الجنس أو العنصر أو الدين[4].

وتضمن هيكلها التنظيمي تعيين سكرتير للشئون الدينية والتربية الوطنية أوكلت إليه عدة مهام من بينها " تنمية وتقوية الشعور الديني ومحاربة كل مظاهر الانحلال الخلقي"[5]

---

[1] عمر أحمد صديق – المرجع السابق ، ص٨٧ .

[2] يوسف بركة المرجع السابق ، ص١١٩ .

[3] الدكتور أبا صديق كان وزيراً سابقاً في تشاد التحق بالثورة سنة ١٩٦٨م ، وكان يظن أنه عميل فرنسي مزروع في الثورة وهو من مواليد (أبشة ومتزوج من فرنسية) .

[4] راجع اللائحة التنظيمية العامة لجبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينات) – قوات البركان – ملحق .

[5] اللائحة التنظيمية العامة لفرولينات المادة السابعة (و–٥) .

كما ورد في أحكام اللائحة العامة (على جميع أعضاء الجبهة التمسك بالقيم الروحية وأداء الشعائر الدينية واحترام العقائد السماوية) [1].

وهكذا بدأ الأثر الإسلامي في توجهات الثورة التشادية يتضح بصورة أقوى ، رغم وجود مجموعات أخرى كانت أقرب إلى الخط الغربي وبعضها أقرب إلى الخط الماركسي فقد جاء في أدبيات قوات التحرير الشعبية " أما العوامل الموضوعية فتتلخص في الآتي :

١. التناقض الطبقي بالنظر إلى المحتوى الاجتماعي – الاقتصادي للثورة .
٢. مشكلة التنمية : أن طريق التطور الرأسمالي هو طريق مسدود أمام الدول النامية"[2].

وردت هذه الأفكار ضمن تشخيص قوات التحرير الشعبية للأوضاع السياسية التشادية وهو تحليل ماركسي لحمته وسداه وقادهم هذا الموقف إلى مصادمة التيار الوطني الإسلامي وفي ذلك تسجل أدبيات قوات التحرير الشعبية " إن نظرة واحدة عجلى إلى قوائم الذين قضت عليهم الثورة تكفي لأن ندرك حقيقة هامة – إن معظمهم بعد رجال الجيش الحكومي والقوات الفرنسية – ينتمون إلى إحدى فئتين أما رجال الإدارة الأهلية (أصحاب الأرض) وأعوانهم أو رجال الدين الذين باعوا أنفسهم للشيطان وطفقوا يبشرون بالطاعة لله والرسول وأولي الأمر " [3].

---

[1] اللائحة التنظيمية العامة لفرولينات المادة السابعة (١١-٤) .

[2] أنظر– قوات التحرير الشعبية– تشاد بركان في قلب افريقيا صفحات ١٤، ١٥، ١٦ .

[3] المرجع السابق، ص١٥ .

الفصل الثاني

الفترة الثانية للحكم الوطني ١٩٦٩م — ١٩٨٨م

المبحث الأول : الحرب الأهلية التشادية .

المبحث الثاني : حكومة النميري ومساهماتها في علاج المشكلة التشادية .

المبحث الثالث : وصول حسين هبري للسلطة وتطور العلاقات مع السودان .

بالرغم من أن الثورة التشادية اندلعت كاستجابة طبيعية لما أحسّ به المواطنون من ظلم وبالرغم من وضوح أهدافها إلا أن الثورة تعرّضت ومنذ أيامها الأولى للاختلافات التي كان بعضها بسبب شخصي والأخر كان بسبب قبلي ، إلا أنّ البعض ينظر لأسباب الخلافات أنها ناشئة عن اختراق فرنسي لصفوف الجبهة ، حيث دار لغط شديد حول انضمام وزير التربية السابق في حكومة تمبلباي للثورة دكتور أبا صديق ونُظر لانضمامه ذلك على أنه ترتيب حكومي بمساعدة فرنسية لنسف الثورة من داخلها ، ففي مقابلة مسجلة أجراها يوسف بريمة مع أحد مؤسسي فرولينات عبد الكريم الجابري يقول : " وصلتني رسالة من الأخ أبوبكر جلابو عثمان ممثل فرولينات في الجزائر تفيد بان هناك شخص يدعى الدكتور أبا صديق سبق له أن عمل وزيراً للتربية والتعليم في تشاد اتصل به بهدف الانضمام للثورة وهو الآن في طريقه إلى الخرطوم عن طريق القاهرة وقال جلابو في رسالته انه يشك في نوايا هذا الرجل وقد كتب لمحمد الباقلاني في الخرطوم يحذره من هذا الرجل ويطلب منا في القاهرة أنّ نستقبله ولكن نكون في حذر منه "[1] .

تزامن التحاق د. أبا صديق بالثورة مع عدة أحداث لم تجد حتى الآن تفسيراً ، فقد قتل إبراهيم أباشا في الميدان ودب خلاف بين قيادات الثورة وأبا صديق وكان مداره حول خلافة إبراهيم أباشا ودبر أبا صديق محاكمة عسكرية ضد الباقلاني وقام بتغيير القيادة العسكرية مما أدى إلى انشقاق في صفوف المقاتلين ، كما دب خلاف بين أبا صديق وقوات الجيش الثاني بقيادة قوكوني ، كانت هذه التفاعلات تسري في أوساط حركة الثورة المعارضة لحكم تمبلباي .

أما داخل الحكم نفسه فان الأوضاع كانت متأزمة بسبب ضربات الثوار وبسبب التنافس على السلطة وتعدد التحالفات داخلها ، وقد أدت تلك الخلافات إلى اعتقالات قام بها تمبلباي ضد بعض العسكريين طالت فيلكس مالوم الذي كان يشغل منصباً عسكرياً رفيعاً وهو من أبناء قبيلة السارا الجنوبية ، هذا العمل دفع ببعض العسكريين لتنظيم انقلاب ناجح ضد تمبلباي في ١٣ أبريل ١٩٧٥م ، فقد فيه تمبلباي سلطته وروحه ، قاد الانقلاب العقيد كاموقي ودال عبد القادر وبنجاح الحركة تم تعيين الجنرال فيلكس مالوم رئيساً لحكومة المجلس العسكري المؤقت .

أدى ذهاب تمبلباي إلى إعادة طرفي النزاع التشادي (الحكومة والمعارضة) لحساباتها فقد وجدت الحكومة أنه ليس من السهل عليها القضاء على الثورة ووجد الثوار أن ذهاب

---

[1] عبدالكريم الجابري : مقابلة مسجلة : أنجمينا ١٩٩٢م .

الحكومة بفوهة البندقية وحدها أمر غير ممكن بالذات بعد ظهور الخلافات الحادة بين فصائل الثورة وتوزعها على أساس قبلي ، فبدأت حركة تقارب بين الطرفين .

كان أول البادئين للتقارب مع الحكومة حسين هبري ، حيث وقع مع نظام الحكم الجديد في أنجمينا اتفاقية بتاريخ ١٩٧٨/٢/٥م صدر بموجبها ميثاق وطني لتنظيم هذه العلاقة في أغسطس من نفس العام أعلن تشكيل وزاري جديد نال فيه حسين هبري منصب رئيس الوزراء ، والذي الجأ هبري لمصالحة النظام أنه كان قد طرد من قيادة الجيش الثاني ودارت بينه وبين فصائل الثورة الأخرى معارك تلقى فيها هزائم شديدة وكان سبب الخلاف هو دعوة هبري لفصائل الثورة لعقد مصالحة مع النظام الجديد ، عوضاً عن التحالف مع ليبيا التي اتهمها هبري باحتلال قطاع اوزو .

دعت فصائل الثورة لمؤتمر في فايا لارجو في ١٩٧٨/٢/١٨م أي بعد أسبوعين فقط من توقيع اتفاقية المصالحة بين مالوم وهبري وكان الغرض من المؤتمر هو توحيد فصائل الثورة وتوصل المؤتمرون إلى تشكيل جديد باسم (فرولينات الموحدة) وأوكلت رئاسة مجلس قيادة الثورة فيه لقوكوني عديدي وشارك في التشكيل ممثلو الجيش الأول وقوات البركان بجناحيها (دناع وأصيل) ، وبعد أقل من اسبوعين من هذا التاريخ عقد مؤتمر آخر للمصالحة بين (فرولينات الموحدة) ، المجلس العسكري وكان مقره سبها في ١٩٧٨/٣/١م وشاركت في المؤتمر وفود من السودان وليبيا والنيجر وكان رئيس المؤتمر الرائد أبو القاسم محمد ابو أهيم نائب الرئيس السوداني وتم الاتفاق على :

١. جلاء القوات الفرنسية .
٢. تكوين لجنة عسكرية من ليبيا ونيجيريا للأشراف على جلاء القوات الفرنسية .
٣. عقد جولة أخرى من المباحثات في ليبيا بعد جلاء القوات الفرنسية .

وعندما تم الترتيب لعقد الجولة الثانية في طرابلس في يونيو ١٩٧٨م رفض ممثل المجلس العسكري العقيد كاموقي عبد القادر دخول قاعة المؤتمر احتجاجاً على مستوى التمثيل الذي شاركت به الفصائل التشادية مما أدى إلى فشل المؤتمر .

تطورت الأوضاع داخل تشاد بخلاف نشأ بين حسين هبري وفيلكس مالوم كان بسبب الخلاف حول وضع قوات حسين هبري في الجيش التشادي وحاول حسين هبري الانقضاض على السلطة ودارت معركة بسبب ذلك يوم ١٩٧٩/٢/١٢م وحدث تحول كبير في التحالفات إذ انحازت بعض فصائل الثورة بجانب حسين هبري في مواجهة المجلس العسكري ، فقد تقدمت قوات قوكوني عويدى لمهاجمة أنجمينا لصالح حسين هبري وبرزت الحرب باعتبارها حرباً بين المسلمين والنصارى وتم تقسيم " أنجمينا إلى قسمين الأحياء الشعبية في الشمال والشرق تحت سيطرة المسلمين وقد انضم إليهم أبناؤهم في

القوات المسلحة التشادية ، أما الأجزاء الغربية والجنوبية من العاصمة فكانت تحت سيطرة القوات المسيحية بقيادة العقيد عبد القادر كاموقي وامتدت الحرب لتشمل المحافظات الأخرى " [1].

ولعب إمام المسلمين الشيخ موسى إبراهيم دوراً مهماً في مساندة هبري والفصائل التشادية حيث اجتمع مع فيلكس مالوم وهدّده بتحريض المسلمين وإعلان الجهاد[2] .

توترت الأوضاع في تشاد بدرجة تقسمت البلاد إلى مناطق نفوذ تسيطر على كل منطقة جبهة من الجبهات وتدخلت القوات الفرنسية وتدخلت منظمة الوحدة الإفريقية وأرسلت قوات من نيجيريا لفض الاشتباك في أنجمينا ودعت لمؤتمر مصالحة في كانو.

المبحث الثاني : حكومة النميري ومساهماتها في علاج المشكلة التشادية :

توترت العلاقات السودانية التشادية على نحو ما رأينا في الفصول السابقة بسبب الخلاف الحاد بين التشاديين المسلمين والتشاديين المسيحيين الذين تولوا السلطة بعد خروج الاستعمار .أن التدهور الأمني في تشاد انعكس سلباً على استقرار الأوضاع في السودان، سيما وأن السودان به عدد كبير من التشاديين ، عندما تولى جعفر نميري السلطة في مايو ١٩٦٩م كانت خططه السياسية تسعى باتجاه تحسين العلاقات مع مصر في الشمال إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر ونمية لسيادة التيار الاشتراكي في المنطقة وصعود نجم القومية العربية فقد كانت برامج الثورة الوليدة تطفح بالشعارات العروبية ، ولكن لا تخلو كذلك من ذكر القضايا الإفريقية في خطابات الثورة الرسمية كمساندة حركات التحرر الإفريقية الناشطة في تلك الحقبة .

انتبه النظام الجديد في السودان إلى مدى التأثير الذي يمكن أن يلحق باستقرار السودان جراء توتر الأوضاع على حدوده الغربية من تلقاء تشاد ، حاولت الحكومة وقتها أن تكفكف من نشاط الثوار التشاديين حتى لا تضار أقاليم دارفور من ردة الفعل التشادي الرسمي . ولتحسين العلاقات قام الرئيس نميري بزيارة إلى أنجمينا خلال فترة حكم تمبلباي في فبراير ١٩٧١م " إلا أن الأوضاع سرعان ما تدهورت بعد دخول ليبيا إلى قطاع اوزو الحدودي في الشمال عام ١٩٧٣م وانقسام المعارضة التشادية (قوات الشمال) بين قوكوني المؤيد لليبيا وحسين هبري المعارض لدخول ليبيا لقطاع اوزو ، وزاد من تدهور الأوضاع الانقلاب العسكري الذي أطاح بتمبلباي في ١٣ أبريل ١٩٧٥م . عندها تعقدت أوضاع المنطقة جداً ، فسقوط تمبلباي كان دليلاً على موقف فرنسا المعارض لسياسات تمبلباي الأخيرة واحتجاجها على تجاهه نحو الشركات الأمريكية للتنقيب عن

---

[1] يوسف بركة : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

[2] مقابلة مع الإمام موسى إبراهيم بمنزله في أنجمينا ١٩٩٤م .

البترول عوضاً عن الشركات الفرنسية التي ادعت خلو الأراضي التشادية من كميات تجارية للنفط كما كان تمبلباي قد اتجه لاعتماد سياسة ثقافية معارضة للسياسة الثقافية الفرنسية[1] . ثم أن دخول ليبيا في الساحة كداعم لطرف في المعارضة التشادية هو طرف قوكوني والخلاف الليبي مع كل من مصر والسودان اللتين كانت أنظمة الحكم فيها حليفاً قوياً لأمريكا العدو التقليدي لليبيا ، كل هذا دفع الحكومة السودانية بقيادة جعفر نميري لأن ترمي بثقلها في أتون الأحداث التشادية .

الخلاف الذي وقع بين هبري وقوكوني أثناء فترة وجودهما في ليبيا عام ١٩٧١م وهزيمة هبري في ذلك الخلاف دفع به للانسحاب عن ليبيا إلى محافظة بلتن التشادية الحدودية ومن هناك دخل للسودان تحت حماية جعفر نميري ودعم أمريكا ومصر وأسس " قوات الشمال " وتولت الحكومة السودانية توحيد الجبهة التشادية ضد التمدد الليبي في المنطقة وذلك بسعيها لعقد مصالحة بين الحكومة التشادية وفصيل حسين هبري وأدى هذا السعي لانعقاد مؤتمر الخرطوم بين الحكومة التشادية وحسين هبري في الفترة من ٢ ديسمبر إلى ١٦ ديسمبر ١٩٧٧م وصدر عن هذا الاجتماع الميثاق الأساسي الذي أعتبر بمثابة دستور مؤقت لجمهورية تشاد "ونصّ هذا الاتفاق على إلغاء المجلس العسكري العالي وتشكيل لجنة الدفاع والأمن بدلاً عنه "[2] ، كما قضى الميثاق بتشكيل مجلس وطني للوحدة يمثل محافظات البلاد المختلفة كما اتفق في هذا الاجتماع على[3] :

١- إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإعلان العفو العام .

٢- تكوين لجنة مشتركة مهمتها الإشراف على تنفيذ الاتفاق ودمج القوات .

٣- تكوين لجنة مصالحة مؤقتة .

في ١٩٧٨/١/٢٢م وتحت إشراف الرئيس نميري التقى ممثل الحكومة التشادية العقيد ماماري جيمي نائب الرئيس التشادي وقائد قوات الشمال حسين هبري واصدرا بياناً مشتركاً أذيع في كل من أم درمان وأنجمينا وتضمن البيان الاتفاق على تشكيل حكومة مؤقتة وانتخاب جمعية تأسيسية وإعادة تنظيم القوات وإعادة بناء المناطق التي تأثرت بالحرب وتمت الدعوة عبر البيان لكل الجبهات المعارضة للانضمام لمسيرة السلام .

---

[1] محمد جرمة خاطر – مقابلة – الخرطوم ١٩٩٩م .

[2] عمر محمد أحمد صديق – المشكلة التشادية – ص٣٩٦ .

[3] المرجع السابق ص٣٩٨ .

الناظر لأوضاع الثورة التشادية في تلك الفترة يجد أن فرزاً حاداً قد وقع في صفوفها على النحو التالي :

١- الجيش الثاني بقيادة قوكوني مدعوم من ليبيا .

٢- لجيش الأول بقيادة مالوم بكر مدعوم من ليبيا وتشكل بعض قياداته عناصر ماركسية مثل إبراهيم يوسف جويلي .

٣- قوات البركان بقيادة عبدالله آدم دنّاع مدعوم من ليبيا .

٤- المجلس الثوري الديمقراطي بقيادة أصيل أحمد أغبش مدعوم من ليبيا .

٥- قوات الشمال بقيادة حسين هبري مدعوم من السودان .

في الوقت الذي كانت فيه الحكومة التشادية بقيادة فيكلس مالوم مدعومة من قبل فرنسا . ومحاولةً من السودان لإضعاف الجبهة المدعومة من قبل ليبيا وهي على تمزقها كانت تشكل عدداً مقدراً من الفصائل التي تمثل عدداً كبيراً من القبائل التشادية ، فإن الحكومة السودانية سعت لتحقيق المصالحة الوطنية بين قوات الشمال بقيادة هبري وحكومة تشاد بقيادة فيلكس مالوم وتوصل الطرفان إلي توقيع اتفاقية أخري بتاريخ ١٩٧٨/٢/٢٥م اصبح بموجبها حسين هبري رئيسا للوزراء" هذا النجاح الذي تحقق حفز فصائل المعارضة الأخرى للتفكير في الدخول في مصالحة مع نظام الجنرال فيلكس مالوم وتقدم السودان لعقد مؤتمر للمصالحة بين الفصائل والحكومة بمشاركة كل من ليبيا والنيجر وترأس المؤتمر الرائد أبوالقاسم محمد إبراهيم نائب الرئيس السوداني السابق[١] وتوصل المؤتمر إلى :

١- جلاء القوات الفرنسية عن تشاد .

٢- تكوين لجنة عسكرية من ليبيا والنيجر للإشراف على جلاء القوات الفرنسية .

اتهمت الفصائل التشادية السودان بأنه أضاف إلى اللجنة العسكرية ضابطاً سودانياً لم يكن هناك اتفاق حول إشراكهم[٢] ، ودعي لاجتماع آخر في يونيو ١٩٧٨ برئاسة الرائد أبوالقاسم محمد إبراهيم إلا أنه لم ينعقد لاعتراض ممثل الحكومة التشادية عبدالقادر كاموقي على مستوى التمثيل الذي ظهرت به الفصائل، وتسارعت الأحداث بعد ذلك إذ اندلعت الحرب الأهلية في أنجمينا في١٩٧٩/٢/١٢م على النحو الذي بيناه في المبحث السابق . استمرت الحرب بين الطرفين عندها تدخلت منظمة الوحدة الإفريقية لإيقاف القتال ونفذت المهمة قوات نيجيرية وكان ذلك تمهيداً لانعقاد مؤتمر كانو الأول والذي تم برعاية السودان وليبيا والنيجر ونيجيريا .

---

[١] مقابلة مع السيد أبوالقاسم محمد إبراهيم بالمؤتمر الوطني يناير ٢٠٠٠م .

[٢] يوسف بركة — تشاد — الدولة العربية المجهولة — ص١١٢ .

كان هذا المؤتمر هو المعالجة الشاملة التي تقدم لحل المشكل التشادي إذ قرر الرئيس فيلكس مالوم أثناء انعقاد المؤتمر إعلان تنحيه عن السلطة وطلبه حق اللجوء السياسي في نيجيريا وتم تكوين مجلس دولة مؤقت برئاسة قوكوني وعضوية هبري وكاموقي والشيخ ابن عمر وأبوبكر عبدالرحمن وتم الاتفاق على إبعاد القوات المتحاربة مسافة مائة كيلومتر عن العاصمة وتمت الدعوة لانعقاد مؤتمر كانو الثاني لتشكيل حكومة وحدة وطنية لإدارة الحكم في تشاد .

عقد مؤتمر كانو الثاني برئاسة رئيس هيئة الأركان للقوات النيجيرية الجنرال موسى ايارادوا ومثل السودان فيه الدكتور عزالدين حامد وزير شئون الرئاسة، ومثل ليبيا الدكتور علي عبدالسلام التريكي وزير الخارجية ومثل النيجر السيد مأمون جارماكوي .

واجهت هذا المؤتمر مشكلة تمثلت في اعتراض بعض الفصائل على مشاركة الوفد الليبي باعتبار أن ليبيا لها تدخلات في الشأن التشادي لا تؤهلها للقيام بمهمة الوساطة ولكن الجنرال ايارادوا رفض الاعتراف باعتبار أن مشاركة ليبيا جاءت بقرار من منظمة الوحدة الإفريقية وليس لجهة الحق في إقصائها غير المنظمة نفسها .

اجتهدت ليبيا لتشكيل حكومة وحدة وطنية وتمكنت من إقناع أطراف الصراع التشادي إلا أنها فشلت في إقناع الجانب السوداني وهكذا لم يتوصل المؤتمر لشيء وكان رد فعل السلطات النيجرية هو اعتقال قوكوني وهبري وبعض قادة الفصائل وتم تشكيل حكومة برئاسة محمد أبا سعيد وشاركت فيها بعض الفصائل ، إلا أن الوفد السوداني استطاع إقناع بعض الفصائل للانسحاب من الحكومة فانهارت الحكومة قبل تشكيلها ، وإزاء هذا الموقف قررت السلطات النيجيرية إطلاق سراح قوكوني وهبري والموافقة على التمديد لمجلس الدولة المشكل وفق قرارات مؤتمر كانو الأول .

هذا الموقف دفع قوكوني وهبري حال وصولهما أنجمينا للتمرد على قرارات مؤتمر كانو الثاني واتفقا على تشكيل حكومة اسندا رئاستها للسيد لول محمد شوا ولكن منظمة الوحدة الإفريقية رفضت الاعتراف بهذه الحكومة ، دعت نيجيريا لمؤتمر يعقد في لاغوس بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٥م ولكن المؤتمر فشل في الانعقاد وسعت ليبيا لتجميع الأطراف التي حضرت المؤتمر وكونت منهم ما أسمته بجبهة العمل المشترك ودعمتهم لإسقاط حكومة قوكوني – هبري ولما تكاثف الضغط على الحكومة التشادية قبلت المشاركة في مؤتمر لاغوس الثاني في ١٩٧٨/٨/١٢م وتمخض المؤتمر عن تكوين حكومة الوحدة الوطنية برئاسة قوكوني عويدي وتولي فيها حسين هبري الدفاع وشارك في الإشراف على التوقيع على اتفاقية لاغوس كل من النيجر ، السنغال ، الكنغو ، ليبيريا ، بنين ، إفريقيا الوسطى وممثل الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية[1] .

---

[1] يوسف بركة – المرجع السابق ص١٤٠ .

قامت حكومة الوحدة الوطنية واستطاعت إنجاز مهمة جلاء القوات الفرنسية ولكنـــها فشلت في توحيد الفصائل التشادية وهذا أدى إلى احتكاكات بين قوات الفصائل كان أهمها الاحتكاك الذي وقع بين قوات رئيس الوزراء قوكوني ووزير دفاعه وحليفه هبري ، وفي ٢٠ مارس ١٩٨٠م احتدمت معارك طاحنة داخل أنجمينا بين قوات هـــبري وقوكونـــي واستمرت الحرب قرابة التسعة أشهر (من مارس ١٩٨٠م إلى ديسمبر ١٩٨٠) وقـــامت ليبيا بدعم قوكوني بينما دعمت فرنسا والسودان هبري وبدخول القوات الليبية في صــف قوكوني هزم هبري وفر عبر النهر إلى الكاميرون بينما انسحبت قـــواته بقـــيادة إدريـــس دبـــي وهجـــرو السنوسي إلى السودان .

في السودان بدأت قوات هبري تنظيم صفوفها للعودة لتشاد وانتهزت فرصة خـــلاف دار داخل التركيبة الحاكمة في أنجمينا وبتدخل عناصر من القـــوات الليبيـــة فـــي ذلـــك الصراع أشاعت المخابرات الفرنسية أن القوات الليبية انتشرت في العاصمة أنجمينا للقيام بانقلاب لصالح المجلس الثوري الديمقراطي بقيادة أصيل أحمد وأوعزت فرنسا لقوكونـــي بطرد القوات الليبية مقابل دعم فرنسي واتخذ مجلس الوزراء التشادي قراراً بطرد القوات الليبية وطلبت الحكومة من ليبيا الانسحاب خلال أسبوعين من تاريخ القرار الصادر فـــي ٢٩ أكتوبر ١٩٨١م إلا أن ليبيا فاجأت الحكومة بالانسحاب الفوري[١] قبل انقضـــاء مهلـــة الأسبوعين وتحت هول المفاجأة طلبت تشاد من منظمة الوحدة الإفريقية مدها بقوة لحفـــظ السلام واستجابت المنظمة بقوة مشكلة من السنغال وزائير وبنين ونيجيريا . لكن فرنســـا نكصت بوعدها لقوكوني وأوعزت لقوات حفظ السلام بعدم التدخل في حالة نشـــوب أي نزاع بين الحكومة والمعارضة وحينها انتهز هبري هذه الفرصة وقام بتحريك قواته مـــن داخل الأراضي السودانية وإدارة معارك ضد القوات الحكومية وما أن حل يوم السابع من يونيو عام ١٩٨٢م حتى كانت قوات هبري بدعم سوداني قد أكملت الاستيلاء على المـــدن التشادية بما فيها العاصمة أنجمينا وفر قوكوني إلى الكاميرون ومنها إلى الجزائر حيـــث طلـــب حق اللجوء السياسي وبذلك بدأت حقبة جديد في العلاقات المزدهـــرة جـــداً بيـــن السودان وتشاد .

المبحث الثالث : وصول حسين هبري للسلطة وتطور العلاقات مع السودان :

وصل حسين هبري للسلطة في أنجمينا يوم ١٩٨٢/٦/٧م وبوصولـــه انتـــهت حقبـــة الصراع التي بدأت في تشاد مع رحيل الاستعمار وبذلك تيسر للمسلمين في تشاد الوصول إلى السلطة ولم تعد الفصائل التشادية قادرة على مواصلة الصراع ضد هـــبري بعـــد أن

---

[١] أكملت القوات الليبية انسحابها يوم ١٩٨١/١١/٣ .

أصابها التمزق نتيجة الحروب المستمرة منذ منتصف الستينات. كما أن الأوضاع في المنطقة كانت قد تشكلت بصورة مختلفة عما كان عليه الحال سابقاً ، فالتحالف المصري ، الليبي ، السوداني والذي أوشك أن يتحول إلى اتحاد بين الدول الثلاثة أصابه الانهيار بعد المفاصلة التي وقعت بين مصر والسودان من جانب وليبيا من الجانب الأخر والسبب في هذه المفاصلة التحول الذي حدث في مصر بعد رحيل عبدالناصر والتوجه الذي قاده السادات في الخروج عن المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي واتجاهه لتحسين علاقات مصر مع أمريكا بل ومع إسرائيل العدو التقليدي للعرب ومصر ، هذا الموقف وجد تأييد السودان ومعارضة ليبيا بسبب اتهام ليبيا للسودان بتخاذل مواقفه تجاه قضية الوحدة بحجة خصوصية السودان ووضع الجنوب السوداني .

هذه الأوضاع أعادت تشكيل المنطقة بقيام تحالف ضم مصر والسودان وتشاد برعاية أمريكية ، وفي المقابل لم تلتق مصالح ليبيا وفرنسا لتشكل تياراً معارضاً لهذا التيار الجديد . كل هذه الاعتبارات أدت إلى تحسن في العلاقات السودانية التشادية ونشطت العلاقات بين البلدين وبدأ التنسيق في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية واجتهد السودان في محاصرة المعارضة التشادية وإضعاف أثرها على الحكومة التشادية .

أ- التنسيق العسكري :

بعد استلام هبري للسلطة كان ينظر بدرجة عالية من الأهمية لضرورة القضاء على الوجود الليبي في قطاع اوزو وكان من المهم جداً إعادة تأهيل القوات التشادية للاضطلاع بهذه المهمة وطلب هبري من الدول المجاورة مساعدته في هذه المهمة ، واستجاب السودان بتأهيل مجموعة من القوات الكومندوز التشادية حيث تم تدريب تلك القوات في الفاشر[1] عاصمة إقليم دارفور وكانت هذه المجموعة إحدى المجموعات التي دفع بها هبري للقتال في اوزو ، وامتد هذه التنسيق في التشاور المستمر في إدارة المعارك ضد ليبيا حتى تمكن هبري من هزيمة القوات الليبية وجلائها عن قطاع اوزو .

ب- التنسيق السياسي :

كان هبري معجباً جداً بالتجربة السياسية للنظام الذي يرأسه جعفر نميري ولذلك فقد قام هبري بتعديل النظام السياسي في تشاد ليصبح نظاماً رئاسياً على النمط الذي كان سائداً في السودان وقام بتأسيس كيان سياسي جديد يتسم بالشمولية هو حزب "يونير" ، وهي تجربة شديدة الشبه بتجربة الاتحاد الاشتراكي السوداني.

---

[1] انظر محمد شريف جاكو : العلاقات السياسية الاجتماعية بين السودان وتشاد ، مطبعة مدبولي .

كما كان التشاور المستمر وتبادل الزيارات بين الطرفين والدعم السياسي من حكومة نميري لحكومة هبري بالذات فيما يتعلق بالصراع التشادي الليبي .

ج- التنسيق الاقتصادي :

اجتهد السودان في دعم تشاد وبما أن تشاد دولة مغلقة فقد قام السودان بتقديم تسهيلات في مجال النقل كان أهمها تطوير خدمات الخطوط الجوية السودانية لتشاد من مجرد وكيل إلى إدارة تتبع لمدير الخطوط السودانية هذا فضلاً عن فتح مكتب للخطوط التشادية في مدينة الجنينة السودانية[1] .

[1] محمد شريف جاكو – المرجع السابق ، ص٢٦٣ .

الفصل الثالث

الفترة الثالثة للحكم الوطني (١٩٨٩ — ١٩٩٩) م

المبحث الأول : توتر العلاقات مع نظام هبري .

المبحث الثاني : وصول الجبهة الوطنية للإنقاذ التشادية للحكم وتحسين العلاقات .

المبحث الثالث : مظاهـــر ازدهار العلاقات بين نظامي الإنقـــــاذ في البلدين .

المبحث الأول : توتر العلاقات مع نظام هبري :

أن الفترة من (٨٩ -١٩٩٩م) وأن كانت تغطي بالنسبة للسودان فترة حكم واحد هـو حكم الإنقاذ الوطني الذي بدأ مسيرته في السودان في الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م ، إلا أن هذه الفترة بالنسبة لتشاد تغطي نهاية فترة حكم هبري والذي سقط في اليوم الأول من ديسمبر ١٩٩٠م وحكم إدريس دبي اتنو والذي بدأ مسيرته في نفس التاريخ ، ولذلك فإن العلاقات السودانية التشادية واجهت ظروفاً مختلفة وهي تتعامل مع النظامين .

في الفترة الأخيرة من حكم حسين هبري وبالتحديد بعد نهاية الحرب الليبية التشادية التي نشبت في ١٩٨٧م وانتصار القوات التشادية على القوات الليبية بدأ هبري يحس بنوع من الزهو وظن أنه قد أصبح قوة مرهوبة في المنطقة ولذلك عندما وقع التمرد الذي قاده العقيد حسن جاموس[1] فيما عرف بحركة الأول من إبريل[2] وبفشل الحركة ولجوء مدبريها إلى السودان واحتمائهم بالمعقل القبلي لقبيلة الزغاوة بشمال دار فور ، ظن هبري أنه يمكنه تعقب المعارضة داخل الأراضي السودانية والقضاء عليها مستفيداً بذلك من الشعور بالقوة الذي داخله بعد هزيمة القوات الليبية وما غنمه من غنائم بالإضافة إلى العتاد والأسلحة التي تمكن الحصول عليها من العراق وبعض الدول الحليفة لنظام هبري، ولأن علاقة هبري بالسودان بعد سقوط النميري في إبريل ١٩٨٥م قد شابها الكثير من التوتر فلم يعد يتورع في انتهاك الأراضي السودانية بحجة ملاحقة عناصر المعارضة الذين يؤويهم السودان ، ولذلك دخل هبري في معركتين أساسيتين ضد المعارضة كانت الأراضي السودانية ساحة لهما وذلك في أكتوبر ١٩٨٩م (بعد أربعة شهور فقط من قيام ثورة الإنقاذ) وفي مارس ١٩٩٠م وأدت هذه المعارك وانتهاكات قوات هبري للأراضي السودانية إلى توتر كبير في العلاقات بين البلدين .

إزاء توتر العلاقات بعد معارك أكتوبر ١٩٨٩م ومارس ١٩٩٠م بزلت بعض المساعي لمعالجة التوتر بين البلدين والذي بدأ في تاريخ سابق لقيام ثورة الإنقاذ حيث بدأ التوتر عام ١٩٨٨م أبان فترة الحكم الحزبي ووصل تدني العلاقات بين البلدين وقتها إلى أدنى مستوى له[3] .

---

[1] هو العقيد حسين جاموس القائد العام للجيش في عهد هبري والذي أعلن التمرد على سلطة هبري وحاول الدخول إلى السودان ولكن قوات هبري تمكنت من مطاردته أسره وقتله قبل دخول الأراضي السودانية .

[2] وقعت حركة الأول من أبريل في عام ١٩٨٩م بقيادة حسين جاموس الذي ينتمي لقبيلة الزغاوة وهي قبيلة مشتركة بين السودان وتشاد وشاركه فيها عدد من الضباط التشاديين كان أبرزهم إبراهيم اتنو وإدريس دبي وكلاهما من الزغاوة .

[3] السفير الرشيد خضر – سفير السودان في أنجمينا ٨٩ /١٩٩١م .

في أكتوبر ١٩٩٠م عرض السودان على هبري عرضاً يقضي بوقف المواجهة العسكرية التي كانت وشيكة بين البلدين وذلك بسحب المعارضة التشادية إلى نقاط محددة داخل الأراضي السودانية ، ورغم أن السودان قد أوفى بالتزامه هذا بصراحة تامة ودعا إلى صيغة سياسية معضدة لهذه الترتيبات العسكرية ، إلا أن تعقيدات الأوضاع السياسية في المنطقة وبالذات الدعم الليبي المباشر للمعارضة التشادية داخل الأراضي السودانية لم يسمح لهذا الحل بأن يأخذ حظه من النجاح مما زاد من شدة شك الرئيس هبري في إمكان التوصل إلى حل سياسي مع المعارضة وبالتالي مع حكومة السودان التي كانت أراضيها تضم عناصر هذه المعارضة .

كل هذه التداعيات أثرت سلباً على العلاقات بين البلدين وواجهت العلاقات فيها ظروفاً سيئة وفشلت كل المساعي في جلوس طرفي النزاع في تشاد - الحكومة والمعارضة - إلى مائدة المفاوضات وما هي إلا أسابيع معدودة على اتفاق إجلاء المعارضة بعيداً عن الحدود حتى نشبت المعارك الفاصلة والتي بدأت في نوفمبر ١٩٩٠م وانتهت في ديسمبر في نفس العام بدخول قوات إدريس ديبي إلى أنجمينا وانتهت بذلك حقبة من التوتر في العلاقات بين السودان وتشاد وبدأت حقبة جديدة مختلفة تماماً .

المبحث الثاني: وصول الحركة الوطنية للإنقاذ للحكم في تشاد وتحسين العلاقات :

بعد وصول الحركة الوطنية للإنقاذ (MPS) MOUVE MENT PATRIOTIQUE DU SALUT . بقيادة إدريس ديبي للسلطة في ديسمبر ١٩٩٠م أعلن السودان تأييده للسلطة الجديدة ووصل في الأسبوع الأول لقيام النظام الجديد وزير الخارجية السوداني علي أحمد سحلول لأنجمينا مهنئاً ومباركاً ومقدماً لدعم رمزي بشحنة طائرة من المؤن والمواد الغذائية وكان تجاوب النظام الجديد مع هذه المبادرة طيباً رغم التوتر الذي حدث بين الحكومة السودانية والمعارضة التشادية التي وصلت للسلطة بسبب التصريح الذي أطلقته الحكومة السودانية في نوفمبر ١٩٩٠م حيث أعلنت عن خرق المعارضة التشادية للاتفاق المبرم معها والذي يقضي بنقل قواتها إلى بعد مائتي كيلو متر داخل الأراضي السودانية والكف عن استخدام الأراضي السودانية في أي عمل عدائي ضد الحكومة التشادية ، ولكن لشعور النظام الجديد في أنجمينا بجدية الحكومة السودانية في التعامل معه لحل كافة المشاكل المعلقة بين البلدين فان النظام الجديد أبدى استعداده لفتح صفحة جديدة في العلاقات تهدف إلى تطوير العلاقات السودانية التشادية ، ونشطت الأجهزة الدبلوماسية في تنظيم رحلات المسئولين بين البلدين[1] وتأطير العلاقات لتقوم على أسس ثابتة وقوية

---

[1] أنظر الفصل الثالث في هذا الباب " الزيارات الرسمية المتبادلة بين الطرفين خلال ٨٩ /١٩٩٦م .

أساسها الإخاء وعلاقات حسن الجوار وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، وأفلحت هـــذه الجهود الدبلوماسية في انعقاد اللجنة الوزارية المشتركة بين البلدين في فـــبراير ١٩٩١م وذلك بعد ثلاثة أشهر فقط من وصول الحركة الوطنية للإنقاذ إلي سدة السلطة في أنجمينا علماً بأن آخر اجتماع شهدته اللجنة الوزارية بين البلدين كان عام ١٩٨٦م في الخرطـــوم بعيد سقوط جعفر نميري ، ولم تنعقد بعد ذلك إلا في فبراير ١٩٩١م وكان مـــن المقـــرر عقدها عام ١٩٨٧م في أنجمينا إلا أن هبري ولتوتر علاقات حكومتـــه بالســـودان ظـــل يسوف حتى انهار نظامه في ديسمبر ١٩٩٠م . ورغم أن الاتفاق كان يقضي بانعقاد هـذه الدورة في أنجمينا إلا أن السودان وتقديراً لظروف تشاد وهي تخرج لتوها مـــن معـــارك حسم السلطة في أنجمينا وافقت على عقد اجتماعات اللجنة الوزارية في الخرطوم والتـــي رغم قصر المدة إلا أن التحضير لها كان جيداً بحيث تم تقسيم اللجنة الوزارية إلى لجنتين فرعيتين إحداهما سياسية والأخرى اقتصادية ناقش الاجتمـــاع قضايـــا الأمـــة والحـــدود واللاجئين وإجراءات الهجرة وحماية الحياة البرية والموارد الطبيعية والتبادل التجـــاري وقضايا التعليم والتعاون الثقافي والإعلامي والعلاقات الشبابية والرياضية وشئون الصحة والرعاية الاجتماعية وقضايا النقل والمواصـــلات والطـــرق والـــبريد وعكفت اللجنـــة على إحياء الاتفاقيات السابقة الموقعة بين البلدين .

كذلك نشطت الجهود الدبلوماسية فـــي تقويـــة العلاقـــات التشـــادية الســـودانية فـــي مجال التعاون العسكري حيث تـــم توقيـــع اتفاقيـــة لتدريـــب الكـــوادر العســـكرية فـــي السودان وبناءً علـــى هـــذا الاتفـــاق اســـتقبلت الكليـــة الحربيـــة والمعـــاهد والمراكـــز العسكرية عدداً كبيراً من العسكريين التشاديين الذين تلقوا تدريبـــاً فـــي الســـودان .

أما أهم إنجاز دبلوماسي خلال هـــذه الفـــترة فتمثـــل فـــي توســـيع دائـــرة التمثيـــل الدبلوماسي بفتح قنصلية للسودان بمدينة أبشة في شـــرق تشـــاد وقنصليـــة تشـــاد فـــي الجنينة في غرب الســـودان .

المبحث الثالث : مظاهر ازدهار العلاقات بين نظامي الإنقاذ في البلدين :

أ- الاتفاقيات الثنائية بين البلدين خلال الفترة ٨٩ – ١٩٩٦م :

تعتبر الاتفاقيات الثنائية بين الدول مؤشراً لمدى تطور العلاقات بينها وكل ما كـــانت هذه الاتفاقيات بناءة وشاملة دل ذلك على مستوى النمو في العلاقات .

بالنسبة للعلاقات السودانية التشادية فبالرغم من تحسن العلاقات جداً بيـــن الســـودان وتشاد خلال فترة حكم الرئيسين هبري ونميري إلا أن الاتفاقات التي تـــم توقيعـــها بيـــن البلدين لا تكاد تتجاوز الخمس اتفاقات فقط بينما نجد هذه الاتفاقات خلال الفترة موضـــوع الدراسة قد وصلت إلى اثنين وعشرين اتفاقية شملت كل المجالات .

فقد وقع الطرفان على محضر تعاون في مجال الثروة الحيوانية في ٢٥ مارس ١٩٩٠م أي بعد ثلاثة شهور من قيام النظام الجديد في أنجمينا .

في ١٧ فبراير ١٩٩١م انعقدت اللجنة الوزارية المشتركة وبحثت كافة المجالات وتم توقيع محضر خاص بهذه الاتفاقيات في الخرطوم .

في ١٥ مايو ١٩٩١م تم توقيع اتفاقية تعاون في مجال الشباب والرياضة وكان ذلك في أنجمينا ، كما تم في نفس التاريخ والمكان توقيع اتفاقية للتعاون بين البلدين في مجال الإعلام والثقافة .

في ٣٠ يونيو ١٩٩١م في الخرطوم تم التوقيع على محضر لمتابعة تنفيذ مشروعات التعاون بين البلدين ، كما تم في نفس التاريخ التوقيع على محضر المباحثات المشتركة بين البلدين قاد وفديهما رئيسا البلدين أثناء مشاركة الرئيس التشادي في احتفالات الذكرى السنوية الثانية لقيام ثورة الإنقاذ الوطني .

في ٢٤ يوليو ١٩٩١م تم في مدينة الجنينة في غرب السودان التوقيع على محضر التعاون المشترك في مجال الأمن على الحدود .

في ٢٦يوليو ١٩٩٢م تم التوقيع على محضر تعاون في المجال الاقتصادي والزراعي وذلك في العاصمة التشادية أنجمينا أثناء زيارة وزير الصناعة السوداني دكتور تاج السر مصطفى .

في ٩ ديسمبر ١٩٩٢م في الخرطوم وقعت مذكرة تفاهم في المجال الزراعي .

في ٢٨ أبريل ١٩٩٣م تم التوقيع على محضر اجتماع حول مسألة أمن الحدود وترحيل اللاجئين وقد وقع المحضر في مدينة قوز بيضة في شرق تشاد .

في ٩ يناير ١٩٩٤م وفي أنجمينا تم التوقيع على الاتفاق الخاص بإنشاء فرع للبنك الزراعي السوداني في أنجمينا .

في ١٩ سبتمبر ١٩٩٤م انعقدت الدورة الرابعة للجنة الوزارية المشتركة بين البلدين وتم فيها التوقيع على محضر خاص بهذه الاجتماعات شمل كل مجالات التعاون بين البلدين .

في ٢٥ أكتوبر ١٩٩٤م وفي مدينة أبشة تم التوقيع على مذكرة التفاهم بشأن متابعة ما اتفق عليه في الدورة الرابعة للجنة الوزارية كما تم التوقيع على الاتفاقية الخاصة بكيفية وضع العلامات الحدودية بين البلدين .

في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤م وفي مدينة الجنينة تم التوقيع على محضر الاجتماع الأول للجنة الخاصة بوضع علامات الحدود بين البلدين .

في ٢٩ ديسمبر ١٩٩٤م وفي مدينة خور برنقا بغرب دارفور تم التوقيع على الاتفاقية الخاصة بمكان العلامة الحدودية رقم (٩٤/١) في تقاطع وادي أزوم ووادي صالح .

في ٢١ يناير ١٩٩٥م وفي أنجمينا تم التوقيع على مذكرة التفاهم بين البلدين حول التعاون الفني في مجال الري والموارد المائية .

في ٢٤ يناير ١٩٩٥م وفي الجنينة تم التوقيع على اتفاقية التعاون الصحي بين ولاية غرب دارفور (السودان) ومحافظة وداي (تشاد) .

في نفس العام ١٩٩٥م تم التباحث بين البلدين بغرض وضع اتفاقية خاصة بالنقل البرى بين البلدين وعرضت الاتفاقية على الطرفين إلا أنها لم توقع بعد .

في ٣١ مارس ١٩٩٥م وفي أنجمينا تم التوقيع على محضر الاجتماع المشترك والخاص بخبراء النقل والتجارة .

في ٢٠ يوليو ١٩٩٥م تم التوقيع في الخرطوم على محضر تفاهم بين شركة الخطوط البحرية السودانية ومجموعة رجال الأعمال التشاديين لترحيل البضائع لتشاد عبر منافذ السودان البحرية وأراضيه .

في ٣ أكتوبر ١٩٩٥م تم التوقيع على محضر الاجتماع المشترك الخاص بوضع علامات الحدود بين البلدين في الفترة من ١٨ ديسمبر ١٩٩٥م إلى ١٨ مارس ١٩٩٥م وذلك في الخرطوم كما تم في نفس التاريخ والمكان التوقيع على الاتفاق الخاص بوضع علامات الحدود بين البلدين والإجراءات المصاحبة لها .

ب- الزيارات الرسمية المتبادلة بين الطرفين خلال الفترة ١٩٩٦/٨٩م:

أن تبادل الوفود بين البلدان المختلفة يعمل على :

١. تطوير العلاقات الحسنة بين البلدان .
٢. حل المشاكل التي قد تنشب بين البلدان عند توتر العلاقات .
٣. المحافظة على العلاقات القائمة والتذكير بالاتفاقات المشتركة .

هذا فضلاً عن التعارف والعلاقات الشخصية التي قد تنشأ بين المسئولين مما يساعد في مزيد من التقارب وينعكس على البرامج التي يتم تنفيذها لتطوير العلاقات السياسية .

لقد شهدت الفترة ٨٩ –١٩٩٦م نشاطاً مكثفاً لحركة الوفود بين السودان وتشاد على كافة المستويات وعملت هذه الزيارات على معالجة العديد من المشكلات كما دفعت إلى تنشيط الاتفاقات التي كانت قد أبرمت منذ سنوات بين البلدين كانت أولى الزيارات المتبادلة بين الطرفين هي تلك الزيارة التي قام بها الرئيس حسين هبري في سبتمبر عام ١٩٨٩م أي بعد شهرين فقط من قيام ثورة الإنقاذ الوطني في الخرطوم وذلك في طريق عودته من بغداد وكان غرض الزيارة التعرف على رجال الحكم الجدد في الخرطوم والاطمئنان على موقفهم من العلاقات مع تشاد ، حيث أنه كان على خلاف كبير مع الحكومة السابقة التي كان يرأسها رئيس الوزراء الصادق المهدي والتي أتهمها هبري

بدعم المعارضة التشادية وإيوائها ، وأكد الرئيس السوداني من جانبه حرص السودان على تمتين علاقات الجوار مع تشاد وحرصه على إيجاد تسوية سلمية للصراع الدائر على السلطة في تشاد ، ولكن هذا اللقاء لم يسفر عن نتائج إيجابية حيث قامت القوات التشادية في أكتوبر ١٩٨٩م أي بعد أقل من شهر من زيارة هبري للسودان بتعقب المعارضة التشادية في دارفور كما تزايد التقارب بين السودان وليبيا والتي يعتبرها هبري عدوه الأول في المنطقة .

أعقب تلك الزيارة وفي محاولة لمعالجة التوتر الذي حدث في أكتوبر ١٩٨٩م أن أرسلت الحكومة السودانية وفداً برئاسة العميد بيويو كوان عضو مجلس قيادة الثورة الحاكم في السودان عام ١٩٩٠م وذلك لتطمين الرئيس التشادي بنوايا السودان وحرصه على تحسين العلاقات بين البلدين وكان غطاء الزيارة تنوير الحكومة التشادية بنتائج مؤتمر الحوار الوطني من أجل قضايا السلام .

ثم أعقب تلك الزيارة مباشرة وفي فبراير ١٩٩٠م وفد برئاسة العميد إبراهيم نايل إيدام عضو مجلس قيادة الثورة السوداني ووزير الشباب والرياضة على رأس وفد شبابي رياضي كبير أقام نشاطاً باسم الأسبوع الثقافي السوداني حظي باهتمام قطاعات واسعة من الشعب التشادي ونقل الوفد خلال الزيارة للرئيس التشادي ضرورة التدخل لحل سياسي للأزمة التشادية واستعداد السودان للمساهمة في الحل مع تأكيد حياد السودان إزاء ذلك الصراع ،ولكن نتائج هذه الزيارة والزيارة التي سبقتها أيضاً كانت فاشلة إذ أنه لم تمر عدة أيام على انقضاء الزيارة حتى بادرت قوات المعارضة التشادية بقيادة العقيد إدريس دبي بمواجهة القوات التشادية واحتدم القتال داخل الأراضي السودانية في دارفور وتكبدت فيه قوات الرئيس هبري خسائر فادحة أنحت تشاد باللائمة على الحكومة السودانية والفيلق الإسلامي الذي تدعمه ليبيا وأعلنت الحكومة التشادية عن عزمها على سحق المعارضة التشادية داخل الأراضي السودانية .

عملت الحكومة السودانية على احتواء الموقف فأرسلت وفداً برئاسة وزير الخارجية السيد/ علي أحمد سحلول في أبريل ١٩٩٠م ووجه الوفد بتشدد الرئيس التشادي الذي أصر على اتهام السودان بالضلوع في تأييد المعارضة وطلب عوضاً عن ذلك أن يقوم السودان بطرد المعارضة التشادية من أراضيه وأن يتحول السودان من موقف الحياد في الصراع التشادي إلى القيام بإعلان تأييده وانحيازه للحكومة التشادية ، وكرد فعل على عدم استجابة السودان لمطالب الرئيس التشادي قامت قواته بعمليات تمشيط عسكرية في قرى شمال دارفور واقتادت عدداً من المواطنين أسرى بالذات من مناطق قبائل الزغاوة القاطنة في شمال دارفور بالسودان.

ظلت حالة التوتر تتزايد والمعارك تحتدم ومسارح العمليات انتقلت لشمال دارفور وعملت هذه الفوضى والاختلال الأمني إلى تزايد عمليات النهب المسلح وتكدس السلاح لدى القبائل الشيء الذي انذر بانفراط عقد الأمن في دارفور تماماً ، لذلك عملت الحكومة السودانية على تحجيم نشاط المعارضة وقررت بعد التشاور مع المعارضة سحب عناصرها داخل الأراضي السودانية على بعد مائتي كيلو من الحدود ، وعند التوصل لهذا الاتفاق أرسلت الحكومة السودانية وفداً برئاسة أمين عام مجلس الثورة وضم الوفد رئيس جهاز الأمن العام ونائب مدير الاستخبارات العسكرية وكان الوفد مكلفاً بأن ينقل للرئيس هبري هذه التدابير التي قامت بها الحكومة السودانية مع حثه على معالجة المشكلة بينه وبين المعارضة بالتفاوض السلمي إلا أن الرئيس التشادي لم يحسن مقابلة الوفد وأصر على الوفد ألا يستخدم حتى عبارة المعارضة التشادية مقرراً أن هذه العناصر ليست إلا " لصوص وقطاع طرق " وكانت هذه آخر الزيارات المتبادلة بين الحكومة السودانية وحكومة الرئيس هبري في أنجمينا إذ لم يكد الوفد يرجع من أنجمينا حتى تجددت المعارك وانتقلت هذه المرة إلى شرق تشاد وذلك بعد انسحاب قسوات المعارضة من الأراضي السودانية إلى داخل الأراضي التشادية ووقعت أول معركة بين الحكومة والمعارضة في نوفمبر ١٩٩٠م ولم تلبث الأحوال أن تدهورت بدرجة كبيرة حيث انكسرت قوات الرئيس هبري في أبشة ووصلت قوات إدريس دبي إلى مشارف أنجمينا في نهاية شهر نوفمبر ١٩٩٠م لتتمكن من دخولها في الأول من ديسمبر ١٩٩٠م بعد رحيل هبري عنها بعد هزيمته .

رغم كثافة الزيارات في هذه الفترة على قصرها (سبتمبر ٨٩ إلى نوفمبر ١٩٩٠م) والتي بلغت (٥) زيارات على مستوى عال إلا أنها لم تسفر عن نتائج إيجابية لأن التوتر وانعدام الثقة بين البلدين حال دون تحقيق أي نجاح ولم تفلح هذه الزيارات في نزع فتيل التوتر فضلاً عن فشلها في إحراز أي تقدم في تمتين العلاقات بين البلدين حيث فشلت حتى في التطرق إلى ضرورة عقد اللجنة الوزارية المشتركة بين البلدين والتي لم تنعقد منذ العام ١٩٨٦م لكن بدأت حقبة جديدة في العلاقات بعد وصول الحركة الوطنية للإنقاذ برئاسة الرئيس إدريس دبي حيث توقفت المعارك التي كانت دائرة في الحدود وأعربت الحكومة التشادية عن حرصها على تحسين العلاقات السودانية التشادية وكرد فعل لتلك التصريحات أرسل السودان وفداً بعد أسبوع واحد من انتصار الحركة الوطنية للإنقاذ لنقل تهاني الحكومة السودانية للوضع الجديد وتأكيد اعترافها به وكان الوفد برئاسة وزير الخارجية وحمل الوفد معه مساعدات عينية ومادية للنظام الجديد في أنجمينا .

أعقب زيارة وزير الخارجية زيارة قام بها الرئيس عمر البشير في الأسبوع الأخير من ديسمبر ١٩٩٠م وكانت زيارة قصيرة حيث كان الرئيس في طريقه إلى أبوجا لحضور اجتماعات القمة الإفريقية وتوقف في مطار أنجمينا وأكد في تصريحات صحفية عن إيمان السودان بالمضي قدماً في تطوير التعاون المشترك بين البلدين مع ضرورة تأطير العلاقات في أشكال متعددة وبث روح جديدة في اللجان الوزارية المشتركة ، وكانت هذه الزيارة على قصرها نقطة تحول كبرى في العلاقات بين البلدين إذ أحست القيادة الجديدة في أنجمينا بأن ملفاً جديداً في العلاقات قد فتح بين السودان وتشاد وساعد في تحسن هذه العلاقات الجو الإقليمي في المنطقة فان الانفراج الذي حدث في العلاقات السودانية – الليبية والعلاقات التشادية الليبية قد نزع التوتر الذي كان يشتعل دائماً بسبب الخصومة بين القيادتين السودانية والليبية كما ساعد على تحسن العلاقات التقارب السوداني الفرنسي الناتج من الشعور بأن زوال حكم الرئيس هبري كان لصالح البلدين سيما وأن فرنسا كانت تتخوف من تزايد النفوذ الأمريكي في تشاد بفعل سياسات الرئيس هبري أما وقد رحل هبري وتزايد التوتر في العلاقات السودانية الأمريكية فأن فرنسا بدأت تنظر لضرورة تحسين العلاقات السودانية التشادية على انه صمام الأمان ضد توغل النفوذ الأمريكي في المنطقة وحتى تحكم فرنسا هذه العلاقة فقد قامت بنقل أحد دبلوماسيها الناشطين الذين كانوا يعملون بسفارتها بالخرطوم ويرعون ملف المعارضة التشادية " مسيو بول " إلى تشاد ليعمل مستشاراً للرئيس إدريس دبي .

هذا الانفراج في العلاقات السودانية التشادية ساعد على نشاط تبادل الوفود بين البلدين وأثمرت هذه الزيارات نتائج إيجابية جداً في تطوير العلاقة الثنائية بين السودان وتشاد ، حيث شهد مطلع العام ١٩٩١م زيارة قام بها وفد من اللجنة السياسية لمجلس ثورة الإنقاذ الوطني إلى أنجمينا وجاءت في إطار تعريف الوضع الجديد بمجهودات الحكومة السودانية في حل مشكلة الجنوب ومعالجة الخلل في النظام السياسي ونظام الحكم في السودان وأعقبه وفد من مجلس الصداقة الشعبية العالمية برئاسة الأمين العام للمجلس د. مصطفى عثمان إسماعيل وضم عدداً من فعاليات العمل الشعبي والمنظمات وكان الغرض من زيارة الوفد تهنئة قيادة النظام الجديد وتقديم بعض المساعدات التي صحبها الوفد معه إلى أنجمينا ، كذلك زار أنجمينا وفد من ولايات دارفور قدم دعماً للحكومة الجديدة تمثل في قافلة من السيارات التي دخلت عبر الحدود المشتركة بين السودان وتشاد .

وتوجت الحكومة السودانية تعبيرها عن فرحها بقدوم النظام الجديد بإقامة الأسبوع الثقافي السوداني الثاني بأنجمينا والذي قاد فعالياته العميد إبراهيم نايل ايدام وزير الشباب والرياضة وقدم الوفد نشاطاً ثقافياً وفنياً ورياضياً تعبيراً عن مشاركة السودان للشعب

التشادي فرحته بقدوم النظام الجديد واعتبر هذا النشاط دليلاً على توفـــر الثقــة والإرادة السياسية لدفع العلاقات في تاريخها الطويل[1] .

قام الجانب التشادي بالرد على كل تلك الزيارات بزيارة برئاسة الرئيس إدريس دبـــي للخرطوم في يونيو ١٩٩١م للمشاركة في احتفالات ثورة الإنقاذ الوطني بالذكرى السنوية الثانية لاندلاعها وكان الوفد على مستوى عال حيث شارك فيه وزراء الخارجية والدفـــاع والداخلية والأشغال والمواصلات إضافة إلى عدد كبير من الفنيين المرافقين وأجرى الوفد مباحثات مكثفة مع الجانب السوداني شملت مختلف المجالات ووقع الطرفان على بيــــان مشترك يدعو لإرساء أسس التعاون على أساس ما جاء فـــي مـداولات دورة الانعقـــاد الخاصة باللجنة الوزارية المشتركة والتي عقدت في الخرطوم في فبراير عـــام ١٩٩١م والتي شارك فيها عدد من الوزراء الجدد في الحكومة التشادية الجديدة .

تمت الزيارات السابقة في إطار التهنئة بالنظام الجديد في أنجمينا والعمل على إرســاء ثوابت للعمل الثنائي بين البلدين وجاءت هذه الزيارات في جو سياسي مستقر نسبياً فـــي البلدين ، ولكـــن مـــا أن حل شهر أكتوبر عام ١٩٩١م متى شهدت أنجمينا أحداث توتـــر داخل النظام الحاكم وذلك باتهام وجهة الرئيس دبي لنائبه مالدوم بادا عباس بمحاولة قلـــب نظام الحكم وتم القبض على مالدوم و أودع السجن هو وعدد من معاونيه، وبدا للحكومــة السودانية وكان هذه الأوضاع الداخلية سوف تعصف بالنظام الجديد فسارعت الحكومـــة السودانية لإرسال وفد برئاسة العقيد بكري حسن صالح عضو مجلس قيادة الثورة وضـــم الوفد أمين عام مجلس الصداقة الشعبية ورئيس جمعية الصداقة السودانية التشادية وعــددا من الدبلوماسيين بوزارة الخارجية السودانية للاطمئنان على الأحوال والســـعي لإزالـــة التوتر داخل القيادة التشادية، وأجرى الوفد عدداً من الاتصالات بالفعاليات السياسية ابتداء من رئيس الجمهورية والوزراء إلى القيادات الشعبية وساعدت الزيارة فعلاً علـــى نـــزع فتيل التوتر ومعالجة الأمر بالروية والحكمة حيث لم يمض وقت طويل حتى تم إطـــلاق سراح السيد مالدوم وأسندت إليه بعض المهام الحزبية في الحركة الوطنية للإنقاذ (MPS).

وقد ساعدت هذه الزيارات المتكررة في بداية اســـتلام المجموعـــة الجديـــدة للحكـــم في تشاد المسئولين في الحكومة السودانية على التعـــرف علـــى النظـــام الجديـــد عـــن قرب ومعرفة تركيبته وطبيعة المشاكل التي تواجهه وتحـــدد بنـــاء علـــى ذلـــك نـــوع المساعدة التي يمكن أن تقدمها الحكومة السودانية للحفاظ علـــي تحالفـــها مـــع النظـــام الجديد في أنجمينا وتجنيب علاقـــات البلديـــن أي نـــوع مـــن التوتـــرات أو المفاجـــآت غير الســـارة .

---

[1] السفير الرشيد خضر – التقرير الختامي للفترة ٨٩ – ١٩٩١م ملفات وزارة الخارجية – الخرطوم .

أدركت الحكومة السودانية أن واحدة من أهم المشاكل التي تؤثر على الاستقرار في تشاد هي عدم استقرار المؤسسة العسكرية التشادية وافتقارها للتدريب اللازم نتيجة تعرض المؤسسة للحل المستمر بعد نهاية كل فترة حكم، لذلك عرضت الحكومة السودانية على الحكومة التشادية مساعدتها في تدريب كوادرها العسكرية حتى تتمكن من الاضطلاع بمهمة حماية الأراضي التشادية واستقرارها ، لذلك أوفدت الحكومة السودانية اللواء التجاني آدم الطاهر[1] عضو مجلس قيادة الثورة في ١٢ أبريل ١٩٩٢م إلى أنجمينا حيث التقى بالرئيس التشادي دبي والقائد العام للجيش التشادي العقيد محمد على عبد الله ، وقد توالت نتيجة لهذه الزيارة المجموعات العسكرية التشادية للتدريب في السودان في المعاهد والكليات العسكرية في كل من الكلية الحربية وكلية القادة والأركان ووحدات القوات السودانية المختلفة ومدرسة التوجيه المعنوي وغيرها .

في العاشر من مايو ١٩٩٢م وبدعوة من النائب الأول للرئيس السوداني قام وفد تشادي برئاسة رئيس الوزراء السيد جان البنقى بزيارة للسودان يرافقه وفد ضم وزير الخارجية محمد صالح احمد ووزير الداخلية احمد حسب الله حسان وقائد عام الجيش التشادي محمد على عبد الله وأجرى الوفدان مباحثات مكثفة في مختلف المجالات وصدر بيان مشترك في ختام المباحثات ، كما تمكن الوفد من الالتقاء بالعديد من المسئولين والفعاليات السياسية .

في الخامس والعشرين من يوليو ولمدة يومين قام وزير الصناعة السوداني دكتور تاج السر مصطفى يرافقه عدد من الخبراء بزيارة لأنجمينا للتباحث مع المسئولين التشاديين حول أسس التعاون في مجالات عديدة أهمها الصناعة والتجارة والزراعة .

أثمرت نتائج الزيارات التي قامت بها وفود من البلدين للبلد الآخر في مجال التعاون العسكري أول ثمارها في تخريج دفعة من الطلاب التشاديين في الكلية الحربية السودانية وضمت تلك الدفعة (٢٨) طالبا وكانت هذه المناسبة جديرة بان يشرفها الرئيس التشادي بزيارة للسودان وقعت في السادس عشر من نوفمبر ١٩٩٢م يرافقه فيها وفد على مستوى عالٍ وشهدت الزيارة مباحثات لتنشيط الاتفاقات الموقعة بين البلدين .

كما شهد نفس الشهر نوفمبر ١٩٩٢م[2] زيارة قام بها وفد فني زراعي تشادي وكانت الزيارة بغرض الوقوف على التطور الزراعي في السودان ونقل تجربة المشاريع الزراعية إلى تشاد وقد أجرى الوفد مباحثات مع الجهات السودانية حول كيفية تطوير التعاون في مجال البحوث الزراعية والبساتين ووقاية النباتات .

---

[1] اللواء التجاني تربطه صلات قربى بالرئيس إدريس دبي حيث ينتمي الرجلان لقبيلة الزغاوة المنتشرة بين السودان وتشاد .

[2] كان ذلك في الفترة من ٢٤ نوفمبر وحتى ٩ ديسمبر ٩٩٢م .

لم تقتصر الزيارات على المسئولين الحكوميين على المستوى المركزي في البلدين فقط فبجانب زيارات الوفود الشعبية فإن زيارات المسئولين على مستوى الولايات السودانية والمحافظات التشادية قد تواصلت بغرض تنفيذ الاتفاقيات المشتركة في المجالات ذات الصلة بالولايات الواقعة على حدود البلدين ، وفي هذا الإطار فقد قام العميد طبيب الطيب إبراهيم محمد خير والي دارفور بزيارة رسمية لأنجمينا في فبراير للتباحث مع السلطات التشادية لوضع الترتيبات الأمنية اللازمة لمواجهة عصابات النهب المسلح بين البلدين وجمع السلاح الذي بأيدي القبائل المشتركة بين البلدين ، وقد سبقت هذه الزيارة زيارة قام بها الوالي الطيب إبراهيم لمدينة ادري الحدودية التشادية يرافقه وفد ضم الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية العالمية والأمين العام لوزارة الثقافة والإعلام ووكيل وزارة الصحة ورئيس جمعية الصداقة السودانية التشادية والتقى الوفد بمحافظي بلتين ووداي الحدوديتين ومعاونيهما وجرى التباحث حول بعض المشاكل الأمنية الحدودية وتجارة الحدود وتفعيل الدبلوماسية الشعبية بين البلدين .

في السابع عشر أبريل ٩٣م زار القائد العام للجيش التشادي الجديد العقيد محمد قرفة السودان والتقى بالمسئولين في الجيش السوداني وذلك بغرض متابعة إنفاذ الاتفاقيات الموقعة بين البلدين وتنشيط برنامج المساعدات الفنية من الجيش السوداني للجيش التشادي، وفي نفس الشهر زار عمدة أنجمينا جبريل درنكي الخرطوم بدعوة من واليها في الثاني والعشرين من يونيو ٩٣م وعلى تزايد الخلاف بين أركان النظام التشادي والذي مثل طرفاه هذه المرة الرئيس دبي من جانب والعقيد عباس كوتي[1] من الجانب الآخر ، توجه وفد سوداني برئاسة اللواء التجاني آدم طاهر إلى أنجمينا لحل النزاع بين الطرفين وتوجه الوفد بعد ذلك إلى ليبيا حيث تم اجتماع قبل فيه عباس كوتي العودة لأنجمينا لممارسة نشاطه السياسي من الداخل ، وتأسيس حزب معارض إلا أن خلافاً بين عباس كوتي وإدريس دبي فقد فيه الأول روحه وعدداً من معاونيه وقد أدى هذا الموقف إلى إحراج الأطراف التي سعت لتوقيع الاتفاقية بين الطرفين (السودان وليبيا) بحسبانهما ضامنين لإنفاذ الاتفاقية ، ورغم أن مشاركة اللواء التجاني قد نظر إليها البعض باعتبارها مفيدة لقرب الرجل من الطرفين إلا أن بعض الأطراف التشادية نظرت للأمر وكان السودان لم يكن طرفاً في الاتفاقية وليس معنياً بها باعتبار أن صلة القرابة للواء التجاني بالطرفين جعل مشاركة اللواء التجاني ذات طابع أسري أكثر منها ذات طابع رسمي ،

---

[1] عباس كوتي من المقربين للرئيس دبي وشارك في تأسيس حركة الأول من أبريل ٨٩ بحكم قرابته من الرئيس وتولى بعد انتصار الحركة عدة مناصب كان أهمها قيادة الجيش ووزارة الدفاع إلا انه اختلف مع الرئيس وفر إلى خارج تشاد وبعد مصالحة برعاية السودان وليبيا عاد إلى أنجمينا ولكن ما لبث أن تجدد الخلاف بين الطرفين وفي صراع احتدم بينهما فيما بعد لقي عباس كوتي مصرعه ولجأ عدد من مناصريه للخارج ليشكلوا مقاومة ضد النظام .

وقد أوفدت الحكومة التشادية السيد/ كروم أحمد وزير الخارجية لتسليم رسالة للرئيس السوداني لتوضيح ملابسات الحادث ، كان ذلك في أغسطس ١٩٩٣م .

وفي إطار تنشيط الاتفاقيات الصحية المبرمة بين البلدين زار وزير الصحة التشادي محمد نوري الخرطوم والتقى برصيفه السوداني المقدم قلواك دينق وتم الاتفاق على دعم التعاون الصحي بين البلدين في مجال تدريب الكوادر الطبية وتحويل حالات مرضية للعلاج بمستشفيات الدولة في السودان .

في إطار تنفيذ اتفاقيات التعاون الزراعي بين البلدين زار وفد فني سوداني من البنك الزراعي السوداني أنجمينا في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٩٣م حيث أجرى الوفد مباحثات مطولة استمرت حتى التاسع من يناير ٩٤م توصل فيها الجانبان إلى اتفاق لفتح فرع البنك الزراعي السوداني في أنجمينا لتقديم خدمات تمويلية وإرشادية في مجال التنمية الزراعية ، وقد جاءت فكرة تأسيس فرع للبنك الزراعي بمبادرة من جمعية الصداقة السودانية التشادية التي أبدت ملاحظاتها على المساعدات التي قدمها البنك الزراعي السوداني للحكومة التشادية بعد استلامها للسلطة في ديسمبر ١٩٩٠م في شكل جرارات وبعض المعدات الزراعية وكانت الملاحظة أن هذه المعدات دون تقديم خدمات إرشادية وتمويلية لن تكون ذات جدوى ووجدت الفكرة ترحيباً من مدير عام البنك الزراعي السوداني السيد بدر الدين طه أحمد حيث شكل وفداً لزيارة أنجمينا للتباحث حول إمكانية فتح فرع للبنك في إطار الاتفاقيات الموقعة بين البلدين، وقد ظل إجراء افتتاح البنك يراوح مكانة لفترة طويلة بسبب تعقد الإجراءات الحكومية في البلدين وتم مؤخراً افتتاح فرع البنك[1] في أنجمينا .

في السادس والعشرين من يونيو ١٩٩٤م وحتى الأول من يوليو قام الرئيس التشادي بزيارة للسودان للمشاركة في احتفالات السودان بالعيد الخامس لثورة الإنقاذ الوطني يرافقه وفد رسمي ، كما أجرى الوفد مباحثات مع الجانب السوداني تم فيها الاتفاق على التحضير لعقد الدورة الرابعة للجنة الوزارية المشتركة بين البلدين .

في السادس من يوليو ١٩٩٤م زار الخرطوم مستشار الرئيس التشادي للشئون العربية الإسلامية السيد عثمان جده حاملاً رسالة خطية من الرئيس التشادي للرئيس السوداني .

في أغسطس ١٩٩٤م قام وفد من الخبراء بوزارة الري السوداني بزيارة لأنجمينا في مهمة تتعلق بإجراء دراسات حقلية وإعداد تقرير فني عن مشروع إنتاج الأرز بتشاد .

---

[1] بدأ العمل في البنك بتاريخ ٦ / ٨ /١٩٩٧

انعقدت الدورة الرابعة للجنة الوزارية المشتركة في الخرطوم في الفترة من ١٧ إلى ١٩ سبتمبر ١٩٩٤م وقدم وفد تشادي برئاسة السيد نور الدين كاسيري رئيس الوزراء وضم الوفد عدداً من الوزراء والمسئولين التشاديين وأجرى الوفد مباحثات مطولة مع العديد من الجهات بغرض تطوير العلاقات بين البلدين كما التقى الوفد بالجالية التشادية بالسودان ووقف على أوضاعها ومساهمتها في تطوير العلاقات .

كان من أهم الموضوعات التي جرى التفاوض حولها في اجتماعات الدورة الرابعة للجنة الوزارية المشتركة مسألة ترسيم الحدود بين البلدين وإنفاذاً لما تم الاتفاق عليه قام في العشرين من أكتوبر ١٩٩٤م أي بعد شهر واحد من انفضاض أعمال الدورة الرابعة قام وفد سوداني برئاسة السيد والي غرب دارفور إلى مدينة أبشة التشادية وضم الوفد عددا من الخبراء في مجال علامات الحدود وأجرى الوفد مباحثات مع الجانب التشادي لوضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ قرارات الدورة الرابعة فيما يتعلق بإعادة وضع علامات الحدود على بعض النقاط الحدودية وبالمقابل وبعد شهر من زيارة الوفد السوداني لأنجمينا أي في نوفمبر ١٩٩٤م قام وفد تشادي بزيارة مدينة الجنينة السودانية حيث انعقد الاجتماع الأول للجنة المتابعة المشتركة لترسيم الحدود السودانية التشادية .

في الحادي عشر من يناير ١٩٩٥م عاد وفد خبراء الري مرة أخرى إلى أنجمينا لمتابعة مشروع إنتاج الأرز بتشاد .

وفي الخامس عشر من يناير ١٩٩٥م زار وفد من الحركة الوطنية للإنقاذ برئاسة السيد/ عثمان جدة مستشار الرئيس التشادي الخرطوم للالتقاء بالجانب السوداني للتباحث حول التحضير للانتخابات الرئاسية والتشريعية في تشاد وقد ضم الوفد عدداً من المسئولين الحزبيين في حركة (MPS) .

وأسفرت الزيارة عن التزام الجانب السوداني بتقديم التسهيلات اللازمة لتمكين الجالية التشادية بالسودان من أداء واجبها الوطني في إنجاح الانتخابات .

مواصلة لجهد الخبراء السودانيين في مجال الري قام السيد وزير الري السوداني دكتور يعقوب أبو شورة في الثامن عشر من يناير بزيارة لأنجمينا للتباحث مع الجانب التشادي حول تقارير الخبراء السودانيين المتعلقة بإعادة تأهيل بنية الري بمشروع إنتاج الأرز بجنوب تشاد والتعرف على متطلبات المشروع وتم في هذا الصدد التوقيع على مذكرة تفاهم بين الجانبين .

في الحادي والعشرين من مارس ١٩٩٥م زار وفد تشادي الخرطوم للوقوف على الترتيبات التي أعدها الجانب السوداني لفتح فرع البنك الزراعي السوداني بأنجمينا وخلال

الزيارة تم اطلاع الوفد على العقبات الإجرائية التي تواجه الإدارة بسبب موقف البنك المركزي وسط افريقيا والذي تقضي إجراءاته بأن يقوم البنك الزراعي بإيداع مبلغ نقدي كبير لدى البنك المركزي لوسط افريقيا والذي تشارك فيه تشاد ضمن مجموعة من دول وسط إفريقيا الفرانكفونية ،و تباحث الجانبان حول إمكانية تخطي هذه العقبة ليباشر البنك أعماله في أقرب وقت .

في نفس الشهر مارس وفي التاسع والعشرين منه زار وفد من خبراء النقل والتجارة من السودان أنجمينا لحضور الاجتماعات المشتركة لخبراء النقل والتجارة بين البلدين وتم في ختام الاجتماع توقيع محضر مشترك يقضي بتطوير حركة النقل والتجارة بين البلدين وتم الاتفاق على النص النهائي لمشروع اتفاقية النقل البرى بين البلدين كما تم الاتفاق على تكوين لجنة فنية استشارية مشتركة للقيام بمهمة تنسيق السياسات الاقتصادية في مجال النقل .

بما أن العلاقات الثقافية بين السودان وتشاد تعتبر من أوثق الصلات فان زيارة قام بها وكيل أول وزارة التربية السودانية السيد عبد الباسط عبد الماجد في أبريل ١٩٩٥م تعتبر من أهم الزيارات وهي تأتي في سلسلة زيارات قام بها الوكيل للاطمئنان على سير العمل في مدرسة الصداقة السودانية بأنجمينا والتي تأسست في مطلع السبعينات وقد كان من أهداف هذه الزيارة الوقوف على أحوال المدرسة ومدى قدرتها على استيعاب تجربة التطوير في ضم قسم ثانوي للمدرسة مع النظر في تأسيس معهد لإعداد المعلمين يكون نواة لكلية جامعية تتطور على أثرها المدرسة لتضم المرحلة الجامعية .

في إطار التشاور المستمر بين القيادة في البلدين وصل الخرطوم في الثاني من يوليو ١٩٩٥م السيد حسن فضل كنز مستشار الرئيس التشادي ومدير الخطوط الجوية التشادية حاملاً رسالة من الرئيس التشادي لرصيفه السوداني .

تشكل العلاقات الاجتماعية جانباً مهماً من العلاقات المشتركة بين البلدين وهي تعبير عن الرابطة الأسرية التي تجمع الشعبين ، لذلك فقد أوفدت القيادة السودانية وفداً في السادس من يوليو برئاسة وزير الطيران السوداني اللواء التجاني آدم طاهر وعضوية رئيس هيئة أركان الجيش السوداني لتقديم واجب العزاء في وفاة العقيد بشر هنو القائد العام للجيش التشادي .

بما أن تشاد دولة داخلية فان من أكبر همومها أن تؤمن لتجارتها منافذ على البحار وبحكم علاقة الجوار بين البلدين والموقع الجغرافي للسودان على البحر الأحمر فان الحكومة التشادية جعلت واحداً من محاور اهتمامها التوصل إلى صيغة مناسبة للوصول للبحر الأحمر عبر السودان ولذلك زار الخرطوم في الحادي والعشرين من يوليو ١٩٩٥م

وفد من رجال الأعمال التشاديين بدعوة من شركة الخطوط البحرية السودانية (قطاع عام) للوقوف على إمكانية ترحيل البضائع التشادية من بورتسودان إلى داخل تشاد عبر الأراضي السودانية ، وتم توقيع مذكرة تفاهم بهذا الخصوص .

ولتطوير الفكرة في التعاون التجاري بين البلدين زار في التاسع عشر من يوليو ١٩٩٥م وفد من الشركة السودانية للأسواق والمناطق الحرة (قطاع عام) أنجمينا للنظر في الخدمات التي يمكن أن توفرها الأسواق الحرة السودانية لرجال الأعمال التشاديين سيما وان الشركة السودانية للأسواق الحرة تزمع إقامة منطقة تجارية حرة في مدينة الجنينة الحدودية .

في الثلاثين من أغسطس ١٩٩٥م زار وفد تشادي برئاسة دكتور مختار موسى مدير عام شركة تنمية حوض بحيرة تشاد السودان بدعوة من وزير الري السوداني للتفاكر حول الاتفاقيات المشتركة بين البلدين في مجال الري .

في السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٩٥م زار السيد محمد نوري وزير الإدارة الإقليمية الخرطوم على رأس وفد ضم عدداً من الخبراء التشاديين وتباحث الوفد مع الجانب السوداني حول عمل اللجان المشتركة لترسيم الحدود ووقع الجانبان على محضر الاتفاق الخاص بإعادة وضع علامات الحدود والإجراءات المصاحبة له .

كذلك في إطار الاتصالات المستمرة بين القيادة في البلدين قام العميد بكري حسن صالح وزير الداخلية السوداني بزيارة لأنجمينا في السابع من نوفمبر ١٩٩٥م حاملاً رسالة خاصة من الرئيس السوداني إلى رصيفه التشادي .

شهد شهراً نوفمبر وديسمبر ١٩٩٥م حركة زيارات من الجانب التشادي للسودان بغرض التحضير للانتخابات فقد زار وفد برلماني تشادي الخرطوم في نوفمبر ١٩٩٥م بغرض إنشاء اللجنة الفرعية للانتخابات وفي ديسمبر ١٩٩٥م زار وفد من اللجنة الوطنية للانتخابات في تشاد الخرطوم للاطمئنان على سير أعمال اللجنة الفرعية للانتخابات في الخرطوم والتقى الوفدان بالمسئولين السودانيين وتم الاتفاق على تقديم التسهيلات اللازمة للجنة الفرعية لأداء دورها في إدارة العملية الانتخابية وتأكيد مشاركة التشاديين المقيمين بالسودان فيها .

الخلاصة :

رغم أن الاستعمار في البلدين قد عمل ما في وسعه لخلق ظروف تؤدي بالبلدين لأن يقصم عرى صلاته بالبلد الآخر ، إلا أن حقائق التاريخ والجغرافيا والاجتماع البشري استعصت على ذلك ، فقد شكلت المجموعات المهاجرة من تشاد للسودان سبباً لصلة قوية

بين البلدين وتهيأت أرض السودان لانطلاق الثورة التشادية انطلاقاً وجد الحماية والإسناد بفضل التداخل والتشابه والترابط بين شعوب المنطقة ، وعاد مجدداً ذلك التداخل فبرزت القيادات المؤثرة في البلد رغم أن منبتها كان في البلد الآخر .

ظلت الحكومات المتعاقبة في السودان تقدم الدعم للفصائل التشادية لاسترداد حقها الذي عمل الاستعمار على سلبه وتضبيبه ، ورغم تعقيدات الأوضاع التشادية والاختلافات بين تلك الفصائل إلا أن المحصلة النهائية كانت في تأمين عودة الحكم للمسلمين بعد طول صراع، وشكلت حقبة التسعينات ازدهاراً في العلاقات صورته الزيارات والاتفاقات الموقعة بين البلدين .

الباب الخامس :

مؤسسات التواصل الشعبي بين البلدين

الفصل الأول

المؤسسات الاجتماعية

الفصل الثاني

المؤسسات الثقافية

تمهيد :

لقد قامت المؤسسات الشعبية في البلدين بدور كبير في تطوير العلاقات ويمثل مجلس الصداقة الشعبية العالمية وجمعية الصداقة السودانية التشادية أهم المؤسسات التي أشرفت على تطوير العلاقة بين البلدين وتفعيل المؤسسات الشعبية والطوعية للاضطلاع بدورها في هذا المجال ، رغم أن بعض هذه المؤسسات الشعبية والطوعية قد سبقت قيام مجلس الصداقة وجمعية الصداقة وكان لها دور ملحوظ إلا أن قيام المجلس والجمعية ساعدا كثيراً على توجيه مجالات عمل هذه المؤسسات وهذه المؤسسات هي :

١- الجاليات .

٢- منظمة الدعوة الإسلامية .

٣- الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة .

٤- مدرسة الصداقة السودانية التشادية .

ورد في ديباجة النظام الأساسي لمجلس الصداقة الشعبية السودانية العالمية والصادر في ١٣ شوال ١٤١١هـ الموافق ١٨ أبريل ١٩٩١م ما يلي : " ومن هنا يأتي دور المجلس أولاً في إثراء الفكر المشترك لشعوب العالم بما يؤدي إلى مزيد من التعلق بمظهر الفكرة وجوهرها في تقريب وجهات النظر بين الشعوب ومحاولة خلق الحس الواحد وتعميق الدبلوماسية الشعبية في وجدان تلك الشعوب "[١] .

وبهذا تتلخص فكرة المجلس في أنه الأداة الشعبية التي تضطلع بدور تقريب وجهات النظر بين الشعوب وخلق الحس المشترك بالمشاكل والهموم للعمل على معالجتها وتطوير وتعميق وسائل ووشائج الدبلوماسية الشعبية والإيمان بها حتى يتكامل عطاؤها مع عطاء الدبلوماسية والجهود الرسمية ، لتجاوز حالات القطيعة التي يمكن أن تنشأ بين الجهات الرسمية حتى لا تضار مصالح الشعوب نتيجة لما يمكن أن يحدث من مشاكل بين هذه الجهات الرسمية .

وبالرجوع إلى النظام الأساسي للمجلس نجد أن المادة الخامسة منه قد حددت الأهداف والأغراض من إنشاء المجلس في ست عشرة نقطة على النحو التالي :

يعمل مجلس الصداقة الشعبية العالمية باسم شعب السودان على تحقيق الأهداف والأغراض الواردة في قرار مجلس قيادة ثورة الإنقاذ الوطني رقم (٣١) لسنة ٩١ ، كما يعمل على تحقيق الأهداف التالية :

١- إثراء ورفع المسيرة البشرية لمستقبل واعد ننشد فيه وحدة الفكر الإنساني في كل مكان وزمان وانتصاراً للإنسان في نضاله من أجل ذاته وحتمية بقائه والذود عن حريته ومعوقات وجوده .

---

[١] مجلس الصداقة الشعبية العالمية — النظام الأساسي ، ص١ .

٢- تعزيز قدرات الشعوب في البقاء التصاقاً بـأرض أوطانـها وصوتـاً لاسـتقلالها وحرصـاً على سيادتها ، وسيطـرة على إمكاناتها وتطويعها لمواردهـا فـي خدمـة الإنسان فيها .

٣- ترسيخ مفهوم وحدة الشعوب في التصدي لكل محـاولات التحكـم فـي مصيرهـا ومكافحة كل المساعي التي تعبّد الطريق للسيطرة على مقدراتها ومحاربة كل الخطـط التي ترمي إلى إذلالها واستغلالها .

٤- تحقيق أعلى درجات التضامن مع الشعوب الصديقة في مواجهة كل ما مـن شـأنه توسيع شقة الخلافات بينها كتقوية التجمعات العنصرية وإقامة حواجز الاتصـال بينـها وعزلها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

٥- خلق الأجواء المناسبة لتقوية وحدة الشعوب الشقيقة والصديقة لتحقيق التقدم والنمـاء المخطط لها وصولاً بالإنسان في كل مكان إلى مرافئ حياة الرفاهية والسعادة .

٦- المساهمة الإيجابية مع الشعوب الشقيقة والصديقة فـي تنميـة الفكـر الإنسـاني والوجداني والبشري والقيم الرفيعة والأحاسيس السابقة التي يتشكل من مجموعها التكامل العالمي في مجالات الفنون والثقافة والعلوم بالقدر الذي يعوض الإنسانية عن المعانـاة الطويلـة مـن جراء الصراعات والخلافـات التي أثبتتها الفـوارق المصطنعة بيـن بني الإنسان .

٧- تحقيق القدر المتناهي من التعاون الإيجابي مع الشعوب الشقيقة والصديقة في تنميـة الثروة العالمية التي أفرزتها السنوات الأخيرة من القرن العشرين والتي خرجت بالإنسان من دوائر التسلط العقائدي واستقلال قدراته بغير عائد اجتماعي واقتصادي يتمتع به إلى خير المشاركة العملية الفاعلة في تلبية حاجياته في إطار فكري وأخلاقـي ومضمـون كياني . الإنسان هو ذاته عماده وقدرته ، في انتماء واع وارتباط مؤثر تتحقق بها ومعها مجتمعات الكفاية والعدل .

٨- تحقيق تلاحم وتكامل عيني مع الشعوب الشقيقة والصديقة كروافد تصب كلـها فـي مصب واحد ولخدمة هدف هو السلام على الأرض وسيادة الإنسان على قضاياه الحياتية ودعامات البناء والارتقاء بالمجتمع البشري .

٩- وضع ثقل الوطن وتسخير قدراته في المعركة المتصلة الحلقات ضد كل محـاولات الهيمنة والتسلط الممقوت الذي يسعى لخلق مناطق نفوذ جديدة لا تتكافأ فيـها المواقـف والأفعال في وقت انحسر فيه الصراع بين الإستراتيجيات العالمية وتحولت شعوب الدول الكبرى إلى قوة هادرة مسيطرة على مقدرات وجودها وعلى كيانات تمتلك حرية القرار في أيديها وتدير شئون تطـورها في حـرية واستقـلال بعد نضال عتيق وعنيـد دون لين أو مساومة .

١٠- تنسيق الجهود الشعبية ورفع درجة التوحد بين الشعوب الشقيقة والصديقة في مواجهة حادة وحاسمة ضد الصهيونية والتفرقة العنصرية من خلال تعاون راسخ وحميم مع سائر القوى المقاتلة من أجل التحرر والسلام في العالم .

١١- استثمار علاقات الشعب السوداني مع الشعوب الشقيقة والصديقة في ما يعينه على بناء الوطن وتنمية موارده وتشييد صرح مستقبل أبنائه تحقيقاً لأماله في التقدم والخلاص من قيود التبعية السياسية والاقتصادية وبما يوفر له القدرة على أن يؤدي دوره طليقاً ومؤثراً في دفع تيار السلام والرخاء في العالم .

١٢- حشد طاقات الشعب السوداني وتجنيدها في معركة المصير العربي بما يصل بالأمة العربية إلى مرافئ الحرية والوحدة والرفاهية .

١٣- تعزيز دور الشعب السوداني في مساندة الإنسان الإفريقي والشعوب الإفريقية في معركة التخلص من بقايا التسلط والاستقلال والسير معها نحو آفاق المستقبل المشرق في تكامل وتكافؤ وتلاحم أصيل .

١٤- كشف كل المحاولات التي تعمد إلي تشتيت الشعوب الشقيقة والصديقة وتعمل على صرفها عن التقدم والبناء والتصدي لكل المحاولات التي تفتعل التنازع والتطاحن والذي لا يفيد إلا الاعتداء .

١٥- تعزيز مبادرة عدم الانحياز بما يتكافأ مع الثورة الحديثة التي يشهدها العالم في الزمان الحاضر وتطويرها بمفهوم جديد يتناسب مع آمال وطموحات الشعوب في دعم السلام العالمي وتوثيق روابط التعاون الإنساني .

١٦- تكريس النضال الوطني من أجل تحقيق أهداف التحول الإنساني الحديث والوصول بين أهدافه وأهداف الشعوب المحبة للحرية والسلام في بناء مجتمع إنساني عادل وخال من القهر والتسلط جدير بالحياة داخله .

من خلال قراءة الأغراض والأهداف يتضح بجلاء تأثير الحقبة التاريخية التي كتبت فيها هذه الأغراض والأهداف وتتمثل فيما يلي :

١- الحالة الثورية لنظام الإنقاذ كانتقال من نظام تعددي إلى نظام ثوري يؤمن بحتميات التغيير ومصائره ولذلك جاء النص مشحوناً بالعواطف الثورية ومتباعداً نوعاً ما من الموضوعية وقراءة الواقع قراءة صحيحة وسليمة فقد صدر النظام الأساسي للمجلس في الاجتماع الأول لدورة الانعقاد الأولى في أبريل ١٩٩١م أي بعد أقل من سنتين من قيام الثورة .

٢- كذلك صادف صدور النظام الأساسي للمجلس مرحلة التحول في الأوضاع الدولية من الحرب الباردة إلى القطبية الأحادية في ظل النظام العالمي الجديد، لذلك جاءت

الأغراض والأهداف مبشرة "بخروج الإنسان من دوائر التسلط العقائدي واستقلال قدراته إلى خير المشاركة الفاعلة في إطار فكري وأخلاقي" وهو أمر يبدو في ظل التحــولات الدولية الراهنة بعيد المنال.

٣- جاءت الفكرة متأثرة بتجربة الدول الاشتراكية في مجال مجالس الصداقة والســلام والأدبيات الاشتراكية من مثل : " قدرات الشعــوب في البقــاء والالتصاق بالأرض " ، " لتحقيق التقدم والنماء المخطط لها " ، " تتحــقق بهــا مجتمعــات الكفــاية والعدل " ، " بعد نضال عتيق وعنيد دون لين أو مساومة ... الخ ".

لتحقيق هذه الأهداف عمل مجلس الصداقة الشعبية لتطوير العلاقات السودانية التشادية فقد أعطى المجلس اهتماماً خاصاً بهذه العلاقة وتمثل ذلك في مشاركة المجلس تقريباً فــي معظم المباحثات التي تمت بين البلدين هذا فضلاً عن عدد من الزيارات قام بها مســئولو المجلس لتشاد في مناسبات مختلفة ، ونورد فيما يلي نماذج مــن أداء بعــض مؤسســات التواصل الشعبي التي قامت لتحقيق الأهداف الواردة في النظام الأساسي لمجلس الصداقــة الشعبية العالمية.

الفصل الأول

المـؤســـــسات الاجتمـاعـــية

المبحث الأول : جمعية الصداقة السودانية التشادية .

المبحث الثاني : الجالية التشادية بالســــــودان .

المبحث الأول : جمعية الصداقة السودانية التشادية :

تأسست جمعية الصداقة السودانية التشادية في أبريل ١٩٩٢م كواحدة من جمعيات مجلس الصداقة الشعبية العالمية وتسعى الجمعية لتحقيق الأهداف الواردة في النظام الأساسي للمجلس والتي سبق ذكرها في صدر هذا الباب .

كونت الجمعية مكتبها التنفيذي[1] ، أجازت خططها وبدأت عملها واستطاعت خلال الفترة من ١٩٩٢ وحتى ١٩٩٩م أن تحقق الآتي[2] :

١- مراجعة خطط وبرامج المنظمات والمؤسسات السودانية العاملة في تشاد وتوجيه تلك الخطط بما يساعد على تحقيق أهداف الدبلوماسية الشعبية وعنيت الجمعية على وجه الخصوص بتطوير عمل مدرسة الصداقة السودانية ومنظمة الدعوة الإسلامية والوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة والنادي السوداني والجالية السودانية وقد ساهمت هذه المؤسسات في تطوير العلاقات السودانية التشادية وساهمت في تعميق الفهم بمشروع السودان الحضاري وفي مواقع مختلفة من البحث تفصيل لذلك . ولم يقف دور الجمعية فقط في مراجعة الخطط ولكن تعداه لمتابعة بعض الأعمال التي تخص هذه المؤسسات مع المؤسسات الحكومية ومع رئاسات هذه المؤسسات وعقدت في سبيل ذلك العديد من الاجتماعات لتذليل الكثير من العقبات ، بل ساهمت في حل عدد من الإشكالات التي وقعت بين هذه المؤسسات وبعض الجهات داخل تشاد .

٢- الاهتمام بموضوع قبول طلاب من تشاد في المعاهد والجامعات السودانية وقد بذلت الجمعية في ذلك جهوداً مقدرة إذ استطاعت أن تؤمن قبول أعداد كبيرة من الطلاب في المدارس الثانوية والجامعات والدراسات العليا ويقرب عدد هؤلاء الطلاب من الألف طالب خلال المدة من ١٩٩٨ إلى ١٩٩٩م وينتشرون في مختلف الجامعات والمعاهد السودانية ويدرسون في مختلف التخصصات (الطب ، الهندسة ، الحاسوب ، القانون ، الشريعة ، التربية ... الخ) واستطاعت الجمعية متابعة حصول عدد من التشاديين على درجة الدكتوراه من الجامعات السودانية يشكل عدد منهم جزء مهماً من هيئة التدريس بالجامعات التشادية الآن .

٣- الاهتمام بمؤسسات التعليم العربي والإسلامي في تشاد وفي هذا المضمار كان لجمعية الصداقة فضل اقتراح تطوير مركز الملك فيصل في أنجمينا لجامعة الملك فيصل وساهمت الجمعية في إرسال الخبراء الذين ساهموا في وضع التصورات الأولية لقيام الجامعة حيث شارك د. يوسف سليمان الطاهر ، ود. جعفر ميرغني ، ود. عبدالله

---

[1] وقع الاختيار على كاتب هذا البحث ليكون رئيساً للجمعية وظل يشغل ذلك الموقع منذ تاريخه وحتى كتابة هذا البحث .

[2] راجع مجلس الصداقة الشعبية العالمية – الملف رقم م ص ش ع/١/ب/٣/١/س .

حمدنا الله وآخرون في فترات متعاقبة على إعطاء وجهات نظرهم في أمثـــل الطـــرق لتأسيس وإدارة الجامعة ، وعكفت الجمعية مع إدارة الجامعـــة للعمـــل علـــى تسـهيل اتصالاتها بالجامعة السودانية والعربية لاكتساب التجارب وتبادل الخبرات . وســـاهمت الجمعية في كل مراحل التأسيس حتى قامت الجامعة والتي تضم الآن كليتا التربية واللغة العربية ومعهداً للحاسوب وعمادةً للدراسات العليا وأصبحت أول جامعة في تشاد تدرس باللغة العربية وتمنح درجات الليسانس والدبلوم العالي والماجستير وتســتعد الآن لمنــح درجة الدكتوراه وبها عدد مناسب من الأساتذة المؤهلين وأتاحت الجمعية عبر صلاتـــها بالمؤسسات التعليمية والبحثية في السودان أن تنشر لعدد من الأســـاتذة التشـــاديين فـــي الدوريات العلمية السودانية . وكان من أميز ما قدمه الأســـاتذة الســـودانيون العـــاملون بجامعة الملك فيصل بأنجمينا على قلة عددهم – أن اهتموا بربط العلوم والمعرفة التـــي يدرسونها بالبيئة التشادية وقيمها وآدابها ، فقد استطاع د.عبدالله حمدنا الله إدخال برنامج دراسة الأدب العربي التشادي في مناهج الدراسة الجامعية لأول مرة في تاريخ تشاد .

٤- الاهتمام بالجمعيات الثقافية في هذا الصدد استطاعت الجمعيـــة أن ترعـــى تأســـيس جمعية مثقفي اللغة العربية التي كان لها دور مقدر في لفت انتبـــاه المجتمـــع التشـــادي لحقيقة أصوله الثقافية العربية وتبنت حملة واسعة بدعم حكومي لإقرار اللغـــة العربيـــة كلغة مساوية للفرنسية واثبات ذلك في الدستور بل تعدى نشاطها مجرد الإطار النظـــري لتطبيق عملي في الاهتمام باستخدام اللغة العربية في كافة المعاملات ، كما اســـتطاعت الجمعية أن توثق صلاتها مع النادي الثقافي الاجتماعي والنادي الثقافي الشعبي وغيرهـــا وذلك لتطوير الأدب التشادي شعراً ونثراً وقصة وترعى الجمعية هذا النشـــاط بـــالعمل على نشرة وتعريف العالم به .

٥- توثيق الصلات بالمجلس الأعلى للمسلمين وهو مؤسسة دينية مهمة جداً في المجتمع التشادي وعلاقة الجمعية بها تتمثل في تبادل الآراء والزيارات وتأهيل الكوادر والتنسيق في قبول الطلاب وتطوير مؤسسات المجلس وأهمهما جامعة الملك فيصل ، هذا فضـــلاً عن التنسيق المستمر بين نشاط المجلس والمؤسسات السودانية العاملة في تشاد .

٦- التوصية بتأسيس فرع للبنك الزراعي السوداني في تشاد ، وجاءت فكـــرة تأســـيس البنك كتطوير للدعم الذي كان يقدمه البنك الزراعي لتشاد واقترحت الجمعية وقتها علـــى السيد بدرين طه مدير البنك الزراعي بتحويل ذلك الدعم إلى رأس مال ليؤسس به فـــرع للبنك الزراعي يساهم في تمويل الزراعة في تشاد ويعمل على تقديم خدمـــات متكاملـــة تشمل الإرشاد الزراعي والتدريب وتوفير مدخلات الإنتاج والمساهمة في إدارة العمليـــة الزراعية وقد زاول الفرع نشاطه في ١٩٩٧/٨/٦يعتبر من أنجح فروع البنوك ويقـــابل نشاطه بالرضا التام من أفراد المجتمع التشادي .

٧- المساهمة في تحقيق المصالحة بين مختلف الفصائل التشادية ولقد كان للجمعية شرف المشاركة في تقريب وجهات النظر بين الحركة الوطنية للإنقاذ (MPS) وكل من الجبهة الوطنية التشادية (FNT) وحركة التنمية والديمقراطية (MDD) وفصائل أخرى صغيرة كما ساهمت في معالجة بعض التوترات التي وقعت داخل التركيبة الحاكمة في تشاد فقد قادت الجمعية مبادرة الإصلاح بين الرئيس دبي ونائبه مالدوم بادا عباس عام ١٩٩٢م ومبادرة الإصلاح بين دبي ومساعدة عباس كوتي . قامت الجمعية بكل هذا النشاط بالتنسيق مع الجهات الرسمية والشعبية في كل من السودان وتشاد وقد استطاعت الجمعية أن تحرز بعض النجاح في مساعيها وطبيعة الجمعية باعتبارها كياناً شعبياً كان توفر لها حركة أفضل من تلك التي تطلبها المؤسسات الرسمية وتعقيدات العمل الدبلوماسي الرسمي، هذا فضلاً عن مشاركة الجمعية في كثير من المباحثات الرسمية التي تمت بين وفود من البلدين ، فأول وفد بعد قيام الحركة الوطنية للإنقاذ ووصولاً إلى أنجمينا كان بمبادرة من الجمعية وكان الوفد برئاسة الأمين العام لمجلس الصداقة السودانية التشادية وآخرون وقد حقق نجاحاً كبيراً في أكتوبر ١٩٩٩م كان بمبادرة من جمعية وادي هور الخيرية وجمعية الصداقة السودانية التشادية قاد الوفد رئيس جمعية - وزير المالية بولاية الخرطوم وكان رد الجانب التشادي زيارة للخرطوم بوفد ترأسه السيد محمد صالح آدم جرو المستشار الخاص للرئيس التشادي إدريس ديبي يرافقه عمدة بلدية أنجمينا .

٨- قادت الجمعية عدداً من الوفود الصحية لتقديم الخدمات العلاجية والوقائية للشعب التشادي .

٩- قادت الجمعية عدداً من الوفود الفنية والرياضية لزيارة تشاد وتقويم عروضها هناك.

١٠- ترعى الجمعية تنفيذ العديد من الاتفاقات ويقوم رئيس الجمعية حالياً بوظيفة مقرر اللجنة الوزارية المشكلة بموجب القرار الجمهوري رقم (١٤) لسنة (٩٩) بتاريخ ١٩٩٩/١١/٢١م وذلك للإشراف على دعم نشر اللغة العربية في تشاد وهي لجنة برئاسة وزير التعليم العالي وعضوية كل من وزير التربية والتعليم العام الاتحادي ووزير التربية بولاية الخرطوم ووزير المالية بولاية الخرطوم وآخرين .

وتتطلع الجمعية الاستفادة من كل الطاقات الشعبية والرسمية لتقوية العلاقات بين البلدين ولكن تواجه الجمعية بمشاكل عدة تتمثل في الآتي :

١- تفتقر الجمعية للكادر المتفرغ وتحول المشغوليات الخاصة لأعضاء الجمعية دون الاضطلاع بمهامهم في تنشيط عمل الجمعية .

٢- لا تتوفر للجمعية مصادر ثابتة لتمويل نشاطها ، الأمر الذي يجعل تحركها رهيناً بتوفير الدعم من جهات أخرى .

ورغم ذلك فإن الجمعية تحظى بثقة كبيرة من السلطات الرسمية في السودان وتشاد وتتمتع بعلاقات طيبة مع كبار المسئولين في البلدين وتحظى باستجابة متكررة من هؤلاء المسئولين لتنفيذ ما توصي به لجان الجمعية .

وقد تيسر للجمعية أن تأسس بعض الفروع في الأقاليم السودانية المتاخمة لتشاد حيث للجمعية فرع في منطقة الطينة بشمال دارفور وفرع بالجنينة ، غير أن الصلة بهذه الفروع تضعف وتقوي حسب قدرات مستوى هذه الفروع المالية والإدارية .

وقد ساعد على تنسيق العمل بين البلدين دخول جمعيات أخرى مماثلة مثل جمعية وادي هور المسجلة في السودان والتي تعمل في كافة المجالات الخيرية ولها اعتراف لدي السلطات التشادية وهي تمثل واحدة من أهم الأذرع في العمل الشعبي إذ تشكل عضويتها من بعض الأسر المشتركة بين السودان وتشاد .

وكانت طفرة التنسيق الشعبي تأسيس جمعية مقابلة لجمعية الصداقة السودانية التشادية وهي جمعية الصداقة التشادية السودانية والتي اختير السيد محمد جرمة خاطر عمدة أنجمينا الأسبق رئيساً لها وتم تكوينها ١٩٩٨م بحضور الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية العالمية السيد أحمد عبدالرحمن محمد وشارك وفد من الجمعية في احتفالات الذكرى العاشرة لثورة الإنقاذ الوطني وتضمن برنامج الوفد مباحثات لتطوير العلاقات الشعبية بين البلدين .

المبحث الثاني : الجالية التشادية بالسودان :

إن الوجود التشادي في السودان قديم وردت الإشارة إليه في ثنايا هذا البحث، ويعتبر السودان جاذباً للتشاديين لعدة أسباب :

١- فالسودان يشكل مساحة مهمة في طريق الحج إلى الأراضي المقدسة .
٢- والسودان تشهد عهوده كلها بتسامح ديني وقبلي يرحب بالوافدين ويعمل على استيعابهم في تركيبته الاجتماعية .
٣- والسودان يتمتع بثروات طبيعية هائلة مع قلة عدد السكان ، الأمر الذي يقلل حاجة الوافدين إلى التنازع في الحيازة والملكية مع الآخرين في إضافة إلى أن الأعراف القبيلة تعترف بظواهر التحالف والولاء بين المجموعات المقيمة والوافدة .
٤- والسودان بانفراج أجوائه السياسية كان دائماً ملاذاً للتشاديين الذين ضاقوا بالاستعمار والأنظمة السياسية المتعاقبة في بلادهم .

هذه الهجرات المتكررة جعلت الوجود التشادي في السودان وجوداً كثيفاً وجاذباً بل وطبيعياً لأعداد أخرى من التشاديين بحكم القرابة وصلت الرحم .

وتعتبر أكبر هجرة جماعية للسودان حدثت في مطلع القرن العشرين ، بعد انهيار دولة وداي على يد الفرنسيين والمعركة الشهيرة التي دارت بين علماء وداي والقوات الفرنسية وأعدم على أثرها الفرنسيون أكثر من أربعمائة من العلماء بالساطور وعُرفت هذه المعركة في التاريخ بمعركة الكبكب وكانت في ٢٧ محرم ١٣٣٦هـ الموافق ٢٥يناير ١٩١٧م .

ثم جاءت بعد ذلك خلافات المعارضة التشادية مع تمبلباي – أول رئيس لجمهورية تشادية بعد الاستقلال – دافعاً قوياً للهجرة نحو السودان بطلب النصرة باعتبار أن قوى المعارضة الأساسية تتشكل من أبناء المسلمين الذين تظلموا من تحول السلطان السياسي إلى النصارى بعد خروج الاستعمار الفرنسي من تشاد .

يقدّر ممثل الجالية التشادية[1] في المؤتمر الوطني المستقل الذي عقد بأنجمينا في يناير ١٩٩٥م عدد التشاديين بالسودان بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة وقال في ذلك أمام المؤتمر المذكور ما يلي :

"أن الجالية التشادية بالسودان التي يبلغ تعدادها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة أي <u>أكثر من نصف سكان تشاد بالداخل</u> هي أكبر جالية تشادية بالخارج ، وهناك أسباب جوهرية دفعت المواطنين للهجرة خارج أرض الوطن منذ عشرات السنين ، أهمها عدم الأمن والاستقرار والحالة الاقتصادية المتدهورة ، وهؤلاء المواطنين أنجبوا أطفالاً تربوا وتعلموا خارج أرض الوطن ، هؤلاء الأبناء المولودون في السودان هم تشاديون لهم نفس الحقوق والواجبات الوطنية وليسوا سودانيين كما يدعي البعض"[2] .

وبتحليل هذا النص نجد ما يلي :

١– كان هذا الخطاب موجهاً لأعضاء المؤتمر الوطني المستقل الذي أوكلت إليه مهمة تحديد الملامح السياسية لتشاد بعد قيام الحركة الوطنية للإنقاذ بقيادة إدريس دبي بالاستيلاء على السلطة في تشاد .

٢– كانت هناك أصوات قوية في تشاد تتهم الوضع الجديد في تشاد بالانتماء للسودان بل ذهب بعضهم إلى أن التغيير في تشاد قامت به مجموعة سودانية وتعالت الأصوات بإقصاء أولئك السودانيين الذين استولوا على السلطة ولذلك كانت عبارة الخطاب " هؤلاء الأبناء المولودون في السودان هم تشاديون لهم نفس الحقوق والواجبات وليسوا سودانيين كما يدعي البعض" رداً على تلك الاتهامات .

---

[1] أنظر يوسف بركة – خطاب الجالية التشادية بالسودان – دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة – الخرطوم .

[2] يوسف بركة – المرجع السابق ، ص٥ .

٣- أن تقدير أعداد التشاديين بالسودان بثلاثة ملايين يأخذ في اعتباره أبناء تلك المجموعات التشادية التي دخلت السودان واندمجت فيه وأصبح معظم أعضائها مواطنين سودانيين يتمتعون بنفس حقوق المواطن السوداني كما يشملون التشاديين الذين وفدوا مؤخراً والذين يحتفظ معظمهم بالجنسية التشادية بجانب الجنسية السودانية.

٤- تحتفظ الجالية التشادية بالسودان بعلاقات قوية مع الوطن الأم تشاد بحكم تأثيرها المستمر في مجريات الأحداث في تشاد وفي ذلك يقول ممثل الجالية في المؤتمر الوطني المستقل في خطابه أمام المؤتمر :

" إن الجالية التشادية بالسودان قد لعبت دوراً سياسياً هاماً في الصراع السياسي في تشاد بعد الاستقلال وفي هذا المجال يجب أن تتذكروا أن ثورة فرولينات تأسست مدينة نيالا السودانية عام ١٩٦٦م ، وكانت الجالية التشادية بالسودان هي المحرك الرئيسي لهذه الثورة ، كما يجب أن تتذكروا أيضاً أن قوات الشمال (فان) بقيادة حسين هبري دخلت أنجمينا واستولت على السلطة عام ١٩٨٢م عبر البوابة السودانية وكان ذلك بدعم وتأييد الجالية التشادية بالسودان وبالأمس القريب جاءت الحركة الوطنية للإنقاذ بقيادة العقيد إدريس دبي أسقطت نظام الدكتاتور هبري عبر البوابة السودانية نفسها وكان ذلك بدعم وتأييد الجالية التشادية بالسودان فهي تحرك الأحداث السياسية في تشاد وأن رياح التغيير دائماً وأبداً تهب على أنجمينا من ناحية الشرق "[1] .

في مطلع الستينات أسس التشاديون بالسودان تنظيماً ثقافياً اجتماعياً باسم " الاتحاد العام لأبناء تشاد بالسودان " وكان الاتحاد برئاسة المرحوم حسن أحمد موسى .

عندما قام تمبلباي بحل الأحزاب والتضييق على القادة المسلمين اتصل بعض قادة حزب الاتحاد الوطني التشادي بالجالية التشادية بالسودان فقد كتب محمد الباقلاني إمام خطاباً للسيد هجرو آدم السنوسي وكان ضابطاً بالجيش السوداني وهو من أبناء الجالية التشادية يشرح له الأوضاع في الساحة التشادية . وبما أن الخطاب كان باللغة الفرنسية وأبناء الجالية التشادية بالسودان لا يتكلمون الفرنسية فيروي هجرو السنوسي في مذكراته أنه عندما وصلته رسالة الباقلاني وكانت بالفرنسية حمل الرسالة لرئيس الاتحاد العام لأبناء تشاد بالسودان حسن أحمد موسى واتفقا على أن يعرضا الرسالة على الدكتور حسن الترابي الذي كان قد لمع اسمه في أحداث ثورة أكتوبر ١٩٦٤م فترجم لهما الرسالة وكتب لهما رداً للرسالة طلبا فيه أن يرسل الباقلاني شخصاً للسودان ليتولى شرح الأحداث بنفسه لأعضاء الجالية[2] .

---

[1] يوسف بركة – المرجع السابق نفسه .

[2] مقابلة مسجلة مع العقيد هجرو السنوسي – أنجمينا ١٩٩٢م . كما راجع يوسف بركة – تشاد – الدولة العربية الجهولة – مرجع سابق – ص١١٥ .

استجاب الباقلاني شخصياً لدعوة الجالية وقدم إلى السودان ونزل بحي الديوم الشرقية بمنزل أحد أعضاء الجالية وهو السيد حسن جبارة وبعد قيامه بشرح الأحداث لأعضاء الجالية ، شرع فوراً في تأسيس فرع حزب الاتحاد الوطني التشادي وتكونت أول خلية من أعضاء الجالية برئاسة الشيخ الشريف محمد صغيرون وعضوية هجرو السنوسي وحسن جبارة وهارون أيوب وعبدالكريم الجابري ومطر نصر وآخرين[1] .

غير أن حركة الباقلاني هذه أحدثت شرخاً في صفوف الجالية حيث شعر رئيس الاتحاد العام لأبناء تشاد حسن أحمد موسى أن حركة الباقلاني هذه ستسحب البساط من تحت أرجل قيادة الاتحاد فبادر الاتحاد بتكوين خلية ثورية باسم " جبهة تحرير تشاد" وبدأت الخلية نشاطاً عسكرياً كان الأول من نوعه في تاريخ الصراع التشادي – التشادي ، حيث قامت هذه الخلية بهجوم على مركز إداري حدودي عام ١٩٦٥م وإثر احتجاج رسمي تشادي على هذا المسلك اضطرت الحكومة السودانية لاعتقال رئيس الاتحاد العام لأبناء تشاد ، وبدأت بذلك حقبة جديدة من تاريخ الجالية التشادية في السودان ، إذ بادر الباقلاني بدعوة أعضاء الاتحاد لاجتماع مشترك في نيالا عام ١٩٦٦م وبعد التفاوض توصل الطرفان إلى إنشاء كيان مشترك بين جبهة تحرير تشاد المتفرعة من الاتحاد العام لأبناء تشاد من جانب والاتحاد الوطني التشادي من جانب آخر على أن يسمى هذا الكيان الجديد " الجبهة الوطنية لتحرير تشاد "ويرمز لها اختصاراً " بفرولنيات " وهي التي قادت الكفاح المسلح وحولت كل نشاط الجالية بعد ذلك لنشاط سياسي عسكري[2] .

للجالية التشادية بالسودان نشاط آخر خلاف نشاطها السياسي ، فللجالية نشاط اجتماعي يتمثل في الروابط القبلية لأبناء تشاد كروابط القرعان والبلالة هذا فضلاً عن الروابط القبلية المشتركة لقبائل الزغاوة والمسيرية والتعايشة والبني هلبة والهبانية والصليحاب (البرقو) وغيرهم .

كما للجالية نشاط ثقافي يتمثل في رعاية الجالية لاتحاد الطلاب والروابط التابعة له ، ولاتحاد الطلاب دار تم تأسيسه عام ١٩٩٣م بدعم من جمعية الصداقة السودانية التشادية ويقوم الاتحاد بعقد الندوات والمهرجانات الثقافية ويقيم الاحتفالات بالمناسبات الوطنية والدينية ، هذا بالإضافة إلى المساهمة في حل مشكلات أعضائه .

---

[1] يوسف بركة المرجع السابق ، ص١١٥ .

[2] راجع الباب الرابع المبحث الثالث .

كذلك ترعى الجالية نشاط اتحاد المرأة التشادية وروابط تجمع الشباب التشادي بالسودان .

وللحركة الوطنية للإنقاذ التشادية مندوبية بالسودان ترعى عضوية الحركة وتباشر نشاطاً سياسياً اجتماعياً ثقافياً بالتعاون مع السفارة التشادية بالخرطوم .

الوجود التشادي بالسودان يكاد يتوزع على كل أنحاء السودان فبمثل وجود التشاديين في الخرطوم والجزيرة وأواسط السودان يوجدون كذلك في أطراف السودان البعيدة ، فقد التقى الباحث بالسيد عبدالرحمن عامر والذي كان يشغل منصب أمين الشئون الخارجية بالحركة الوطنية للإنقاذ وعلم منه أن مجموعة كبيرة من التشاديين تقيم في منطقة حلفا القديمة بشمال السودان ولطول إقامة تلك المجموعة فإن عدداً كبيراً من أفرادها أصبح يجيدون لغة النوبة من بينهم السيد عبدالرحمن عامر نفسه والذي شهد الباحث بنفسه خلال زيارة سابقة لأنجمينا أن السيد عبدالرحمن عامر كان يتحدث مع أحد الموظفين بالسفارة السودانية من أبناء حلفا واسمه عبدالرحمن أيضاً باللغة النوبية بطلاقة . أما وجود مجموعات من التشاديين في ولايات دارفور وكردفان فلا تكاد تخطئه العين ، وتعتبر المناطق والمشاريع الزراعية الكبرى مثل الجزيرة والرهد وكنانة وعسلاية وغيرها من مشاريع السكر مناطق جذب قوية للعمالة التشادية المقيمة والمتنقلة ، وعليه تعتبر مساهمة الجالية التشادية في تطور المشاريع الزراعية بالسودان مساهمة فعالة وذات أثر في الإنتاج والإنتاجية .

الفصل الثاني

المؤســـــسات الثقافـــية

المبحث الأول : مدرسة الصداقة السودانية .

المبحث الثاني : النادي السوداني في تشـــاد .

في زيارة للرئيس السوداني الأسبق جعفر محمد نميري لتشاد علـــى عـــهد الرئيـــس التشادي الأسبق فرانسوا تمبلباي طلبت الجالية السودانية بافتتاح مدرسة لتدريـــس أبنـــاء الجالية وأبناء الأسر التشادية وأصدر الرئيس نميري أوامره بفتح المدرسة وكان ذلك فـــي فبراير ١٩٧١م كمدرسة ابتدائية والتزمت رئاسة الجمهورية السودانية بكل تكاليف التشـييد للمدرسة في حين التزمت الجالية السودانية ببناء المدرسة التي صـدقت لهـا الحكـــومة التشادية بقطعـــة أرض تبلـــغ مساحتها حوالـــي ١٥٠٠٠م[٢] (١٥٠ × ١٠٠م[٢]) واكتمـــل تشـــييدها بصـــورة نهـــائية عام ١٩٩٦م[١] .

انتدبت الحكومة السودانية مديراً للمدرسة وعدداً من الأساتذة واعتبرت العاملين فـــي المدرسة جزءاً من بعثة السودان الدبلوماسية بأنجمينا ، ظلت المدرسة فـــي الفـترة مـــن ١٩٧١م وحتى ١٩٧٦م مدرسة ابتدائية حتى أُلحق بها قسم متوسط عام ١٩٧٧م أما القسم الثانوي فقد فتح عام ١٩٩٢م .

الهدف من إنشاء هذه المدرسة يتمثل في

١- أداء رسالة تربوية تعليمية ذات مردود ثقافي عموماً وسياسي فـــي المحصلـــة النهائية[٢] وذلك بقبول طلاب من أبناء الجالية السودانية وأبناء الأسر التشادية .
٢- تعليم ونشر اللغة العربية وفق المنهج الدراسي السوداني .
٣- تحقيق التواصل الثقافي والحضاري بين البلدين .
٤- سد النقص في مجال التعليم العام لأبناء الشعب التشادي .

وتقوم المدرسة بالإضافة إلى نشاطها التعليمي والتربوي بنشاط إضافي يتمثـــل فـــي بعض المرافق الملحقة بالمدرسة وتتمثل هذه المرافق في الآتي :

١- مســـــجد .
٢- عيادة طـــبية .
٣- مســـــــرح .
٤- ملاعب رياضية (قدم ، طائرة ، سلة) .
٥- روضة أطفال .

تستوعب المدرسة قرابة الـ (١٥٠٠) تلميذاً ويعمل بها قرابة الأربعين من المعلميـــن والمعلمات بعضهم بالانتداب من وزارة التعليم العام السودانية والبعض الآخر بـــالانتداب من وزارة التعليم التشادية والبقية تعيين محلي .

---

[١] ملف مجلس الصداقة الشعبية العالمية .

[٢] ملفات وزارة الخارجية السودانية .

يجلس تلاميذ المدرسة للحصول على الشهادتين الأساس والثانوي السودانية وتوفر الحكومة السودانية الكتب والمراجع للتلاميذ والأساتذة .

خرجت المدرسة عدداً كبيراً من التلاميذ تمكن بعضهم من مواصلة تعليمهم الجامعي بالجامعات السودانية وانخرطوا بعد ذلك في الحياة العامة التشادية حيث تقلد عدد منهم مناصب مرموقة في المجتمع التشادي .

للمدرسة مجلس آباء التلاميذ والتلميذات له مساهمات فعالة في تسيير أعمال المدرسة، وللمدرسة كذلك مجلس إدارة مكون على النحو التالي :

١- السفير السوداني بأنجمينا	رئيساً .
٢- دبلوماسيان من السفارة	أعضاء .
٣- رئيس الجالية السودانية بأنجمينا	عضواً .
٤- أمين الجالية	عضواً .
٥- أمين مال الجالية	عضواً .
٦- مديرو مكتب منظمة الدعوة بأنجمينا	عضواً .
٧- مدير المنظمات الطوعية السودانية بأنجمينا	عضواً .
٨- مدير فرع البنك الزراعي بأنجمينا	عضواً .
٩- مدير مكتب الخطوط الجوية السودانية بأنجمينا	عضواً .
١٠- الدكتور عبدالله حمدنا الله	عضواً .
١١- الدكتور عبدالحميد بخيت	عضواً .

يضطلع المجلس بوضع السياسات العامة لنشاط المدرسة ويشرف على تنفيذ الخطط والبرامج ويساعد في حل المشكلات والعوائق التي تواجه مسيرة المدرسة .

تواجه المدرسة مشاكل عديدة أهمها :

١- إن مبادرة تأسيس المدرسة من رئاسة الجمهورية جعل مهمة الإشراف والصرف عليها مربوطة بمؤسسة الرئاسة وهذا اضعف المتابعة من قبل الجهات المختصة كوزارة التعليم والمالية وهذه الوضعية أفرزت تمزقاً في تبعية المدرسة ، وأساتذة المدرسة يصنفون من حيث هيكلهم الراتبي كدبلوماسيين ومن حيث مهامهم الفنية كأساتذة يتبعون لوزارة التعليم الاتحادية ويتبع الصرف على المدرسة لوزارة المالية الاتحادية ويشرف على تنظيم امتحانات الشهادتين الأساس والثانوي وزارة التربية بولاية الخرطوم نسبة لأن هذه الوظيفة تقوم بها الولايات داخل السودان ولا يوجد جهاز اتحادي يرعى هذا النشاط فتم الاتفاق على أن ترعاه ولاية الخرطوم هذه الوضعية جعلت إدارة المدرسة بحاجة إلى رحلات مكوكية لتأمين احتياجات المدرسة من حيث الكادر البشري والتمويل المالي والإشراف الفني والمتابعة الإدارية اليومية .

٢- تبلغ تقديرات ميزانية المدرسة السنوية حوالي (٤٥٠) ألف دولار[1] وهو مبلغ ضخم مقارناً بميزانية أي مدرسة تشادية أو سودانية ، ورغم أن هذا المبلغ لا يساوي شيئاً كهدية للشعب التشادي من الشعب السوداني إلا أن قدرات وزارة التعليم السودانية تقف عاجزةً عن الوفاء بهذا الالتزام السنوي ، وترتب على ذلك التأخير المستمر في سداد مرتبات المعلمين وتقلص عدد الأساتذة المنتدبين من السودان وتأخر وصولهم لمحطة عملهم ، ورغم أن المدرسة تحصّل مصروفات دراسية من التلاميذ إلا أنها لا تشكل نسبة تذكر من جملة الميزانية هذا فضلاً عن ضعف قدرات الأسر التشادية في الوفاء بدفع هذه المصروفات كاملة .

٣- مناهج التعليم التي يتلقاها التلاميذ تحول بينهم وبين مواصلة دراستهم في بلادهم وتكون قبلتهم دائماً هي مواصلة الدراسة في الجامعات السودانية وهذا متعذر للكثير من التلاميذ سيما التلميذات منهن ورغم أن جامعة الملك فيصل بأنجمينا بدأت تساهم في تقديم بعض الحلول إلا أن الوقت ما يزال مبكراً للوفاء باحتياجات الأعداد المتزايدة من التلميذات لمواصلة دراساتهم العليا .

وقد اقترحت عدة حلول لهذه المشاكل منها :

١- ضرورة التحديد القاطع لتبعية المدرسة لإحدى الجهات الحكومية لسهولة المتابعة ولازال الأمر موضع الدراسة بين الحكومة الاتحادية وحكومة ولاية الخرطوم لمعالجة الأمر .

٢- بالنسبة للتمويل اقترح الهيكل الراتبي للمعلمين ليكون بمقدار الجهة المشرفة على المدرسة الوفاء به بالإضافة إلى إحسان توظيف عائد المصروفات الدراسية للتلاميذ ، وقد اقترح أن تتولى عدة جهات تقسيم الميزانية بنسب عادلة على بعض الجهات (وزارة المالية ، الرسوم الدراسية ، الحكومة التشادية ، وزارة التربية)[2].

٣- وحتى يتمكن تلاميذ المدرسة من مواصلة تعليمهم فقد افترضت جمعية الصداقة السودانية التشادية البدء في إعداد الدراسات اللازمة لفتح قسم عال بالمدرسة يبدأ بمعهد إعداد معلمين يتطور إلى كلية تربية ثم تضاف له بعض الكليات ويمكن أن تتبع هذه الكليات لإحدى الجامعات السودانية[3].

---

[1] ملفات وزارة الخارجية السودانية .

[2] تقرير اللجنة الخاصة بوضع تصور حول مستقبل المدرسة السودانية التشادية المشكلة بموجب القرار الوزاري رقم (٤) الصادر من وزير الدولة بالمالية بتاريخ ١٩٩٧/٨/٨م .

[3] مقابلة مع بروفسير/ إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي السابق بمكتبة الخرطوم ديسمبر ١٩٩٩م .

المبحث الثاني: النادي السوداني في تشاد:

بمبادرة من السفير السوداني بأنجمينا السيد محمد عثمان درار تم الاتفاق بين الجالية السودانية والسفارة على إنشاء ناد سوداني وكونت لجنة تمهيدية للدار قامت بجمع بعض التبرعات من الجالية وتم استئجار منزل كأول مقر للنادي السوداني بعد تصريح من وزير الداخلية التشادية السيد عبدالرحمن غزو وكان ذلك في يناير ١٩٩٥م .

تضافرت جهود عدد من الجهات لإحياء النادي وفي زيارته لأنجمينا في مايو ١٩٩٨م تبرع الرئيس السوداني عمر حسن أحمد البشير للجالية السودانية بمبلغ خمسين ألف دولار لشراء قطعة أرض ليبنى عليها مقر النادي الجديد ونشطت السفارة السودانية تحت رعاية السفير حاج الفكي هاشم لتأسيس الدار حتى افتتحت في يناير ١٩٩٩م .

تقوم فكرة النادي على الآتي[1] :

١- المساهمة في دعم علاقات الإخاء والصداقة بين الشعبية التشادي والسوداني من خلال زيارة التواصل بين السودانيين والتشاديين عبر أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي .

٢- إتاحة الفرصة للجالية السودانية والمواطنين التشاديين للإطلاع على أوضاع السودان ومنجزاته في مختلف المجالات .

٣- أن يكون النادي مركزاً لتجمع الجالية السودانية ولأنشطتها المختلفة بما يزيد روح التكامل والتضامن .

٤- أن يسهم في رعاية المواطنين السودانيين العابرين بتقديم المساعدة لهم .

ويضم النادي بالإضافة إلى نشاطه الاجتماعي :

١- مكتبة ثقافية .
٢- نادياً لمشاهدة القناة الفضائية السودانية .
٣- إدارة للبرامج الثقافية والدينية .
٤- فرقاً رياضية تعمل على تنظيم برامج رياضياً مختلفة .
٥- فرقاً فنية محلية واستضافة فرق فنية قادمة من الخرطوم .

هذا النادي يخدم الجالية السودانية التي يُقدر عددها في العاصمة أنجمينا بحوالي (١٥٠٠) مواطناً سودانياً يتمتعون بصفة الإقامة الدائمة ويمثلون قطاع التجار والعاملين وأعضاء البعثة الدبلوماسية ومعلمي المدارس السودانية والعاملين بالمنظمات التطوعية والشركات السودانية هذا فضلاً عن الأسر ذات الأصول المشتركة والمواطنين التشاديين .

---

[1] عثمان محمد عثمان ضرار – مشروع النادي السوداني – خطاب بالرقم س س ت/٢/٧/٢٠ بتاريخ ١٩٩٥/١/١٢م .

ومشكلة النادي أن ميزانيته تعتمد أساساً على اشتراكات الأعضاء التي غالباً ما لا تفي باحتياجات النادي الأساسية . والحل في أن تخصص للنادي ميزانية تلتزم بسدادها إحدى الجهات الحكومية وهو نشاط يقع غالباً تحت دائرة اختصاص وزارة الثقافة والإعلام ويمكن أن يتحول النادي إلى مركز ثقافي يضطلع بما تضطلع به المراكز الثقافية التابعة للبعثات الدبلوماسية .

الخلاصة :

تشكّل مؤسسات التواصل الشعبي ضماناً قوياً لازدهار العلاقات بين البلدين واستمرارها وهي تعبير طبيعي عن مدى قوة تلك العلاقة ، وهذا يدفعنا للنظر في مستقبل العلاقة بين البلدين إلى أنها تمتلك قوى كامنة تساعد على ضمان حيويتها وتجددها ، ولو أن ظروفاً سياسية غير طبيعية أدت إلى توتر يمكن أن ينشأ بين الحكومات فإن هذه القوى الكامنة ستعيد العلاقات قوية ومتينة علماً بأن المؤشرات الراهنة تشير إلى أن احتمال أي توتر بين الحكومات مستبعد على الأقل في الأمد القريب لاعتبارات كثيرة ، أهمها شعور القيادة في البلدين بضرورة إحكام التعاون والتنسيق لأن البديل للتعاون هو نوع من التوتر يصعب التكهن بعواقبه .

إن مؤسسات التواصل الشعبي رغم إمكاناتها المحدودة وبرامجها المتواضعة إلا أنها تلقى الرضا والقبول من الشعبين وذلك لفائدة هذه البرامج ولعدم وجود أي حساسيات بين الشعبين ولسهولة الاندماج ولذلك فإن تقوية هذه المؤسسات ودعمها يمكن أن يولّد مزيداً من الرضا وبالتالي يدفع بالعلاقات إلى آفاق أبعد آماداً أرحب، قد يكون التكامل أو حتى الاتحاد أحد احتمالاتها .

الخاتمــــــة :

- النتائـــج .
- التوصيات .

١- النتـــائج :

بدراسة العلاقات السودانية – التشادية خلال هذه الفترة الممتـــدة مـن ١٠٨٥ إلـى ١٩٩٩م (حوالي ٩١٤ عاماً) نخلص إلى الآتـــــي :

١. مظاهر التشابه والتماثل بين البلدين والشعبين قوية جداً لدرجة يصعب معها التفـرق بين السوداني والتشادي .
٢. أثر هذه العلاقة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الحزام السوداني عموماً ومنطقة حوض النيل وتشاد على وجه الخصوص أثر قوي وفعال .
٣. أثمرت هذه العلاقة تأسيس عدد من الممالك والدول ظل منهجها الإســـلامي علـى درجة عالية من الوضوح والتأثير .
٤. أهتم الاستعمار بهذه المنطقة اهتماماً شديداً وعمل على تقسيمها إلى استعمار فرنسـي في الغرب واستعمار بريطاني في الشرق هذا فضلاً عن تشكيل أبعاد ثقافية للجنـوب تختلف عن ثقافة الشمال إمعاناً في التجزئة والتقسيم وإحكاماً لسياسة (فرق تسد) .
٥. أدى هذا التقسيم إلى إرباك سياسيات الدعوة وبرامجها وانشغال كل بلد بأوضاعـــه الداخلـية وحـرم المنطقـة من الاضطلاع بدورها في محيطها الحيوي .
٦. رغم سياسيات الاستعمار التي اعد لها بعناية وجهز لها خلال الرحلات الاستكشـافية وطلب المذكرات والتقارير من الخبراء والمختصين ، إلا أن قوى التلاقي والتلاحـم بين الشعبين وحقائق الجغرافيا والتاريخ كانت أكبر من كل مخططـــات الاســتعمار فشهدنا الاستجابة المتبادلة إلى دعوات النصرة والتأييد لحشد طاقات شعوب المنطقـة للتعاون وتكامل الجهود .
٧. فطنت حكومات العهد الوطني ضرورة التواصل والتعاون بيـن شـعوب المنطقـة فتغاضت عن كثير من الأعمال التي تعتبر تجاوزاً للنظم والقوانين التي تحكم الـدول القطرية المعاصرة فرأينا جماعات وقيادات تتنقل بين بلد وآخر متمتعة بكل ما تسمح به النظم والقوانين من حقوق وواجبات . وأشار البحث إلى عدد من الحالات كنمـاذج فقط لتأكيد هذا الوضع المميز للعلاقات بين السودان وتشاد. طبيعة العلاقـات بيـن البلدين تتمتع بقدر عال من العفوية وعدم التعقيد وهذا يعطـي قـدراً مـن الأمـن والطمأنينة لمواطني البلدين ويمكن أن يساعد مستقبلاً على تقليل الهواجس الأمنية بل يمكن أن يدفع إلى مزيد من التواصل والتقارب لدرجة الاتحاد .
٨. تظل الثقافة العربية الإسلامية بنكهتها السودانية – التشادية عاملاً قوياً للترابط بيـن شعبي البلدين .
٩. تضطلع المؤسسات الشعبية بدور مقدر في إدماج الشعبين في بعضها ونتوقـــع أن يشكـل عائـد هذه المؤسسات واقعاً جديداً في مدى زمني ليس بالطويل .

٢- التوصيات :

إن فرصة دراسة العلاقات السودانية – التشادية جعلت الباحث يقف على معلومات مهمة لم يتيسر للباحث إيرادها جميعاً لأن بعضها يحتاج لمزيد من الدراسة والإستقصاء وبعضها يصلح لأن يكون توصيات لعدة جهات بإمكانها أن تضعها موضع القرار والتنفيذ والتوصيات هي :

١- إن المجال الحيوي للشعبين السوداني والتشادي في إطار الدعوة هو إفريقيا ، فينبغي أن ينال هذا الأمر اهتمام الدوائر العلمية والدعوية حتى تضطلع بمهمتها في هذا المجال ولا ينبغي أن يصرفها عن ذلك أي صارف .

٢- إن دراسة تاريخ المنطقة ينبغي أن يتم في إطار المهمة الرسالية لشعوبها ويلزم في هذه الحالة أن ينظر للمستقبل ويخطط له وفاء لهذه الرسالة .

٣- أن وقوع البلدين في مسار الحجيج من غرب إفريقيا للأراضي المقدسة يدعونا لطلب النظر في تهيئة طريق الحج عبر الأراضي التشادية والسودانية وتجهيزه بما يلزم ليساعد على مزيد من التقارب والالتحام بين شعوب المنطقة .

٤- إن تأسيس جمعية للدراسات السودانية التشادية يعتبر عملاً مهماً وذلك للعناية بجمع المصادر والمراجع عن المنطقة وتسهيل حصول الباحثين عليها وتقديم العون لهم .

٥- إن إصدار ببلوغرافيا الدراسات التشادية صار عملاً ضرورياً لتقديم المعلومات الضرورية عن تشاد وضبط الأسماء وطريقة رسمها وصحة نطقها وخلفيات إطلاقها، فهذه الدراسة كفيلة بكشف صلة تشاد بالثقافة العربية الإسلامية ومدى التحريف الذي واجهته بسبب الاستعمار .

٦- إن المعهد الوطني للدراسات الإنسانية بجامعة أنجمينا في تشاد أعد مشروعاً لتجميع الوثائق والمخطوطات باللغة العربية ويحتاج هذا المشروع لدعم المهتمين بالمنطقة حتى يحقق أهدافه . وهو مشروع يشرف عليه الدكتور محمد صالح أيوب فنوصي بدعمه .

٧- إن الجامعات التشادية قد بدأت تدريس الآداب التشادية باللغة العربية وهو مشروع ذو دلالات حضارية يستحق الدعم والمساندة ويشرف عليه الدكتور عبدالله حمدنا الله فنوصي بدعمه .

٨- إن مدرسة الصداقة السودانية بأنجمينا قد قامت بعمل ممتاز في تعميق العلاقة بين البلدين كما قامت بدور مقدر في نشر الثقافة العربية الإسلامية ، توصي بدعم المدرسة وتطويرها بفتح معهد للمعلمين ملحق بالمدرسة ليكون نواة لكلية تربية يبدأ بها تأسيس جامعة سودانية تشادية .

٩- إن النادي السوداني بأنجمينا مؤسسة ثقافية يتوقع لها دور مهم في مستقبل العلاقات بين البلدين ، نوصي بتحويله إلى مركز ثقافي يتبع لوزارة الثقافة السودانية ويعمل في المجالين الثقافي والاجتماعي .

١٠- إن مجموعة من الأدباء والشعراء من الشباب التشادي قد بدأ نشاطها يعتمد أدباً يعبر عن خصائص المجتمع التشادي ، نوصي بدعم هذا النشاط وتطوير أوعيته (رابطة مثقفي اللغة العربية ، النادي الثقافي الاجتماعي ، النادي الثقافي الشعبي) ، ونشر إنتاج المبدعين التشاديين وتعريف العالم به .

١١- إن مستقبل العلاقات السودانية – التشادية يبشر بمزيد من التقارب ، ونوصي في هذا الاتجاه بالتفكير في تأسيس أمانة متخصصة بوزارة الخارجية في البلدين لرعاية مشروعات التكامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتكون هذه الأمانة قابلة للتطور لوزارة لشئون البلدين في البلد الآخر كمرحلة من مراحل التكامل والاتحاد .

١٢- أن عدداً من الموضوعات تحتاج لبحث وتفصيل ، نوصي الباحثين بالاهتمام بها وهي :

أ- المراكز العلمية التشادية في السودان .

ب- المراكز العلمية السودانية في تشاد .

ج- القيادات السياسية المشتركة بين السودان وتشاد وأثرها في الحياة العامة في البلدين .

د- أثر الثورة التشادية في التحولات السياسية في المنطقة (١٩٦٠-١٩٨٠م) .

هـ- تحقيق بعض المخطوطات المهمة حول التاريخ التشادي .

و- تنقيح الأدب الشفاهي حول الثورة التشادية .

ز- ظاهرة الصراع المستمر بين الفصائل التشادية أسبابها ومآلاتها .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصـــــــــادر .

ثانياً : المراجع العـــربية .

ثالثاً : المراجع المترجمة .

رابعاً: البحوث والندوات .

خامساً: الوثائق والتقارير .

سادساً: المراجع الأجنبية .

سابعاً: المقـــابــــــلات .

أولاً : المصادر :

١- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (المسعودي) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلسي ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٢- الإمام محمد أحمد بن عبد الله (المهدي) ، المنشورات (الأحكام والآداب) ، إدارة المخطوطات المركزية ، الخرطوم ، ١٩٦٤م .

٣- أحمد كاتب الشونة ، تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية (تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل) مراجعة د. محمد مصطفى زيادة ، إدارة إحياء التراث ، القاهرة ١٩٦١م .

٤- الشيخ عثمان بن فودي ، بيان وجوب الهجرة على العباد ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٧م .

٥- رودلف سلاطين ، السيف والنار في السودان ، مكتبة الحرية ، ١٩٣٠م .

٦- محمد بن عمر (التونسي) ، رحلة إلى وداي ، مخطوطة بالمعهد الوطني للدراسات الإنسانية – جامعة تشاد ، أنجمينا .

٧- محمد بن عمر (التونسي) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق د. خليل عساكر ود. مصطفى مسعد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٥م .

٨- نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الدار الثقافية ، بيروت ، ١٩٦٧م .

٩- إسماعيل علي ، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية ، مطبعة أندرياكوستا ، مصر ١٩٠٣م .

١٠- زكريا بن محمد (القزويني) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

١١- عبد الرحمن بن (خلدون) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٧م .

١٢- (الإدريسي) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .

١٣- ابن فضل الله (العمري) مسالك الأبصار .

١٤- أحمد بن علي (القلقشندي) ، صبح الاعشا في صناعة الإنشاء .

١٥- ابن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

١٦- عبد الرحمن (السعدي) ، تاريخ السودان .

١٧- محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان .

١٨- (المقريزي) ، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .

١٩- ياقوت (الحموي) ، معجم البلدان .
٢٠- (اليعقوبي) ، كتاب البلدان .
٢١- الحسن بن محمد (الوزان) ، وصف أفريقيا .
٢٢- محمد ضيف الله بن محمد (ود ضيف الله)، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
٢٣- غوستاف ناختيغال ، تاريخ وداي (ترجمة ناديا كركي وهنري كودري) أنجمينا بدون تاريخ .
٢٤- خير الدين الزركلي ، الأعلام .

ثانياً : المراجع العربية :

٢٥- د. مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١م .
٢٦- د. مكي شبيكة ، السودان في قرن ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٢٧- احمد عبد الله أدم ، قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش ، الدار الوطنية للأعلام ، الخرطوم ١٩٩٧م .
٢٨- آدم حامد محمد شوقار ، أضواء على تاريخ التنجر ، مطبعة الحرية ، أم درمان ، ١٩٩٧م .
٢٩- أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، وزارة الشئون الدينية والأوقاف ، ١٩٧٩م .
٣٠- علي محمد بركات ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
٣١- عبد الهادي الصديق ، السودان والأفريقانية ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، الخرطوم ، ١٩٩٧م .
٣٢- د. عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، الكويت ، ١٩٨١م .
٣٣- د. محمد صالح أيوب ، جماعات التحديث الاجتماعي في وسط أفريقيا ، طرابلس ١٩٩١م .
٣٤- د. محمد صالح أيوب ، مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية ، سبها ، ١٩٩٢م .
٣٥- منير شفيق ، في نظريات التغيير ، بيروت ، ١٩٩٤م .
٣٦- سهيل عثمان ومحمود درويش ، من مقدمة بن خلدون ، دمشق ، ١٩٧٨م .

٣٧- مالك بن نبي ، حديث في البناء الجديد ، بيروت .
٣٨- د. أحمد سويلم العمري ، أصول العلاقات الدولية ، مطبعة الأنجلو ، القاهرة ١٩٥٩م .
٣٩- د. رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ١٩٨٣م .
٤٠- إسماعيل صبري ، العلاقات الدولية ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٥م .
٤١- عبد المحسن شعبان ، الصراع الأيدلوجي في العلاقات الدولية ، الإنماء العربي بيروت ، ١٩٨٠م .
٤٢- أبوبكر محمد برقو ، تجربة الديمقراطية في تشاد ، أنجمينا، ١٩٩٥م .
٤٣- د. فتحي محمد أبو عيانة ، جغرافية إفريقيا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٧م .
٤٤- د. إسماعيل ياغي ، ومحمود شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، دار المريخ الرياض ، ١٩٨٣م .
٤٥- سيد عبد المجيد بكر ، الأقليات المسلمة في أفريقيا ، هيئة الإغاثة العالمية ، جدة ، ١٤١٢هـ .
٤٦- د. أحمد نجم فليجة ، أفريقيا دراسة عامة وإقليمية ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .
٤٧- د. عبد الرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٤٨- د. عبد الرحمن عمر الماحي ، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي ، القاهرة ١٩٩٧م .
٤٩- د. محمد مرسي الحريري ، جغرافية القارة الأفريقية ، دار المعرفة الإسكندرية ، ١٩٨٨م .
٥٠- عبد الماجد أبو حسبو ، جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، دار صنب ، الخرطوم بحري ، ١٩٨٧م .
٥١- محمد أحمد المحجوب ، الديمقراطية في الميزان ، دار جامعة الخرطوم .
٥٢- د. منصور خالد ، حوار مع الصفوة ، دار التأليف والترجمة ، الخرطوم ، ١٩٧٤م .
٥٣- عمر علي قسومة ، الخليفة عبد الله ، الدار المركزية للنشر والتوزيع – الخرطوم .

٥٤- د. عبد الله محمد أبو نظيفة ، الأصوات ورموزها في برامبا (لغة الوداي – البرقو) مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م .
٥٥- د. عبد العزيز رفاعي ، أفريقيا والعلاقات السياسية الدولية في عهد الاستقلال ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م .
٥٦- محمد شريف جاكو ، العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد وجمهورية السودان ، مكتبة مذبولي ، القاهرة ١٩٩٧م .
٥٧- عبده بدوي ، مع حركة الإسلام في أفريقيا ، الهيئة العامة للتأليف ، القاهرة ١٩٧٠م.
٥٨- د. يوسف فضل حسن ، انتشار الإسلام في أفريقيا ، دار جامعة الخرطوم – ١٩٧٩م .
٥٩- د. عبد الرحمن أحمد عثمان ، الهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في أفريقيا ، دار المركز الإسلامي الأفريقي ، الخرطوم .
٦٠- د. حسن أحمد محمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
٦١- د. عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، المؤسسة المصرية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٦٢- نعيم قداح ، حضارة الإسلام وحضارة أوربا بأفريقيا الغربية ، مكتبة أطلس ، دمشق ، ١٩٦٥م .
٦٣- د. حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في أفريقيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
٦٤- إبراهيم صالح بن يونس ، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم – برنو ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٦م .
٦٥- شكيب ارسلان ، الدعوة إلى الإسلام في أفريقيا .
٦٦- عبد الله عبد الرازق ، المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٩م .
٦٧- إبراهيم طرخان ، الدول الإسلامية القومية في السودان الأوسط ، " إمبراطورية البرنو الإسلامية " الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
٦٨- د. شوقي الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م .
٦٩- د. محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، بيروت ط١٠ .

٧٠- الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
٧١- د. عبد الرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون في أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
٧٢- خليفة عباس العبيد ، الزبير باشا ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، ١٩٩٥م.
٧٣- المحبوب عبد السلام ، فصول في حريق الجنوب السوداني ، بيت المعرفة ، أم درمان ، ١٩٨٩م .
٧٤- محمد إبراهيم طاهر ، تاريخ الانتخابات البرلمانية في السودان ، بنك المعلومات الخرطوم ، ١٩٨٦م .
٧٥- د. حسن علي الساعوري ، ديمقراطية السودان إلى أين ؟ ، دار الفكر ، الخرطوم ، ١٩٨٧م .
٧٦- محمد محمد أحمد كرار ، الجيش السوداني والإنقاذ ، الخرطوم ، ١٩٨٩م .
٧٧- محمد محمد أحمد كرار ، الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية ، دار الفكر ، الخرطوم ، ١٩٨٦م .
٧٨- يوسف بريمة ، خطاب الجالية التشادية بالسودان في المؤتمر الوطني المستقل ، أنجمينا ، ١٩٩٣م .
٧٩- د. محجوب الباشا ، التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، الخرطوم ، ١٩٩٨م .
٨٠- محمد الفاتح الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ١٩٨٤م .
٨١- د. إبراهيم السمرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١م .
٨٢- أمباي لو ، قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، الخرطوم ١٩٩٥م .
٨٣- أمباي لو ، إشكالية انتقال السلطة في أفريقيا ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، الخرطوم ١٩٩٨م .
٨٤- د. حسن مكي ، الثقافة السنارية ، المغزى والمضمون ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، الخرطوم .
٨٥- محمد متولي بدر ، أقرأ باللغة النوبية ، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية الخرطوم .

٨٦- د. عون الشريف قاسم وآخرون ، الإسلام في السودان ، المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف ، الخرطوم ، ١٩٨٤م .
٨٧- الأب برناردوارد ، قلب محب لأفريقيا (قصة مختصرة من حياة المطران دانيال كمبوني) ، الخرطوم ١٩٩١م .
٨٨- الفاتح النور ، التجانية والمستقبل ، دار جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، ١٩٩٧م .
٨٩- الطاهر حاج النور أحمد ، التعليم الأساسي في دارفور (١٩٥٦م ، ١٩٩٤م) دار جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ١٩٩٥م .
٩٠- د. حسن مكي، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، معامل التصوير الملون الخرطوم ١٩٨٣م .
٩١- د. حسن مكي ، المشروع التنصيري في السودان ، دار جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم .
٩٢- علي محمد شميس ، العلوم السياسية ، طرابلس ، الدار الجماهيرية ، ١٩٨٨م .
٩٣- د. راشد البراوي ، العلاقات السياسية الدولية والمشكلات الكبرى، مكتبة النهضة الإسكندرية ، ١٩٨٦م .
٩٤- محسن محمد ، مصر والسودان (الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والمصرية)، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
٩٥- د. إمام عبد الفتاح إمام ، هجيل (محاضرات في فلسفة التاريخ) ، القاهرة، دار الثقافة ، ١٩٨٦م .
٩٦- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ، بسط الأرض في الطول والعرض ، تطوان ، ١٩٥٨م .
٩٧- د. عوض السيد الكرسني وآخرون ، الانتخابات في السودان ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، الخرطوم ، ١٩٩٩م .
٩٨- مومار ديوب وممادو ديوف ، تداول السلطة السياسية وآليتها في أفريقيا ، مركز البحوث العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
٩٩- وزارة التربية الوطنية ، تاريخ تشاد من دخول الإسلام حتى دخول الاستعمار ، أنجمينا ، ١٩٨٢م .
١٠٠- نورين مناوي برشم ، تشاد نحو الاستقرار والديمقراطية ، بدون تاريخ .
١٠١- حسب الله محمد أحمد ، قصة الحضارة في السودان ، جماعة بعث التاريخ السوداني ، القاهر ، ١٩٦٦م .

١٠٢- د.عبدالرحمن عمر الماحي – الدعوة الإسلامية في إفريقيا – الواقع والمستقبل – طرابلس – ١٩٩٩م .
١٠٣- الجنرال بحر دناع دوامن – مذكراتي مع الثورة التشادية (فرولينا) – بحث غير منشور – أنجمينا ١٩٩٨م .

ثالثاً: المراجع المترجمة :

١٠٤- رودني ، د. والتر ، أوربا والتخلف في أفريقيا (ترجمة) د.أحمد العقيد) سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨م .
١٠٥- لوثر أدورد ، حاضر العالم الإسلامي (ترجمة عجاج نويهض) دار الفكر ، ط١٩٧/٣م .
١٠٦- ديرك لانجي ، "ممالك تشاد وشعوبها" تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع (الإشراف ج ت ، نياني) اليونسكو ، باريس ١٩٨٨م .
١٠٧- غي دوبوشير ، تشريح جثة الاستعمار (ترجمة ادوارد الخراط) دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨م .
١٠٨- كوامي نكروما، الوجدانية فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور (ترجمة كريم عزقول)، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤م .
١٠٩- الآن مورهيد ، النيل الأزرق (ترجمة نظمي لوقا) ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٦م .
١١٠- ألان مورهيد، النيل الأبيض
١١١- رولاند اوليفر وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقية (ترجمة دولت أحمد الصادق) الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة
١١٢- سير آرنولد توماس ، الدعوة إلى الإسلام (ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
١١٣- لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي (ترجمة ممموحي فوق العادة) عويدات ، بيروت ، ١٩٦٦م .
١١٤- د. يونا ماريوف ، سياسة إسرائيل في أفريقيا الاستوائية (ترجمة عبد الكريم البني) منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٥م .
١١٥- د. هنري بارث ، برامبا " لغة الوداي – البرقو (ترجمة محمد عبد الدين عثمان) مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م .
١١٦- أمين معلوف ، ليون الإفريقي (ترجمة د. عفيف دمشقية) دار الفارابي، بيروت ١٩٩٤م .

رابعاً: البحوث والندوات :

١١٧- د. فضل كلودو ، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (رسالة دكتوراه) جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٨١م.

١١٨- عمر محمد أحمد صديق ، المشكلة التشادية (رسالة ماجستير) جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، ١٩٨٢م.

١١٩- عبد الرحمن عبد الله حسين ، تقويم منهج التاريخ للصف السادس الابتدائي بالمدارس العربية بجمهورية تشاد ، (بحث ماجستير) عمادة الدراسات العليا ، جامعة أفريقيا العالمية ، ١٩٩٨م .

١٢٠- خالد موسى دفع الله ، الأبعاد الأيدلوجية لسياسة السودان الخارجية في عهد الإنقاذ (بحث دبلوم عالي في الدراسات الدبلوماسية) المركز القومي للدراسات الدبلوماسية ، الخرطوم ١٩٩٥م .

١٢١- سعيد حراش ، العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب أفريقيا ووسط أفريقيا جنوب الصحراء وخلال القرنين ١٦، ١٧ (أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا) جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٩٤م .

١٢٢- يحي لزم قريش ، أثر الحرب الأهلية التشادية في التركيب السياسي للمجتمع التشادي ، (بحث لنيل درجة الدبلوم العالي) جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، ١٩٩٧م .

١٢٣- موسى جزم بلول، أثر السودان في السياسة التشادية (١٩٦٠م ، ١٩٩٠م) بحث لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الخرطوم ، ١٩٩٤م .

١٢٤- عبد الله بن أحمد حمدي ، الرؤية الإصلاحية عند الشيخ محمد المامي (بحث لنيل الدبلوم العالي) المدرسة العليا للأساتذة ، نواكشوط ، ١٩٨٥م .

١٢٥- جابر محمد جابر ، لهجة الحوازمة في جنوب كردفان (أطروحة لنيل درجة الماجستير) جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٢م .

١٢٦- زين العابدين السراج ، دولة كانم الإسلامية من القرن الرابع عشر الميلادي إلى التاسع عشر الميلادي (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .

١٢٧- محمد صالح أيوب ، الدور الاجتماعي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي (رسالة دكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٥م .

١٢٨- مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، التغيير والتغلغل الاستعمار في أفريقيا (تحرير حسن الناطق والسر بشير) الخرطوم ١٩٩٩م .

١٢٩- عثمان علي محمد ، لمحات من التاريخ التشادي الإسلامي ، مخطوطة بالمعهد الوطني للدراسات الإنسانية – جامعة تشاد أنجمينا .

١٣٠- د. محمد صالح أيوب ، التغيرات الكبرى وأثرها على الشخصية التشادية، بحث غير منشور .
١٣١- يوسف بريمة ، تشاد الدولة العربية المجهولة ، بحث غير منشور .
١٣٢- مركز البحوث والترجمة ، ندوة التعليم الإسلامي في أفريقيا (تحرير د. عبد الرحيم علي وعبد القيوم عبد الحليم) - جامعة أفريقيا العالمية ، ١٩٩٢م .
١٣٣- جامعة أفريقيا العالمية ، الشيخ عثمان بن فودي ، بحوث الندوة العالمية احتفاء بذكراه (تحرير عمر أحمد سعيد وعبد القيوم عبد الحليم) - الخرطوم ١٩٩٥م .
١٣٤- المركز الإسلامي الأفريقي ، الإسلام وأفريقيا الماضي والحاضر (أسبوع الدعوة الأول) - الخرطوم .
١٣٥- موسى إبراهيم محمد - الأحزاب السياسية في تشاد (١٩٤٥-١٩٦٣) م (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا ، ١٩٩٩م .
١٣٦- على محمد آدم - العلاقات بين مملكة وداي وباغرمي (بحث لنيل الدبلوم العالي) جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٣٧- الهادي نعيم عمر - دور علماء مملكة وداي في مقاومة الاحتلال الفرنسي (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا ١٩٩٨م .
١٣٨- هجرو آدم السنوسي - سيرة ذاتية - مقال غير منشور - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٣٩- بشير عربي - رابح فضل الله ودولته في السودان الأوسط (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٤٠- محمد نصر عبدالرحيم ، إبراهيم أبشة ودوره في جبهة التحرير الوطني التشادي (١٩٦٠-١٩٦٨)م ، (بحث لنيل الدبلوم العالي) ، جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٨م .

خامساً: الوثائق والتقارير :

١٤١- جمهورية مصر ، السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١م إلى ١٢ فبراير ١٩٥٣م (وثائق مجلس الوزراء المصري) المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٣م .
١٤٢- اللجنة الانتخابية ، مشروع دستور جمهورية تشاد ١٩٩٦م ، المطبعة المدرسية ، أنجمينا ١٩٩٦م .
١٤٣- المجلس الوطني ، دستور السودان ١٩٩٨م .
١٤٤- جمهورية السودان ، الاستراتيجية القومية الشاملة (١٩٩٢م ، ٢٠٠٢) دار جامعة الخرطوم ، ١٩٩٢م .

١٣٠- د. محمد صالح أيوب ، التغيرات الكبرى وأثرها على الشخصية التشادية، بحث غير منشور .
١٣١- يوسف بريمة ، تشاد الدولة العربية المجهولة ، بحث غير منشور .
١٣٢- مركز البحوث والترجمة ، ندوة التعليم الإسلامي في أفريقيا (تحرير د. عبد الرحيم علي وعبد القيوم عبد الحليم) - جامعة أفريقيا العالمية ، ١٩٩٢م .
١٣٣- جامعة أفريقيا العالمية ، الشيخ عثمان بن فودي ، بحوث الندوة العالمية احتفاء بذكراه (تحرير عمر أحمد سعيد وعبد القيوم عبد الحليم) - الخرطوم ١٩٩٥م .
١٣٤- المركز الإسلامي الأفريقي ، الإسلام وأفريقيا الماضي والحاضر (أسبوع الدعوة الأول) - الخرطوم .
١٣٥- موسى إبراهيم محمد - الأحزاب السياسية في تشاد (١٩٤٥-١٩٦٣) م (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا ، ١٩٩٩م .
١٣٦- علي محمد آدم - العلاقات بين مملكة وداي وباغرمي (بحث لنيل الدبلوم العالي) جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٣٧- الهادي نعيم عمر - دور علماء مملكة وداي في مقاومة الاحتلال الفرنسي (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا ١٩٩٨م .
١٣٨- هجرو آدم السنوسي - سيرة ذاتية - مقال غير منشور - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٣٩- بشير عربي - رابح فضل الله ودولته في السودان الأوسط (بحث لنيل الدبلوم العالي) - جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٩م .
١٤٠- محمد نصر عبدالرحيم ، إبراهيم أبشة ودوره في جبهة التحرير الوطني التشادي (١٩٦٠-١٩٦٨)م ، (بحث لنيل الدبلوم العالي) ، جامعة الملك فيصل - أنجمينا - ١٩٩٨م .

خامساً: الوثائق والتقارير :

١٤١- جمهورية مصر ، السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١م إلى ١٢ فبراير ١٩٥٣م (وثائق مجلس الوزراء المصري) المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٣م .
١٤٢- اللجنة الانتخابية ، مشروع دستور جمهورية تشاد ١٩٩٦م ، المطبعة المدرسية ، أنجمينا ١٩٩٦م .
١٤٣- المجلس الوطني ، دستور السودان ١٩٩٨م .
١٤٤- جمهورية السودان ، الاستراتيجية القومية الشاملة (١٩٩٢م ، ٢٠٠٢) دار جامعة الخرطوم ، ١٩٩٢م .

١٤٥- جمهورية السودان ، في العهد الديمقراطي ،وزارة الثقافة ، الخرطوم ، ١٩٦٨م .
١٤٦- جبهة فرولينات ، تشاد بركان في قلب أفريقيا ، بدون تاريخ .
١٤٧- حسن عيسى حسن ، التقرير الختامي ، القنصلية العامة لجمهوريـــة الســـودان ، أبشه ، ١٩٩٥م .
١٤٨- الرشيد خضر ، التقرير الختامي (١٩٨٩م ، ١٩٩١م) لسفارة جمهورية السودان أنجمينا ، ١٩٩١م .
١٤٩- عثمان محمد عثمان درار ، التقريـــر الختـــامي (١٩٩٣م ، ١٩٩٥م) لســفارة جمهورية السودان ، أنجمينا ، ١٩٩٥م .
١٥٠- وزارة الخارجـــية ، العلاقـــات الســـودانية التشـــادية (جلســـــة اســـتماع)- الخرطـــوم ١٩٩٦م .
١٥١- جمعية الصداقة الســـودانية التشـــادية – ملـــف جمعيـــة الصداقـــة (١٩٩٠م ، ١٩٩٨م) الخرطـــوم .
١٥٢- منظمة الدعوة الإسلامية ، ملف تشاد .
١٥٣- وزارة التربية والتعليم ، ملف مدرســـة الصداقة السودانية التشادية .
١٥٤- مركز الدراســـات الاستراتيجيـــة ، التقريـــر الاستراتيجي ، ١٩٩٦م .
١٥٥- مركز الدراسات الاستراتيجية التقرير الاستراتيجي ١٩٩٧م .
١٥٦- جامعة الملك فيصل في تشاد – الواقع والمستقبل (تقرير شامل مقـــدم لمجلـــس الأمناء) نوفمبر ١٩٩٩م .

سادساً : المراجع الأجنبية :

156- Robert Buijtenhuijs: La conférence Nationale Souveraine . Du Tchad – Paris 1993.
157- Hassan Makki: Sudan the Christian Design – The Islamic Foundation – Wiltshire 1989.
158- Yousuf fadl Hasan & poul Doornbos: The Centeral Bilad Al-Sudan – Traditions and Adaptation. Eltadamon P. Press.
159- Sharif Abdalla Harir – The Politics of Numbers Mediatory Leadership and the Political Process among the Beri (Zaghawa) of the Sudan –University of Burgen – 1986.
160- Andrew Wheeler – Land of Promise- Paulines publications Africa. Nairobi 1997
161- Mehamat Djarma khatre – La Reconcilation National et les tables Rondes en Re`publigue du Tchad – Ndjamina-1995.
162- Edouard Conte – Mariage patterns, political change and the perptuation of social ineguality (in South canem « CHAD ») – Orstom – Paris – 1985.
163- Joseph Amegboh – RABAH conquérant des pays tchadiens – Paris.

سابعاً : المقابـــــلات :

أ – المقابلات المسجلة :

١- قوكوني عويدي (الرئيس التشادي الأسبق) أنجمينا ١٩٩٢م .
٢- آدم تقوىً (سفير تشاد في ليبيا) أنجمينا ١٩٩٢م .
٣- مطر نصر مطر (أحد مؤسسي فرولينا) أنجمينا ١٩٩٢م .
٤- عيسى بشر (أحد مؤسسي فرولينا) أنجمينا ١٩٩٢م .
٥- عبد القادر يس (وزير تشادي سابق) أنجمينا ١٩٩٢م .
٦- محمد نوري (وزير تشادي) أنجمينا ١٩٩٢م .
٧- قاسم قمر (أحد مؤسسي فرولينا) أنجمينا ١٩٩٢م .
٨- هجرّو آدم السنوسي (وزير تشادي سابق) أنجمينا ١٩٩٢م .
٩- يوسف بريمة (عضو المجلس الانتقالي التشادي) أنجمينا ١٩٩٢م.

ب- مقابلات غير مسجلة :

١- عثمان محمد عثمان درار (سفير السودان السابق بأنجمينا) أنجمينا .
٢- حاج الفكي هاشم (سفير السودان بأنجمينا) الخرطوم.
٣- محمد فضل مكاي (سفير تشاد بالخرطوم) الخرطوم.
٤- إبراهيم محمد السنوسي (والي كردفان) الخرطوم .
٥- بشير السماني رئيس جمعية مثقفي اللغة العربية الخرطوم .
٦- د. زكريا فضل كتر (مدير المعهد الوطني للدراسات الإنســـانية – جامعـــة تشـــاد أنجمينا) أنجمينا .
٧- دومة دبي مدير الشركة الوطنية للطرق (شقيق الرئيس دبي) أنجمينا.
٨- عثمان جده (مستشار الرئيس دبي) الخرطوم .
٩- أحمد حسب الله صبيان (وزير الداخلية التشادي السابق) الخرطوم.
١٠- محمد عثمان محمد سعيد (المستشار بالسفارة السودانية) أنجمينا .
١١- صافي عبد القادر (أمين الشئون الخارجية بالحركة الوطنية للإنقاذ) أنجمينا.
١٢- محمد النظيف (وزير الخارجية التشادي) الخرطوم .
١٣- موسى ماديلا (رئيس الحركة الوطنية للتنمية والديمقراطية) الخرطوم.
١٤- د. الحارث بشر (الأمين العام للجبهة الوطنية لتحرير تشاد) الخرطوم.

▪ الملاحق

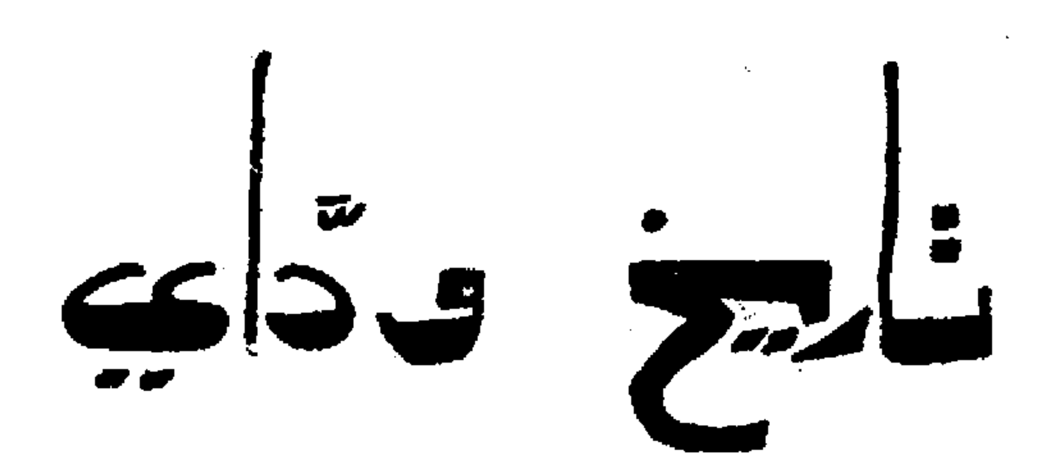
جدول يبين ملاحق البحث ومصادرها ودلالاتها

م	الوثيقة	المصدر	المحتويات	الدلالات	رقم الصفحة
١.	غلاف كتاب تاريخ وادي – لغوستاف ناختيغال	كتاب تاريخ وداي لناختيغال	عنوان الكتاب باللغة العربية وصورة ختم السلطان محمد شريف بن السلطان مليح العباسي والي دار وداي	اللغة الرسمية لدولة وادي هي اللغة العربية	٢٤١
٢.	خطاب التوصية الصادر من سلطان كانم إلى سلطان واذي	كتاب تاريخ وداي لناختيغال	خطاب يقدم فيه سلطان كانم ناختيغال السلطان وداي	الخطاب مكتوب باللغة العربية وفيه حسن ظن برحالة كانت رحلته الأساسية للتحضير للقضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة	٢٤٢
٣.	خطاب السلطان محمد شريف للشريف يونس شيخ	كتاب تاريخ وداي لناختيغال	التشاور حول بعض المخاطر التي أوقعها قطاع الطرق	استخدام اللغة العربية والإشارة إلى وصف الأمير نفسه بأنه أمير المملكة الإسلامية وإمام السنة المحمدية ومقيم عماد الملة الحنفية	٢٤٣
٤.	بداية الفصل الثاني من كتاب التونسي تشحيذ الأذهان " المعروف بالرحلة إلى وداي"	مخطوطة التونسي "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان "	مقدمة الفصل	الرد على ما أورده محققاً كتاب تشحيذ الأذهان بفقدان هذا الجزء من الكتاب	٢٤٤
٥.	المخطط الذي رسمه التونسي لمجلس سلطان دارفور	مخطط التونسي "تشحيذ الأذهان "	رسم تفصيلي لمجلس سلطان دارفور من حيث تحديد موقع السلطان والوزراء والجند ... الخ	إن كتاب التونسي كان تقريراً استخبارياً للفرنسيين للاستيلاء على المنطقة	٢٤٥
٦	خطاب حاكم النيل الأزرق الإنجليزي لمعتمد القضارف	دار الوثائق	خطة الإدارة الاستعمارية البريطانية لعزل مهاجري غرب إفريقيا من بقية المواطنين	سعي الإدارة البريطانية لإفشال فكرة النصرة التي هاجر من أجلها سكان غرب إفريقيا للسودان	٢٤٦
٧	تقرير من حاكم النيل الأزرق الإنجليزي	دار الوثائق	تحليل الإدارة البريطانية لأحوال منطقة مايرنو شعباً وسلطاناً	سعي أفدارة البريطانية لمنع التواصل بين مهاجري غرب إفريقيا والمواطنين السودانيين	٢٤٧

م	الوثيقة	المصدر	المحتويات	الدلالات	رقم الصفحة
٨.	بيان مشترك من الاتحاد الوطني وجبهة تحرير تشاد	المهندس المرحوم/يوسف بزيمة	الاتفاق على جبهة التحرير الوطني التشادي – فرولينات	وثيقة تؤكد انطلاقة الدورة التشادية من السودان في نيالا	٢٥٢
٩.	بيان من جبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني	المهندس المرحوم/يوسف بزيمة	الاتفاق على معالجة الاختلاف الذي دار حول تأسيس فرولينات حسب مقررات مؤتمر نيالا	وثيقة تؤكد معالجة مشكلات الثورة التشادية في الأراضي السودانية حيث انعقد المؤتمر في وصعدني بالسودان	٢٥٤
١٠.	اللائحة التنظيمية لقوات البركان	المهندس المرحوم/يوسف بزيمة	المبادئ العامة لقوات البركان	تأكيد التوجه الإسلامي لبعض فصائل الثورة التشادية حسب ما ورد في المبادئ العامة لتأسيس فرولينات – البركان	٢٥٧
١١.	خطاب من اللجنة العسكرية لفرولينات لأحد أعضائها	المهندس المرحوم/يوسف بزيمة	دعوة لحضور اجتماع	الدعوة صادرة على ورقة مروسة بعلم فرولينات ووجود الهلال والنجمة كشعار من الشعارات الإسلامية للثورة	٢٥٨
١٢.	السيرة الذاتية لهجرو السنوسي	هجرو آدم السنوسي	المعلومات الأساسية عن هجرو السنوسي	فترة التواصل الشعبي بين الشعبين السوداني والتشادي	٢٥٩
١٣.	مشروع بحث علمي	المعهد الوطني لعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا	خطة لجمع الوثائق والمخطوطات باللغة العربية في تشاد	التأكيد على صحة صلة تشاد بالثقافة العربية الإسلامية	٢٦٠
١٤.	قائمة الوثائق والمخطوطات العربية بجامعة تشاد	المعهد الوطني لعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا	عناوين ١١٧ مخطوطة باللغة العربية في مختلف مجالات المعرفة	الأثر التشادي في نشر الثقافة العربية الإسلامية	٢٦٥
١٥.	قرار وزير التربية التشادي بخصوص ازدواجية اللغة في التعليم التشادي	وزارة التربية الوطنية تشاد	نص القرار رقم ٢٧٦/و ت و/أ ع/١٩٩٤ باللغتين العربية والفرنسية	اهتمام الحكومة في تشاد اليوم بعودة اللغة العربية لمجال التعليم الحكومي	٢٧٠

م	الوثيقة	المصدر	المحتويات	الدلالات	رقم الصفحة
١٦.	قرار رئيس جمهورية تشاد	جمهورية تشاد	الموافقة على تأسيس جامعة الملك فيصل	اهتمام الحكومة التشادية بدعم تعليم اللغة العربية على المستوى الجامعي	٢٧٥
١٧.	بروتوكول توأمة بين الخرطوم وأنجمينا	ولاية الخرطوم	نص الاتفاق بين ولاية الخرطوم وعمودية أنجمينا للتوأمة بين العاصمتين	استمرار العلاقات الحسنة على المستوى الرسمي كمؤشر على مستقبل العلاقات بين البلدين	٢٧٦
١٨.	البيان الختامي لزيارة وفد ولاية الخرطوم لأنجمينا	ولاية الخرطوم	نص البيان المشترك للمباحثات بين وفدي الخرطوم وأنجمينا	اهتمام السلطات الرسمية في البلدين بتحسين العلاقات في كافة المجالات وعلى كل المستويات	٢٧٩

ملحق رقم (١)





غوستاف ناختيغال

CEFOD

ملحق رقم (٢)



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

من عبد الله تعالى عمر بن محمد الامين الكانمي

الى حضرة المكرم الفاضل حاوي الفضائل والفواضل الامجد الشامل الاسعد
الكامل صاحب الاخلاق المرضية والمزايا السنية محبنا السلطان محمد علي
بن الفاضل الشهير السلطان محمد الشريف ابرك السلام واسنى التحية
والاكرام ورحمة الله تعالى وبركاته على الدوام اما بعد فموجب كتابنا
هذا اليكم انه يقدم اليكم الذمي النصراني ادريس افندي ونيته المجاوزة
الى ارضه ارض النمسة فنطلب من سيادتكم ان يجاوز سالما مكرما
موقنا امنا على احسن الاحوال بتشييعكم السعيد الى فور لانه جاء الينا
بالذمة والعهد والامان ومن قواعد شرعنا الكامل مراعاة عهد الذمي
حتى قال شيوخ المذهب ان ظلمه اشد من ظلم المسلم لضعفه في بلاد
الاسلام فهذا الذي ذكرناه هو الذي نطلبه من نظركم والعمل على الذي ذكرنا
هو الظن بكم كان الله تعالى للجميع

والسلام

بتاريخ ضحوة الخميس اول يوم من شهر
الله تعالى ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧٨ عام

صورة لكتاب التوصية الذي وجّهه الشيخ عمر الى السلطان علي بشأن ناختيغال ، سنة ١٢٧٩هـ ١٨٧٢م

ملحق رقم (٣)



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده لا شريك له
ولا يدوم الا ملكه والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
من حضرة امير المملكة الاسلامية وامام السنة
المحمدية ومقيم عماد الملة الحنفية فذاك السلطان
محمد شريف ابن السلطان محمد صالح العباسي نسبا
نصره الله تعالى امين الى حضرة الاجل الافضل المحترم
الاكمل الاشمل الكامل الاكمل حاوي الفضل والفواضل
محبنا الشيخ يونس ادام الله ايامه امين اما بعد يليه
السوال عنكم ومن جملة احوالكم مرضية المرضية
بحمد الله ميسرة على وفق مرادكم فاذا تنا سايلون
عنكم غاية السوال واتانا من طرف سيدكم كلالة
وفرحنا به غاية الفرح وانسرينا به غاية المسرة وظهر
منه لكم المحبة والطريق بيننا وبينكم سهل كما
تحب وترضاه ولما توجه قافلتنا وقافلتكم للقدوم
الى رفكم فسمعنا ان العرب الزوايا نزلوا في الكفرة
للظلم والفساد وقطع الطريق واولاد سليمان نزلوا
في ارض بركو لقطع الطريق [illegible] الشيخ عمر
صاحب كرسي برنو فحبسنا القوافل عندنا حتى
ننظر امور الطرق وهولاء كلهم تحت حكمكم
وطاعتكم فليكن في شريف علمكم وزيادة فهمكم
والنظر عند الله وعندكم والسلام — تاريخ يوم الاحد
عشرين ليلة خلت من شهر [illegible] — عام ١٢٢٩

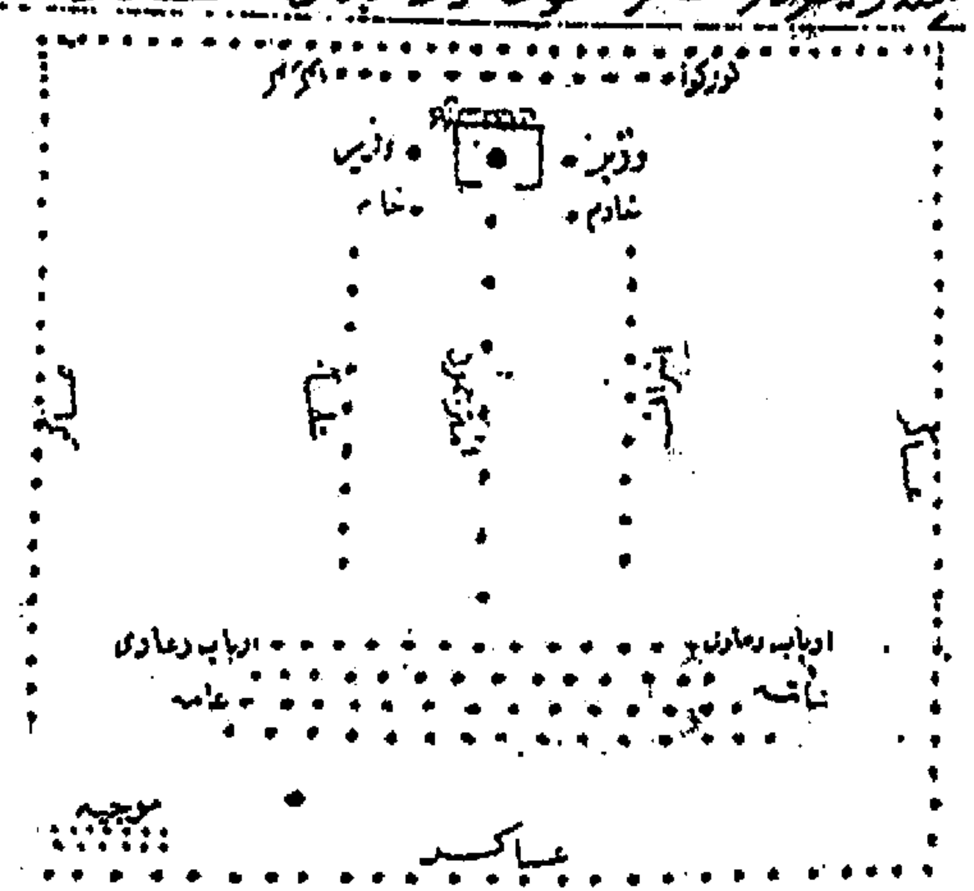
ملحق (٤)

الفصل الثاني في احوال دارفور وداي وعوائدهم وعوائد
ملوكهم واسماء مناصبهم

لما كان خالق الاكوان تنزهت ذاته وتقدست
صفاته خالقا لجميع مصنوعاته فلا يكد احد في ذاته
ولا في صفاته ولا في افعاله نوع عوائده كما نوع
خلقه فعوائد كل جيل زينة قوم وشينة اخرين
ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بتنوع العادة
واختلاف الاصطلاحات يعلم اللبيب الحاذق
ان الحكمة الالهية اقتضت لكل قوم ما اعتادوه
عليه وشق عليهم تغيير عوائدهم وان كانت رديئة
دنيوية اذا اعتبر ذلك اقول ان عادة اهل داي
تقرب من عادة اهل دارفور في بعض الاحوال وتخالفها
في بعضها الاخر اما وجه القرب فهي انهم كاهل دارفور
ومنها بين النساء ورفعتهن فانهما وان لم تكن بينهما
مغايرة كبيرة في ذلك فهي قريبة منها جدا واما
وجه المخالفة ففي اسماء المناصب وعوائد الحكم
وترتيب الديوان والكرم الذي لا يوجد شيء منه

ملحـــق (٥)

منهم على ظهر فرس بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة
احتياطا بنا على ظهر جواده ثم يرمي نفسه يرمونه الى الارض
ويضربونه ضربا مؤلما وان كان عظيما الماير ونا ان ثباته
احتقارا بامر السلطان وان اجلس السلطان للحكم في ديوانه
لا يكلم الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن
ديوانا عاما فان كان ديوانا عاما كانت المترجمون
سبعة اولهم عند السلطان واخرهم عند الناس
وهم في الوسط والناس حولهم العلماء والاشراف جالسون
يمنة ويسرة والعساكر محتفون حول الديوان هكذا



Kassala 3/139/614

16

1a

No. 36. G. 2.

35. A 3
(1) ملحق

SUDAN GOVERNMENT.

BLUE NILE PROVINCE,

Governor's Office.

May 12th 192

Dear Ingleson,

Can you let me know what is your policy as regards new Fellata settlements? Last year Maiwerno was allowed to start a small settlement.

At our meeting in Gedaref the possibility of larger settlements was envisaged. I understand that the site of the existing settlement was chosen so that the Fellata might not be mixed up with Arabs. Maiwerno has now written stating that his Wakil, who is the sheikh of his new village, has been informed that he is to be under an Arab Omda and an Arab Nazir. If this is so it is equivalent to saying to Maiwerno "Thank you very much for helping to start a village but we do not want you to bother about it any more now you have started it"

Maiwerno is always looking for an outlet for villages which will not be in any way under Arab Sheikhs and if I have understood your policy correctly he will not get that outlet in your district. We here think it important to maintain Maiwerno's influence over the Fellata as much as possible as he is definitely anti-Mahdiist and so many of the Fellata are Mahdiists and our difficulty is that there is not much room for settlements in this Province except up against Arab villages where Maiwerno's control is impracticable. However it does not matter very much to us as there is plenty of scope for Fellata in the Scheme.

Your policy is not my affair but it is important that I should know what it is and deal with Maiwerno accordingly.

I am writing direct to you in a private form so as to save time, and as I only want information. If I have any comment to make when I get it, which is unlikely, I should of course write officially to Bailey.

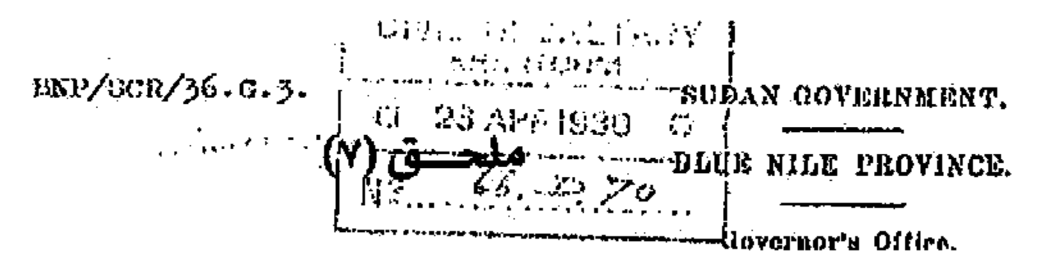
Yours,
A J Huddleston

P. Ingleson Esq.,
District Commissioner,
Gedaref.

AJCH/LNC.

Under Mr. Baily Govr, Kassala

BNP/SCR/36.G.3.



SUDAN GOVERNMENT.

BLUE NILE PROVINCE.

Governor's Office.

Wad Medani. 21st April 1930.

The CIVIL SECRETARY,
Sudan Government,
KHARTOUM.

STRICTLY CONFIDENTIAL

Reference my 36.G.3 of 13th February and your 66.D.17 of 22.2.30 on the subject of Sultan MAIWURNO.

I paid him a visit on 15th April and found him in excellent spirits. His son had been to Gedaref and Kassala; he had been able to scrape together enough money to purchase the motor lorry which he had set his heart on, and to all outward appearances he regarded the incident of his son's treatment at Gedaref as closed.

(2) In my opinion, therefore, the moment is ripe for adopting some definite policy towards him and his people. Hitherto, although he was induced many years ago by promises of land, etc. to settle at Hillet Maiwurno when he was on his way to Mecca, no practical assistance has been given him. Generally speaking, he has been trusted by those who know him well and suspected by those who do not and the policy has been all adrift.

(3) He is, financially, very badly off and his house at Maiwurno is an extremely poor one. In March 1929 he compiled, at my request, a census return which gave the total of 2,930 families, 1471 of which lived at Maiwurno and the remainder at villages on the Dinder and Rahad towards the extmme south-east boundary of the Province.

At Maiwurno they have a certain amount of land which is, however, too small in area for their needs and is of very poor quality; while on the Dinder and Rahad they have great difficulty in protecting any crops they may sow from the ravages of birds.

(4) Inland and west of the Nile the Sultan has made, on his own initiative, several attempts to sink wells which have failed chiefly because water can only be found at a great depth and in each instance rock was struck which effectively prevented further progress.

(5) There are many advantages in fitting in the Sultan with our general policy of Native Administration. In this Province there are, on the Sultan's own figures, at least 15,000 Fellata. Mr.Lethem, in his report compiled in 1924/25, estimated the number at 12,3000. In the whole of the Sudan Mr.Lethem estimated there were at any given time 56,000. They stretch in an uninterrupted chain of settlements from the Red Sea to Darfur and across to Nigeria and it was obvious, from Mr.Lethem's investigations, to what use those facilities of communication could be put in the event of an anti- Government or anti--Christian attitude on the part of the Fellata as a whole.

They have had, in the recent past, direct association with Mahdism and Sayed Abdel Rahman el Mahdi and they would form an invaluable ally to the Sayed should he ever contemplate any political coup. On the other hand, if the Sultan were encouraged in his pro-Government attitude the Sayed would be deprived of a large amount of inflammable material which he could use to his own advantage.

I take it that in any politcal crisis the bulk of the Fellata would look to the Sultan for a move one way or another.

(6) It is, I think, worth bearing in mind that the average political officer (I think I am correct in saying this) knows extremely little about the Fellata, their history, customs and beliefs. Some xyears ago the question of the appointment of a District Commissioner, specially for this purpose, was discussed but nothing came of the proposal. Personally, I do not think the appointment necessary but the alternative should be a frank recognition of the Sultan's position by the Government and a policy towards him similar to that which we adopt to other leading personalities.

(7) In my opinion the Fellata are of considerable economic value to the Sudan and particularly to the Gezira Scheme. They are industrious and law-abiding. The Sultan has a Sheikhs' Court which has been established for some months now but the number of cases which he has heard has been amazingly small and are chiefly concerned with trivial matters. For the last three years he has readily responded to my request to send labour into the Scheme for picking and it was particularly unfortunate that my latest request happened to coincide with the abrupt return of his son from Gedaref.

(8) In this connection it is worth while sounding a word of warning in regard to development schemes on which Government either contemplates embarking or is examining in the Gedaref area and in the Fung Province. Development in the Gedaref area - raingrown cotton, etc. - has already proved a serious counter-attraction to Fellata labour to the detriment of the Gezira Scheme.

Although more Fellata have crossed Kosti bridge the last year the Sultan informed me that it is the exception now, rather than the rule, for them to go to his village as hitherto and many of them have proceeded direct to Gedaref. Labour, of course, is one of the most important factors in the success or otherwise of the Gezira Scheme and any outside development scheme should invariably, I think, be examined from the point of view of its effect on the supply of labour for the irrigated area.

This season, in spite of a poor crop, labour has been very scarce and very dear. A large crop would not have been picked without action being taken by the Government in some form or another.

(9) At the moment I have not the slightest doubt that the Sultan is absolutely loyal to Government. I have also not the slightest doubt that in view of the desirability of ;-

(a) utilizing him and his people as a labour factor to the best advantage,

(b) preventing him throwing in his lot, in disgust, with Sayed Abdel Rahman,

(c) dealing with a comparatively unknown administrative element in our "devolution" policy,

it is essential that we should keep him so. To do so we must show him some encouragement and by encouragement I do not mean Robes of Honour or medals or presents. These honours he has in abundance, but they lose their significance and value - particularly in the case of Fellata - if they are not backed by other and more material signs of goodwill. The Sultan has a proper sense of dignity which is and should be accentuated by each honour he receives from Government, but he finds it extremely difficult to maintain his position owing to his financial straits. His financial position is due to no fault of his own. He has had no opportunity to improve it owing to the lack of policy towards him.

(10) As regards concrete proposals for the future, which I referred to in broad lines in paragraph (13) of my letter of 13th February, I make the following

(i) that first and foremost the Sultan should be paid a salary of £.100 per annum. This would be additional to his salary as President of his Court, which is also £.100 per annum.

(ii) that as regards a "dar" (vide para. 13 of my letter of 13th February) we should encourage the settlement of Fellata between Abu Urug on the Rahad and the Blue Nile by;-

(a) discouraging the sttlement of Fellata in adjoining provinces, e.g. Kassala and Fung, where they are of less labour value to the country, than inside the Gezira Scheme,

(b) digging a well and founding a village in the long waterless stretch between Abu Urug and the Dinder (Dar Chemola),

(c) digging two wells and founding villages in the neighbourhood of, but rather south of, Dar Chemola,

(d) taking in the village of Talha which is practically opposite Maiwurno on the opposite side of the Nile but which is in Fung Province.
This is a large village of Fellata which was founded long before Maiwurno's village but the last descendant of the original founder has died and there is a distinct tendency on the part of the Sheikhs to join up with the Sultan. He showed me the other day applications from three Sheikhs involving some 350 men who wished to join him. This tendency will probably continue and there is little likelihood of any difficulty of eventually bringing the village under the Sultan's authority.

(11) The Kawahla sphere of influence comes as far south as the village of Endiraba, but it need not come farther south than that. Anything farther south to this province boundary might be considered as the Sultan's domain. Actually, of course, it would not be much of a "dar"; it would be a long narrow stretch of land stretching from the Nile to Abu Urug, but I think this would suffice for our present purpose.

To.

(12) One possible objection which might be raised is that, by encouraging settlement on the Dinder and Rahad we run the risk of encouraging an eastern movement to the detriment of labour inside the irrigated area. I do not think there is anything in this; as long as the Sultan has his headquarters at Maiwurno he should be able to settle villages inside the Scheme and to keep a hold on his people on the Rahad and Dinder. If Fellata migration is discouraged in Kassala Province the above proposal should have the effect of withdrawing Fellata back to Maiwurno's authority.

(13) As regards visits by the Sultan to Fellata in other provinces, I consider it very difficult in principle to refuse any request he might make. I am sure that he clearly understands the impossibility of Fellata in other provinces being directly subject to his authority. I think that if we encourage him in this province he will not attempt to visit other provinces and should he ask to do so it should be quite easy to persuade him to send his son instead.

(14) The cost of the above policy is an annual expenditure of £.100 as salary for the Sultan and a capital expenditure of £.200 which I estimate should cover cost of wells on the proposed digging. If my proposals are approved, I should like financial authority, at any rate for digging the wells, at once, so they can be finished before the rains.

(15) I spoke to Mr.MacMichael and Mr.Huddleston on this subject when in Khartoum on Saturday.

(16) I recently had an opportunity of discussing this policy with Mr.Kennedy Cooke, District Commissioner Gedaref who considered it to be unobjectionable.

[signature]

GOVERNOR,
Blue Nile Province.

B/S.

Copies to;-

The GOVERNOR, Kassala,
" " Fung,
" DISTRICT COMMISSIONER, Makwar
" " " Gedaref.



واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

بيان مشترك من الاتحاد الوطني التشادي وجبهة تحرير تشاد ملحق (11) صونمرنيالا

تقديرا للمصلحة الوطنية العامة وقياما بالواجب المقدس وتحقيقا للرغبة الشعبية العظيمة ، فقد تقابل وفد الاتحاد الوطني التشادي مع وفد جبهة تحرير تشاد مايين ١٩ الى ١٩٦٦/٦/٢٢م وبعد تبادل وجهات النظر وبحث كل الوسائل التي الى الهدف المنشود وهو تحرير الوطن العزيز فقد قرر الوفد ان توحيد المنظمتين في جبهة واحدة وسميت المنظمة الجديدة جبهة التحرير الوطني التشادي ٠

وعليه فان جبهة التحرير الوطني التشادي هي المنظمة الوحيدة التي تقود العمل الثوري المسلح ابتداء من يوم ١٩٦٦/٦/٢٢ ، وقد شكلت لجنة مركزية من ٣٠ عضوا بمعدل ١٥ من كل طرف كما شكلت سكرتارية عامة من عشرة اعضاء خمسة من كل جانب وانتخب السيد / ابراهيم ابتشه سكرتيرا عاما كما انتخب وفد مكون من أربعة اعضاء لتمثيل الجبهة بالخارج برئاسة السيد / أبوبكر جلابو عثمان وقد تركت مقاعد شاغرة في اللجنة المركزية للهيئات الاتية :-

١) الحركة النقابية ١ مقعدا
٢) المنظمات الطلابية ٢ مقعدا
٣) المنظمات النسائية ١ مقعدا
٤) ممثلوا التجار ٢ مقعدا

وقد اتفق الوفدان على برنامج العمل المكون من ثمان نقاط ونصه كالاتي :-

١) الكفاح بكل الوسائل لقلب الحكم القائم الذي هو عبارة عن استعمار جديد دكتاتوري فرضته فرنسا على شعبنا منذ ١١/اغسطس/١٩٦٠ بعد أن رفعت الى الحكم جماعة من الناس هي بمثابة دمية مطيعة وحافظت عليها لتنفيذ سياستها الجديدة الرامية الى تأييد التسلط والاضطهاد واستغلال شعبنا استغلالا فظيعا وبشكل جديد اكثر دقة واكثر خطرا ووحشية والذي يتمثل في الاستعمار الجديد ابتغاء غزو استقلالنا الوطني من جديد ٠

٢) جلاء كل القواعد والجيوش الاجنبية المتمركزة في تراب وطننا والتي تشكل بهذه الكيفية خطرا دائما لا بالنسبة لتشاد وحدها فحسب ولكن بالنسبة للبلدان الافريقية الشقيقة الاخرى ٠

٣) تأسيس حكومة قومية وطنية ديمقراطية وشعبية وتحقيق ديمقراطية واسعة تقدمية وذلك بالاعلان عن حرية الصحافة والكلام والاجتماع وحرية المعتقد والتجول (في داخل البلدان وخارجها للابوتها) وحرية تكوين الجمعيات و ٠٠٠٠٠٠٠ الخ واصدار العفو عن المعتقلين السياسيين ٠

٤) تطبيق سياسة ملائمة والوضع في الارياف اي تحقيق اصلاح زراعي جذري اعتمادا على مبلدة (الارض لمن يفلحها) وتوزيع الاراضي مجانا على

١٨٤

مؤتمر نبالا

على مستحقيها ،ومساندة الفلاحين مساندة فعالة في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،ورفع وضمان وارقرار الاسعار للمنتوجات الزراعية وتطويرها ..

٥) رفع اجور العمال والموظفين والجنود بمقدار الثلث ،والغاء جميع الضرائب والمهام المفروضة جبرا ، خفض الغرامة الشخصية ايجادا للعمل للعاطلين تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة معالجة المرض مجانا التحسين المستمر للظروف المعيشية للشعب .

٦) تشجيع وحماية متوسطي وصغار التجار من الشركات الاجنبية الكبيرة الغاء الاحتكار الاقتصادي الذي تقوم به البلدان الامبريالية وخاصة فرنسا وغيرها من اعضاء السوق الاوربية المشتركة . تأميم القطاعات الرئيسية في الاقتصاد ، تشييد اقتصاد وطني مستقل تطبيق سياسة معقولة وعادلة .

٧) تشييد ثقافة وتربية ديمقراطية تقدمية ذات طابع وطني جعل اللغة العربية والفرنسية للغتين رسميتين ، المكافحة ضد الامية بقصد القضاء عليها بصفة نهائية .

٨) ربط علاقات ديلوماسية مع جميع البلدان (ماعدا اسرائل وجنوب افريقيا) على اساس مبادئ مؤتمر باندونج والمبادئ الخمسة للتعايش السلمي ، تطبيق سياسة خارجية حيادية ايجابية مساندة حركات التحرير الوطني ،والدفاع بتشاد عن السلم العالمي وقد اتفق الوفدان أيضا على أن يكون علم الثورة مكونا من الالوان الاتية : ١ــ أحمر فوق ٢ــ ازرق تحت ٣ــ أبيض على العمود وبداخله هلال ونجمة خضروان .. كما أقر الوفدان على أن يكون يوم ٢٢/٦/ يوم التضامن مع شعب تشاد .

والله الموفق ، النصر او الموت ،

تحريرا في يوم الاربعاء ٢٢/٦/١٩٦٦

" اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني التشادي "

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق (٩)

بيان من جبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي الي الشعب التشادي المناضل والي جميع الثوار في معركة التحرير بل (والي كل من تهمهم القضايا التحررية لكل الشعوب المظلومة والمغلوبة على امرها) مؤتمر صحفي

انه من دواعي سرورنا ان نعلن لاول مرة هذا البيان الحاسم الذي نعتبره القوة الضاربة للاستعمار والامبريالية والعملاء في بلادنا .

لقد كان الواجب يحتم علينا ان نضع كل الامور في نصابها منذ اول .. وهلة .. كما تعلمون جميعا ايها الاعزاء انه منذ بداية الحركة الوطنية في بلادنا كان كل منا يعمل بوسائله الخاصة التي يراها مناسبة لتحرير وطننا العزيز ولكن لاحظنا في الاونة الاخيرة ان العمل في تشتيت الصف كان ان .. يؤدي الي زعزعة الثقة بين بعض العاملين في حقل التحرير وبالتالي كاد العدو ان يبلغ مراده .

رأينا ان نحسم الامر لنفوت للعدو الفرصة باسرع ما يمكن لنكون قوة ضاربة ضد الاستعمار وعملائه .

ومن اجل هذا اجتمع الطرفان بحضور الاخوة الـ الحادبون على وحدة الصف الوطني في بلادنا في يوم الاثنين ٢ ... رجب سنة ١٣٨٦ هـ الموافق: ٣١ / اكتوبر سنة ١٩٦٦ بحضور وفد من الطرفين جبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي .

وفد من الجبهة :

١) السيد / حسن احمد موسى	رئيس الجبهة
٢) السيد / حسن محمد مالك	عضو الجبهة
٣) السيد / ادريس اسحاق	سكرتير شئون الثقافة .
٤) السيد / ادم احمد عبد الله	

وقد مثل الاتحاد :

١) السيد / محمد الباقلاني	عضو وفد الخارجي
٢) السيد / صالح عبد الله	عضو الاتحاد

هذا وقد كان الاجتماع وديا ومثمرا وعميقا تبودلت فيه الثقة بين الطرفين وقد بحث الموقف من جميع جوانبه السياسية والعسكرية والاقتصادية واتفق المجتمعون بحمد الله على الاتي :

١ / ضم الصف الوطني التشادي وتوحيد الميزانية .

٢ / يكون مجلس رئاسي مؤقت من اربعة اعضاء .. اثنان من كل طرف ويتولى هذا المجلس كل شئون الرئاسة .

مؤتمر مدني

٢/ واتفقنا بالتراضي على ان يتألف مجلس الرئاسة على النحو التالي :
من جانب الجبهة :

السيد / حسن احمد موسى ....
السيد / يوسف محمد على ....

من جانب الاتحاد :

السيد / ابراهيم اباج ....
السيد / محمد الباقر ....

هذا واذا غاب ثلاثة منهم يكون الرابع الموجود في مقر الرئاسة حتى مراعية الجميع مجتمعين وتكون السكرتارية ايضا بنفس اسلوب تكوين مجلس الرئاسة .

٣/ اثناء هذا التكوين والعمل المشترك يتم الاتصال بالداخل والخارج لازالة ما علق بالاذهان من الرواسب الماضية ويتم التنظيم على المستوى السياسي والعسكري .

٤/ يقدم المجلس الرئاسي والسكرتارية المؤقتة لجبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي دستورا للقاعدة الشعبية ... دراسة البرنامجين واختيار الاليق منهما فيتم وضع الدستور الدائم للثورة .

٥/ انتهيت الاتفاقية التي انبثقت منها جبهة التحرير الوطني التشادي .

٦/ على اللجان الفرعية ان تعمل متحدة تحت الاسم الجديد جبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي) بمجرد ابلاغهم بوصول هذا الاتفاق .

٧/ يقبل ان تعلن وحدة الهيئة دون انتخاب اذا تراضي الطرفان بالاجماع على ان ينظم العمل الدائم بالدستور الدائم للثورة .

٨/ يمكن التعديل او الحذف او الاضافة من المقترحات المتفقة عليها في هذه اذا وردت اقتراحات اخرى وافق عليها اعضاء مجلس الرئاسة الموجودون بالاجتماع

٩/ تصدر البيانات وكل مايتعلق بالاعلام باسم مجلس الرئاسة بالاجماع .

١٠/ تكون الجلسات دورية كل شهر . هذا وقد طلبت لجنة الوفاق ان يكون الشهر الاول برئاسة السيد / حسن احمد موسى وذلك لانه قد تفاءل بان الامر كله سوف يحسم في خلال شهر ان شاء الله وهكذا تستمر الدورة شهرية حسب الاتفاق .

١١/ يعمل ختم مؤقت بالصيغة الاتية :

((اللجنة المؤقتة لجبهة تحرير تشاد . الاتحاد الوطني التشادي))

١٢/ تتكون هيئة السكرتارية من عشرة اعضاء : خمسة من كل جانب ويترك لكل طرف حق الاختيار مع مراعاة الكفاءة .

امضاء :　　　　والله ولي التوفيق .

حسن احمد موسى

محمد الباقلاني
ادريس اسحق
ادم احمد عبدالله
صالح عبدالله ادم
حسن محمد مالي

بناء علي هذا اجتمع الطرفان بمقر الرئاسة في يوم السبت ٢٢ رجب سنة ١٣٨٦هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩٦٦ وتم تشكيل مجلس الرئاسة علي النحو التالي :

من جانب الجبهة :

مجلس الرئاسة :

السيد / حسن احمد موسي رئيس الدورة
السيد / محمد حسين خليل عضـــوا

من جانب الاتحـــاد :

السيد / ابراهيم اباجة
السيد / محمد الباقلاني
السيد / السكرتارية من جانب الجبهة
السيد / يوسف محمد علي
السيد / موسي عمر شعيب
السيد / حسن اسحاق عبد الله
السيد / ادريس اسحق عمر
السيد / عثمان مالك عثمان

ومن جانب الاتحاد :

ابوبكر جلابو عثمان
السيد يوسف جمعة قوني
السيد /
السيد / نظر نصر ذهب
السيد / صالح عبد الله ادم

صدر هذا البيان من مجلس الرئاسة للجنة الموقتة لجبهة تحرير تشاد والاتحاد الوطني التشادي

امضاء

حسن احمد موســـي
رئيس الدورة

بسم الله الرحمن الرحيم

"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" (صدق الله العظيم)

اللائحة التنظيمية العامة لجبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينا)

قنوات البركان - النصر أو الشهادة

المادة الاولى

(المبادئ العامة)

اولا : - ان فرولينا هي منظمة الطلائع الثورية و اداة الشعب المناضلة فهي القوة التي تنظم و تجمع الكتل الشعبية وتوجه نشاط الجماهير التشادية و تقود ثورة التحرير تحت شعار النصر أو الشهادة حتى تتم تصفية الحكم العميل في تشاد و تحقق اهداف الشعب التشادي في :

أ) القضاء على الاستعمار بنوعيه القديم والحديث محليا ودوليا .

ب) تشييد مجتمع عادل وفق المبادئ الاسلامية ليؤكد على :

١- ترجمة ارادة الاغلبية مع تأمين و صيانة حقوق الاقلية .

٢- المحافظة على الحريات العامة دون تمييز بين الجنس أو العنصر أو الدين .

ثانيا : - ان (فرولينا) هي منظمة قومية سياسية منبثقة من ارادة الشعب التشادي مستمدة وجودها من رغبات لتباشر مسؤليتها الثورية بحمل راية الكفاح المسلح معبئة لذلك كل الطاقات البشرية و المادية و الروحية للشعب ، مستلهمة برامج سيرها من واقع الشعب المعاش . و التجارب مع متطلبات الثورة الاساسية و المسترشد بتقاليد الشعب الدينية و تراثه الاصيل .

ثالثا : - ان ميدان (فرولينا) الاساسي هو نطاق القطر التشادي كله .

رابعا : - ان (فرولينا) تتعاون و تنسق جهودها مع كافة المنظمات التحررية و الثورية في العالم لمحاربة الاستعمار و الصهيونية و خصوصا في البلدان الافريقية والعربية .

خامسا : - ان مبدأ (فرولينا) الاداري يقوم على أساس الديمقراطية المركزية و القيادة الجماعية و ذلك :

١- انتخاب كل الهيئات القيادية من القاعدة الى القمة .

٢- مسؤلية كل الهيئات القيادية امام ناخبيها و الهيئات العليا و تقديم تقارير منظمة لها .

٣- حرية المناقشة في كل المشاكل المطروحة قبل اتخاذ القرار و بعد اتخاذ القرار تخضع الاقلية لرأي الاغلبية و يجب عليها الالتزام بالقرار و تطبيقه .

٤- كل القرارات التي تتخذها الهيئات العليا يجب تنفيذها من طرف جميع الهيئات والاعضاء .

٥- احترام السلم التصاعدي واجب على الجميع .

المادة الثانية

(العضوية)

المبدأ الاول (الشروط)

أ) يستطيع أن يكون عضوا عاملا في اطار الجبهة كل تشادي و تشادية ينضم في احدى

١٨٩/١

ملحق (١١)

FRONT DE LIBERATION
NATIONALE DU TCHAD

" VAINCRE OU TEMOIGNER "

جبهة التحرير
الوطني التشادية

« النصر او الاستشهاد »



رسالة رقم (٤٠)

BULLETIN D'INFORMATIONS
DES FORCES POPULAIRES DE LIBERATION

النشرة الإعلامية لقوات التحرير الشعبية

بسم الله الرحمن الرحيم
« وصلى الله على نبيه أشرف المرسلين »

حضرة الأخ / مطر تنسير

المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كيف الأحوال - نحن جميعنا بخير
يا أخي الرجاء منك الحضور في خلال يوم
من تاريخ وصول هذا الخطاب والسلام
ممثلوا لك أعضاء اللجنة العسكرية العليا

١) يوسف طيبة
٢) ابراهيم ابو بكر يوسف
٣) يحيى حسن جبار
٤) ابو بكر كبير
٥) محمد مصطفى

٢٥٨

صورة حديثة [illegible] ١٩٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

* سيرة مختصرة (ذاتية)

- محمود آدم السندي

- من مواليد عام ١٩٢٢ بقرية صليبة التابعة لبليد
من أم التيمان حين كانت تشاد تسمى بالسودان الفرنسي
والسودان يسمى بالسودان الإنجليزي

- ترحلت إلى دارفور أواخر عام ١٩٤٢ بغرض الالتحاق
بأمر الآلاي مجندًا بالجيش السوداني أيام فترة
الحرب العالمية الثانية

- من قبيلة أحمد بن عامر بن حسب الله بن جماد بن الجنيد
أبناء شديد شاكر بن أحمد الأجزم بن عامر وهذا
شقيق كل من أحمد تعيش وجبريل المتروك وسالم

- تلقيت تعليمي الأولي بخلوة أم التيمان
ودرست القرآن والفقه على يد سيدي أبكر [illegible]

- الأب كان من الإقطاعيين (ملاك الأراضي) آنذاك

- التحقت بالجيش السوداني بتاريخ ١/ يناير ١٩٤٢م
بفرقة العرب الغربية بدارفور ـــ الفاشر
وتدرجت من رتبة الجندي حتى رتبة الملازم أول

- درست لمدة كورسات داخل الجيش
وقد تمكنت من [illegible] وهضم كثير من [illegible]

ملحق (١٣)

جمهورية تشاد　　　　　　　　　　وحدة – عمل – تقدم

وزارة التربية الوطنية

أمانة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تشاد

المعهد الوطني للعلوم الإنسانية

مشروع بحث علمي

العنـــــــــوان : تجميع الوثائق والمخطوطات باللغة العربية في تشاد .

القطـــــــــاع : وزارة التربية الوطنية .

القطاع الفرعـــــي : إدارة البحث العلمي والفني .

المكــــــــان :

١- تشاد : شرق ووسط البلاد .

٢- الشرق الأوسط ، المغرب والدول المجاورة .

الجهة الحكومية المنفذة : جامعة تشاد (المعهد الوطني للعلوم الإنسانية)

جهة التنفيذ الخارجية :

تاريخ البدء : عند الحصول على الإمكانية .

المدة : سنة .

جملة تكلفة المشروع : (٢٦,١٥٠,٠٠٠ فرنك أفريقي)

المبررات لقيام المشروع :

١/ إن اللغة العربية لعبت دورا هاما في إدارة الممالك السابقة (كانم – وداي – باقرمي)

٢/ إنها كانت لغة المراسلة بين الممالك والجيران وأيضا تستعمل حاليا كلغـــة رسميـــة وتجارية في البلد .

٣/ ومعلوم أن كل الوثائق والمخطوطات باللغة العربية في تشاد في شتى الأوجـــه لم يتـــم جمعها في مركز بحث علمي حتى تسهل مهمة الباحثين الوطنيين والعالميين .

٤/ كل هذه الوثائق والمخطوطات توجد حاليا مبعثرة والبعض منها في أيدي أفراد وصلت إليهم عن طريق الإرث والشراء أو النهب أو بين أيدي الزعماء التقليديين أو خارج شاد في مكتبات دول مجاورة أحيانا ، إنما في طريقها للضياع نظرا لعدم الحفاظ عليها في أماكن مضمونة .

الأسباب :

يقوم المعهد الوطني للعلوم الإنسانية بجمع هذه الوثائق والمخطوطات والحفاظ عليها في مكتبة حتى يسهل عمل الباحثين الأجانب والعاملين بعد ترجمتها إلى عدة لغات . وهذه الوثائق يمكن أن تكون أساسا للتعاون والتبادل بين مؤسساتنا وبعض المعاهد التي لها بعض الطموح.

الأهداف :

١-وضع تحت تصرف هذه المعاهد والباحثين كل المخطوطات باللغة العربية على التاريخ والجوانب الاقتصادية والاقتصادية -الاجتماعية والاجتماعية -الثقافية ...الخ عن شاد.

٢- أن يتكون بشكل تدريجي مصرف للمعلومات في العلوم الإنسانية يكون متاحا للباحثين في جميع المجالات .

النتائج :

١- خلال سنة يمكننا جمع وتحليل وترتيب كل هذه الوثائق باللغة العربية المذكورة أعلاه .

٢- كما سيتم تدريب تدريجي للباحثين المكلفين بتنفيذ المشروع .

النشاطات :

- تحديد مناطق البحث . - البحث عن تمويل استكمالي .
- جمع وتحليل وترتيب الوثائق . - صياغة الوثائق الأخيرة .

المساهمات :

الحكومة : وضع تحت تصرف المشروع :

- الإطار العلمي .
- معدات البحث لوكالة التنفيذ .
- إعفاء المعدات اللازمة عن الضريبة الجمركية وبقية الضرائب .
- دعم إداري : تصريح البحث للباحثين المشاركين ، الضمانات الاجتماعية والأمنية أثناء تجولهم .....الخ .

الممولون :

- تمويل المساعدات الفنية .
- تمويل البحث .
- تمويل تدريب الباحثين .

حالة التمويل :

- المعهد الوطني للعلوم الإنسانية - جامعة شاد (٢٦٠٠٠٠٠) فرانك .

- جهات التمويل الأخرى : ١٢٥٥٠،٠٠٠ فرانك (تمويل في الطريق للبحث عنه)

تفاصيل الاحتياجات :

١) الطاقم الإداري

النوعية	العدد	شهريا	سنويا	التكاليف
رئيس المشروع	١	٢٠ساعة	٢٤٠ساعة	١٨٩٠٠٠٠
أستاذ مساعد أو أستاذ بحث	١	٢٠ساعة	٢٤٠ساعة	٩٩٠,٠٠٠
مساعد أو ملحق للبحث	١	٢٠ساعة	٢٤٠ساعة	٧١٠,٠٠٠
السائق	١		١٢ × ٢٥٠٠٠	٤٢٠,٠٠٠
تكاليف كسب المعلومات				٤٠٠,٠٠٠
الطباعة				١٥٠,٠٠٠
تكاليف الإنتاج				٣٠٠,٠٠٠
الجملة	٤	٦٠	٧٢٠	٤,٨١٠,٠٠٠

٢) تدريب وأخبار

طبيعة التدريب	الشخصيات المشاركة	التكاليف
ندوة حول نتائج البحث المدة : أسبوع	١٥ مشاركا ٣ مدربون (وطنيون وعالميون)	المساعدات : ٣١٥,٠٠٠ نفقات التدريب : ٤٠٠,٠٠٠ قهوة وما شاكلها : ٦١٠٠٠
استشارات خارجية	مستشار عالمي واحد	١٠٠٠٠٠٠
الجملة		١٧٧٧٠٠٠

٣) المعدات

النوعية	الكمية	التكاليف
اشتراء سيارة	١	١١,٠٠٠,٠٠٠ مع إمكانية إعفاء الجمارك
آلات تصوير وما يتبعها	١	٥٠٠,٠٠٠
الجملة		١١,٥٠٠,٠٠٠

٤) تشغيـــــل

النوعية	الكمية	التكاليف
تشغيل وصيانة السيارة	زيت المحرك/ ٤×٤×٣٣٥٠٠ زيت تروس/ ٤×٢×٢١١٠٠ زيت الفرامل/ ٤×١×١٠٥٠٠ قطع غيار : يد عاملة :	٥٣٦٠٠ ١٧٦٠٠ ٤٢٠٠ ٣٠٠,٠٠٠ ٦٠,٠٠٠
تشغيل وصيانة السيارة	غاز سنوي / ٣٠٠ ٧ ب صيانة	٤٠٠,٠٠٠ ٢١١٧٨٨٠
إشراف المعهد نفقات الاتصالات نفقات الإنتاج للطباعة نفقات آخر نتاج		٤١٨٧٨٨٠
المنوعات والاحتياطات الأخرى		٤٠٠,٠٠٠
الجملـــــــــة		٧٦٤٠٢٨٠

٥) الميزانية بالفرنكات الإفريقية

أسباب ا لصرف	الحكومة	المولون	معا
الطاقم الإداري	١	٣,٨١	٤,٨١
معـــــــدات	٠,٥	١١	١١,٥
تشغيـــــــل	١	٦,٦٤	٧,٦٤
إعداد وتدريب معاملات أخرى	١	١	١
احتياطـــــات	٠,١	٠,٣	٠,٤
الجمـــــلة	٢,٦	٢٢,٥٥	٢٦,١٥

ملحق (١٤)

قائمة الوثائق والمخطوطات العربية

بجامعة تشاد

المعهد الوطني للعلوم الإنسانية

١- التونسي ، الشيخ محمد بن عمر : رحلة إلى وداري : سجلها عام ١٨١٠ - ١٨١١م ٦٤٠ صفحة .

٢- إبراهيم ، حسين : إلى طيبة المختار . كتبت بتاريخ ١٩٧٨/١/٢م في أبشة قصيدة ، ٤ صفحات .

٣- المدموري ، آدم محمد محمود : سفينة الإنقاذ في صلاة الإنقاذ ، كتاب فقه ٣٦ صفحة.

٤- حلو ، الشيخ محمد بن آدم بن جبر البرناوي : المدد الفائق الزائد ، شرح المنظومة المسماة دليل القائد ، عدد الصفحات ١١٧ .

٥- حلو ، الشيخ محمد بن آدم بن جبر البرناوي : فتح الرحيم المجيد في شرح منية المريد ٤٧٢ صفحة (طبع) .

٦- بحر ، علي آدم : عين المراد ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٧- بحر ، علي آدم : مرآة القلب ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٨- بحر ، علي آدم : جار السوء ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٩- بحر ، علي آدم : رثاء والدة آدم بحر سمو ، قصيدة ، صفحة واحدة.

١٠- بحر ، علي آدم : ترى الحب من قلبي ، قصيدة ، صفحة واحدة .

١١- بحر ، علي آدم : الصلاة عليك يا أصل البرايا ، قصيدة ، صفحة واحدة .

١٢- بحر ، علي آدم : هاجني شوقه وزاد اتقادي ، قصيدة ، صفحة واحدة .

١٣- بحر ، علي آدم : يروى بها زهر ، قصيدة ، صفحة واحدة .

١٤- حلو ، الشيخ محمد بن آدم بن جبر البرناوي : شرح المنهل ، كتاب ، ٦١ صفحة .

١٥- المهدي ، محمد بن الشيخ إبراهيم : كشف الغوامض من ذوي الفرائض ، تاريخ التأليف ١٩٥٧/٩/٢٨م فورلامي ، كتاب في علم الميراث ، ٧٦ صفحة.

١٦- المسيري ، الشيخ علي أحمد المتاني : شرح بلغة المريد ومشتهى الموفق السعيد ، كتاب في التصوف ، ٣٣ صفحة .

١٧- المسيري ، الشيخ علي أحمد المناني : شرح الألفية الكافية الوفية لطلاب السادة الصوفية ، كتاب في التصنوف ، ١٦٦ صفحة .

١٨- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : لمحات من تاريخ شـاد الإسـلامي ، كتـب بتـاريخ ١٩٦٢/٩/٣٠م ، ٧٩ صفحة .

١٩- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : تعليق على أعمال الشيخ الرماسي حول حادثة الكبكب ، كتب سنة ١٩٦٢م في أبشة ، ٥ صفحات .

٢٠- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : شرح منظومة التوسل للشيخ طاهر التلبي الحيمـادي ، ألف في أبشة ، ١٩٦٢م ، ٦ صفحات .

٢١- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : شرح ألفاظ قصيدة الشيخ عبد الحق السنوسي المسماة : المنظومة التوحيدية ، ٥ صفحات .

٢٢- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : نفحات من تراث أجدادنا علماء أبشة ، ألـف سـنة ١٩٦٢م في أبشة ، ٣٣ صفحات .

٢٣- طاهر ، الحاج سعد :رسالة الوصايا والإرشاد لأحد كبار علماء شاد . ١٦ صفحة .

٢٤- بحر ، علي آدم : بحب رسول أشدو وأطرب ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٢٥- بحر ، علي آدم : شربت كأسا من خمور تختلف ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٢٦- بحر ، علي آدم : فأفصحت عما في ضميري ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٢٧- بحر ، علي آدم : وقفت بباب ربي أسأل ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٢٨- بحر ، علي آدم : فذي صورة ، قصيدة ، صفحة واحدة .

٢٩- ابن سلام ، الفقيه سليمان بن زكريا : مصرع الحسين بن علي بن أبي طالب ، كتاب سيرة ، ٨٤ صفحة .

٣٠- ابن محمد ، عبد الله : قرة العين في أخذ ثأر الحسين ، عدد صفحاته ٧١ .

٣١- ابن موسى ، أحمد: وثيقة إلى العالم الشادي سيدي محمد بن سليمان، يعترف فيها بمكانته العلمية بعد محاورات علمية جرت بينهما ، صفحة واحدة.

٣٢- ابن صالح ، حسب الله بن عبد القادر بن فضل : (كتاب بدون عنوان وموضوعه سيرة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) وكان الفراغ من تأليفه يـوم الأحـد ٢٢/ رمضان ١٢٨٢ هـ ، ٨٨ صفحة .

٣٣- المجيري ، عبد الله يونس : أيا من لهم في الأمر عهد تقدما ، سـدة ، أبشة ، ٣ صفحات .

٣٤- البشاري ، عبدالرحمن : تظاهر الشاد في أثوابه القشب ، قصيدة ، صفحتان.

٣٥- المحيري ، عبد الله يونس : أزف لها من القلب التهاني ، قصيـــدة كتبت سنة ١٩٦٤م ، في أبشـــــة ، صفحة واحدة .

٣٦- عبد الواحد ، عباس :في رحاب رمضان ، قصيـــدة ، صفحة واحدة .

٣٧- عبد الواحد ، عباس :بزوغ النور ، قصيـــدة ، صفحتان .

٣٨- عبد الكريم ، الشيخ أحمد (الملقب بطبيق) :الناسخ والمنسوخ ، كتاب منظوم ١١ صفحة .

٣٩- نسخة من جريدة كوكب شاد ، التي كانت تصدر باللغة العربيـــة أيـــام الاســـتعمار الفرنسي ، العدد السابع مايو ١٩٥٤ ، ، صفحات .

٤٠- البرعي ، الشريف أحمد البرعي بن محمد ، كتاب سرية الطلاب لتعليـــم الأحبـــاب في النحو والصرف ، ٢٢ صفحة .

٤١- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : كتاب منهل الظمآن في العقائد ، ٥١ صفحة .

٤٢- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : عقد الجيد في التوحيد ، ١٩ صفحة .

٤٣- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : كتاب وجيزة المسالك في التوحيد ، صفحتان .

٤٤- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : كتاب السر المصان في مولد النبي العدنان ، ألـــف سنة ١٣٦٠هـ ، ٣٣ صفحة .

٤٥- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : صلاة الواحد الفرد ، قصيدة صفحة واحدة .

٤٦- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : كتاب منحة المنان في مدح النبي العدنـــان ، عـــدد أبياته (٩٠٤) أبيات ، ٨٧ صفحة .

٤٧- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد: كتاب بهجة المشتاق في التوسل بأسماء الخلاق ٧ صفحات .

٤٨- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : كتاب سيف النصر في أعداء كل عصر ، ألف ليلة الأثنين ٢١ رمضان ١٢٩٢هـ الموافق ١٩٧٢/١٠/٣٠م ، ٩ صفحات .

٤٩- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : غلة الأبرار وقمع الفجار ، ٥ صفحات .

٥٠- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : تخميس الجدول ، ٥ صفحات .

٥١- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : البائية ، قصيدة ، ٥ صفحات .

٥٢- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : أسد الغابة في التوسل بالنبي والصحابة رضـــي الله عنهم ، ٣ صفحات .

٥٣- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : الفرقد الوقاد ، ٦ صفحات .

٥٤- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : الله جلا علاه دائم الوجد ، قصيدة ٤ صفحات

٥٥- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : الجلجلوتية ، قصيدة ٧ صفحات .

٥٦- البرعي ، الشريف أحمد بن محمد : مناجاة رسول وزيارته ، قصيدة صفحتان .

٥٧- الترجمي ، عبد الحق بن صاحب الجامع السنوسي : تبصرة الحيران من هول فتن الزمان ، كتاب ١١ صفحة .

٥٨- الترجمي ، يعقوب بن بسط خليل : مسالة التوحيد ، ٥ صفحات .

٥٩- الموباوي ، يوسف بن سعيد : منظومة الترغيب في اخذ العلم وطلبه ، ٢٢ صفحة.

٦٠- المدموري ، آدم محمد محمود : ثلاث رسائل مهمة ، ٣٢ صفحة .

٦١- الترجمي ، عبد الحق السنوسي : النونية الكبرى ، قصيدة ٣٧ صفحة .

٦٢- المدموري ، آدم محمد محمود :البهجة الفريدة على الياقوتة الفريدة ، (مشروع كتاب لم يكتمل) ١٧ صفحة .

٦٣- المدموري ، آدم محمد محمود: المحكم المتين على الضروري من أحكام الدين(مشروع كتاب)

٦٤- إبراهيم ، حسين : ديوان شم النسيم ، ٢٤ صفحة .

٦٥- المسيري ،الشيخ علي أحمد:مواهب العلي في نظم ما جاء في الأخضري ، ٣٨ صفحة .

٦٦- المسيري ،الشيخ علي أحمد : القول الحثيث في علم المواريث ، ٢٦ صفحة.

٦٧- ضياء الدين ، محمد العالم : مفيدة الطالب ، ١٠ صفحات .

٦٨- طاهر ، المقريء القوني حسن عمر : رسالة دليل الحيران إلى قواعد أبي سعيد عثمان ، كتاب في التجويد ، ٣٤ صفحة .

٦٩- طاهر ، المقريء القوني حسن عمر : الهداية الربانية إلى ما خالف فيه أبو عمر الدوري ورشا من طريق الشاطبية ، كتاب في التجويد ، ٧٨ صفحة .

٧٠- عبد الواحد ، عباس :الملامح (قصائد) ، ٤٣ صفحة . (طبع في سنة ١٩٨٢) .

٧١- الراشدي ، القوني الصافي جابر : رحلة الشوق ، قصيدة .

٧٢- آدم ، أحمد بين : كريو وكرتال (مجموعة شعرية بالعامية الشادية) .

٣٩ صفحة (طبعت في فرنسا عام ١٩٨٨) .

٧٣- طاهر ، الشيخ حسن عمر : الفتح الرباني فيما خالف فيه قالون ورشا من حرز الأماني ، ٢٤ صفحة .

٧٤- محمد ، الأستاذ/ عثمان علي : رسالة في سبيل الحق والإسلام ، ٧٢ صفحة (كتبها في أبشة بتاريخ ١٩٦٣/٣/١م) ، (طبعت) .

٧٥- بركة ، الشيخ القوني جبريل بركة حسين : الدر المنثور في تقريب رواية الدوري ٢٦١ صفحة

٧٦- بركة ، الشيخ القوني جبريل بركة حسين : كتاب الدرر النضيرة في أوجه عثمان أي ورش أبي سعيدة ، ٩٢ صفحة .

٧٧- بركة ، الشيخ القوني جبريل بركة حسين : رسالة البيان فيما اختص به قالون عن عثمان أي ورش ، ٣٠ صفحة .

٧٨- أحيمر ، القاسم العسيل أحمد : ديوان شعر بعنوان : حب الوطن من الإيمان ٣٣ صفحة .

٧٩- يوسف ،الشيخ نصر : ديوان شعر بعنوان : القول الجلي على مختصر الأخضري ، ١٨٥ صفحة (طبع) .

٨٠- احيمر، القاسم العسيل احمد مجموعة شعرية (مكونة من ٢١ قصيدة).

٨١- اسحاق ، عز الدين مكي : مجموعة شعرية (مكونة من ٣١ قصيدة).

٨٢- الابقاري ، محمد أمين أبا : مجموعة ابقاريات (شعر) (٧ قصائد).

٨٣- ابه ، عبد القادر محمد : مجموعة شعرية (مكونة من٢٢ قصيدة).

٨٤- حسين ، الأستاذ عبد الرحمن : مجموعة شعرية .

٨٥- آدم ، هارون محمد : الزئبق الأحمر ، قصائد شعرية ٢٣ صفحة .

٨٦- آدم ، هارون محمد : فلنكتشف بلادنا الغراء ، مجموعة قصائد ، ٣٧ صفحة

٨٧- آدم ، هارون محمد : نبضات من فؤاد يتفجر ، قصائد شعرية ٢٢ صفحة .

٨٨- ابن التلبي ، الشيخ محمد طاهر : التوسل ، قصيدة طويلة.

٨٩- ابن التلبي ، الشيخ محمد طاهر : الكافية (مخمسة ٣٧ بيتا).

٩٠- ابن التلبي ، الشيخ محمد طاهر : الدرجات العلي ، قصيدة.

٩١- ابن التلبي ، الشيخ محمد طاهر : التائية الصغري ، قصيدة.

٩٢- ابن التلبي ، الشيخ محمد طاهر : المعالي السمية ، قصيدة.

٩٣- عبد الواحد ، عباس محمد : رثاء الشاعر عبد الله يونس الجبري ، قصيدة .

٩٤- المسيري ، احمد علي : الفتوحات الربانية علي المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

٩٥- الخباو ، مختار حسن : الرسالة المحمدية في المرأة السنية ، (منظومة مكونة من ١١٢ بيتا)

٩٦- عبد الواحد ، أستاذ / عباس : اترك عيوب الناس ، قصيدة .

٩٧- عبد الواحد ، أستاذ / عباس : من وحي الأسى ، قصيدة .

٩٨- محمد، الأستاذ /عثمان علي : شرح التوحيد (كتاب) .

٩٩- التجاني ، الحاج مكي عبد الله : اليواقيت والجواهر المضيئة في التصوف (مطبوع).

١٠٠- التجاني ، الحاج مكي عبد الله : سبيل السلام في الدفاع عن طريق السادة الصوفية الكرام (مطبوع).

١٠١- التجاني ، الحاج مكي عبد الله : طريق الهدي والرشاد في التصوف القديم ١٦٢ صفحة (مطبوع) .

١٠٢- ابن التلبي ، ديوان طاهر بن التلبي (مكون من ١٤ قصيدة) .

١٠٣- إبراهيم ، حسين : إلى طيبة ، قصيدة .

١٠٤- إبراهيم ، حسين : سلام ارضي مطلوبي ، قصيدة .

١٠٥- إبراهيم ، حسين : أخنا الحاجات فلتسرع ، قصيدة .

١٠٦- إبراهيم ، حسين : يا حبيب القلب ، قصيدة .

١٠٧- إبراهيم ، حسين : إلى برهام ، قصيدة .

١٠٨- المسيري ، علي احمد : إتحاف البررة في التوسل ، منظومة .

١٠٩- الترجمي ، عبد الحق السنوسي : الدالية ، قصيدة .

١١٠- الترجمي ، عبد الحق السنوسي : النونية الصغيرة ، قصيدة .

١١١- ابن فرتو ، الإمام محمد : أخبار وتاريخ وغزوات الومة إدريس ، ١٥٠صفحة .

١١٢- ابن فرتو ، الإمام محمد : ديوان سلاطين برنو ، ١٥ صفحة .

١١٣- وثيقة مرسوم من السلطان محمد إبراهيم بن صليح العباسي بتاريخ ١٢١٦هـ يهدي فيها مناطق للعالم الشيخ عووضة والفقيه طه .

١١٤- وثيقة مرسوم من السلطان محمد صالح محمد يوسف العباسي يعطي فيها الحلة المسماة جنقل للفقيه عووضة وجعلها محرما له لوجه الله بتاريخ ١٣٢١هـ .

١١٥- وثيقة مخطوط أعطى للسلطان الوداوي بموجبها حلة (باري) للشيخين عووضة وطه

١١٦- وثيقة من السلطان محمد صالح بن السلطان محمد يوسف العباسي أعطى فيها حلال أربع للشيخين عووضة وأخيه الفقيه طه وهذه الحلال هي : الجرماوية وأم هبيلة وانقرة ، ودنقس

١١٧- رسالة من السلطان محمد أصيل إلى أصحاب الحلال المهداة لهذين العالمين يؤكد فيها ملكيتهما لها من قبل السلطنة .

ملحـــق (١٥)

جمهورية تشاد

وحدة - عمل - تقدم

وزارة التربية الوطنية

الادارة العامة

قرار رقم ٢٧٦/و.ت.و/ا.ع/١٩٩٤

متعلق بادخال ازدواجية التعليم

في النظام التربوي التشادي

ان وزير التربية

- بناء على ميثاق الانتقالية.
- وبناء على المرسوم رقم٢٨٢/ر.ج/١٩٩٣ بتاريخ ١٩٩٣/٤/٩ المتعلق بنشر ميثاق الانتقالية.
- وبناء على المرسوم رقم ٧٢٨/ر.ج/١٩٩٣ بتاريخ ١٩٩٣/١١/٩ والمتعلق باختيار ثاني رئيس وزراء للفترة الانتقالية.
- وبناء على المرسوم رقم ١٢٧/ر.ج/١٩٩٤ بتاريخ ١٩٩٤/٥/١٧ والمتعلق بتعديل الحكومة الانتقالية.
- وبناء على المرسوم رقم٥٩/ر.ج/و.ت.و.ث.ش.ر ١٩٩٤بتاريخ ١٩٩٤/٣/٣٠ المتعلق بتنظيم وزارة التربية الوطنية والثقافة والشباب والرياضة.
- وبناء على المرسوم رقم ٢٧٧/ر.ج/و.ت.و.ث.ش.ر/١٩٩٣ بتاريخ ١٩٩٣/٤/٥ والمتعلق بتعيين مسئولين في مناصب بوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي.
- وبناء على قرارات المؤتمر الوطني المستقل وتوصيات الأحوال العامة للتربية الوطنية.

يقرر :

الفصل الأول :عموميات

المادة(١): العربية والفرنسية هما لغتا التعليم في المؤسسات العامة في جمهورية تشاد.

المادة(٢): في المؤسسات العامة الدراسية تعتبر الأنجليزية اللغة الحية الأولى الاجبارية. ويبدأ تعليمها ابتداء من أولى اعدادى وحتى ثالثة ثانوى في كل الأقسام.

المادة(٣): الغاية من تطبيق أحكام هذا القرار هي تحويل كل مؤسسات التعليم العربية العامة الى مؤسسات تعليم مزدوجة اللغة.

المادة(٤): مؤسسات التعليم الابتدائية والثانوية العامة تنقسم الى قسمين، مؤسسات مزدوجة اللغة ومؤسسات فرنسية.

الفصل الثاني : المؤسسات المزدوجة اللغة

القسم الأول: في التعليم الابتدائي.

المادة(٥): في المؤسسات المزدوجة فان كل المواد تقدم باللغة العربية خلال السنة الأولى والثانية.

المادة(٦): يبدأ تعليم اللغة الفرنسية ابتداء من السنة الثالثة ابتدائي، وتعليم اللغة الفرنسية مخصص فقط لدراسة اللغة الفرنسية تحدثا وكتابة حسب ما هو مقرر في البرنامج والساعات المعدة.

المادة(٧): يتم تعليم الحساب والعلوم الطبيعية باللغة الفرنسية ابتداء من الصف الخامس ابتدائي.

المادة(٨): في نهاية المرحلة الابتدائية فان التلاميذ يخضعون للامتحان بغية الحصول على شهادة ازدواجية اللغة والانتقال الى الصف الأول الاعدادى حسب الطرق التي يحددها قرار وزير التربية الوطنية.

القسم الثاني: في التعليم الثانوى.

المادة(٩): كل المواد العلمية تقدم باللغة الفرنسية ابتداء من أولى اعدادى وحتى الصف الثالث ثانوى.

المادة(١٠): يحصل التلاميذ على الشهادة الاعدادية في نهاية المرحلة الاعدادية المزدوجة اللغة. وفي نهاية المرحلة الثانوية على شهادة الثانوية العامة المزدوجة اللغة أيضا.

الفصل الثالث: المدارس الفرنسية(ابتدائية وثانوية)

المادة(١١): تعليم اللغة العربية في كل المدارس العامة والخاصة يكون ذا طبيعة علمانية واجبارى.

المادة(١٢): في المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي فان تعليم اللغة العربية يبدأ فقط من الصف الثالث الابتدائي ومخصص فقط لدراسة اللغة تحدثا وكتابة حسب الساعات المحددة والبرنامج المعد.

المادة(١٣): ان تحويل مؤسسة تعليم فرنسية عامة الى مؤسسة مزدوجة اللغة يتم بموافقة أو بطلب من جمعية آباء التلاميذ لهذه المؤسسة.

الفصل الرابع: أحكام عامة.

المادة(١٤): في المدارس الفنية والمهنية والتعليم العالي فان ازدواجية اللغة تكون تدريجيا. حيث أن المدرس يقدم المواد باللغة العربية أو الفرنسية.

الفصل الخامس: احكام انتقالية ونهائية.

المادة(١٥): ستكون هناك نصوص أخرى لاستكمال أحكام هذا القرار عند الحاجة.

المادة(١٦): المدير العام مكلف بتطبيق هذا القرار الذى يسرى مفعوله ابتداء من تاريخ توقيعه ويسجل وينشر ويبلغ الى كل من يعنيه.

صدر في أنجمينا بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١٣

وزير التربية الوطنية

محمد أحمد الحبو

REPUBLIQUE DU TCHAD

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE

DIRECTION GENERALE

UNITE - TRAVAIL - PROGRES

Arrêté n° 296 /MEN/DG/94
Portant Institution de l'Enseignement Bilingue dans le système éducatif tchadien.

LE MINISTRE DE L'EDUCATION NATIONALE

VU La Charte de Transition ;
VU Le Décret n° 282/PR/93 du 09/04/93, portant publication de la Charte de Transition ;
VU Le Décret n° 728/PR/93 du 09/11/93, portant désignation du deuxième Premier Ministre de Transition ;
VU Le Décret n° 127/PR/94 du 17/05/94, portant remaniement du Gouvernement de Transition ;
VU Le Décret n° 059/PR/MENCJS/94 du 30 Mars 1994, portant organisation du Ministère de l'Education Nationale, de la Culture, de la Jeunesse et des Sports ;
VU Le Décret n° 277/PR/MENES/93 du 5 Avril 1993, portant nomination à des postes de responsabilité au Ministère de l'Education Nationale et de l'Enseignement Supérieur ;
VU les résolutions de la Conférence Nationale Souveraine et les recommandations des Etats Généraux de l'Education Nationale.

ARRETE

CHAPITRE 1er : Généralité

Article 1er : L'arabe et le français sont les langues d'enseignement dans les établissements publics en République du Tchad.

Article 2 : Dans les établissements publics, l'anglais est la première langue vivante obligatoire, enseignée de la 6ème en Terminale, dans toutes les séries.

Article 3 : Au fins des dispositions du présent Arrêté tous les établissements publics d'enseignement arabe deviennent bilingues.

Article 4 : Les établissements du premier et second ordre de l'enseignement public sont divisés en deux catégories: les établissements bilingues et les établissements francophones.

CHAPITRE 2 : Les Etablissements Bilingues

Section 1 : Dans l'Enseignement Elémentaire

Article 5 : Dans les établissements bilingues, toutes les matières sont dispensées en arabe aux cours préparatoires première et deuxième année.

Article 6 : L'enseignement du français commence à partir du CE1.
Aux cours élémentaires, l'enseignement du français est exclusivement consacré à l'étude de la langue parlée et écrite selon les horaires et programmes actualisés.

Article 7 : A partir du CM1, l'enseignement du calcul et des sciences de la nature est dispensé en français.

Article 8 : A la fin du cycle élémentaire, les élèves subissent des épreuves en vue de l'obtention du certificat bilingue et de l'entrée en sixième selon les modalités fixées par arrêté du Ministre de l'Education Nationale.

Section 2 : Dans l'Enseignement Secondaire

Article 9 : De la sixième jusqu'en classe terminale, toutes les matières scientifiques sont enseignées en français.

Article 10 : Au premier et second cycle du secondaire, la fin des études est sanctionnée respectivement par un BEPC Bilingue et par un Baccalauréat Bilingue.

CHAPITRE 3 : Les Etablissements Francophones (Elémentaire et Secondaire)

Article 11 : L'enseignement de la langue arabe est dispensée dans toutes les écoles publiques et privées. Il est laïc et obligatoire.

Article 12 : Dans l'enseignement du 1er ordre, le cours de l'arabe ne commence qu'à partir du C.E.1. Il est exclusivement consacré à l'étude de la langue parlée et écrite selon les horaires et programmes actualisés.

Article 13 : La transformation d'un établissement public francophone en un établissement bilingue est faite sur la demande ou avec l'accord de l'Association des Parents d'Elève de l'établissement.

CHAPITRE 4 : Dispositions Communes

Article 14 : Dans les écoles techniques et professionnelles et dans l'enseignement supérieur, le bilinguisme est introduit progressivement. Chaque enseignant dispense les matières en arabe ou en français.

CHAPITRE 5 : Dispositions Transitoires et Finales

Article 15 : D'autres textes, compléteront, en tant que besoin, les dispositions du présent Arrêté.

Article 16 : Le Directeur Général est chargé de l'application du présent Arrêté, qui prend effet pour compter de la date de sa signature, sera enregistré, publié et communiqué partout où besoin sera.

Fait à N'Djaména, le 13 [illegible]

Le Ministre de l'Education Nationale

Mahamat - Ahmad ALHABO

RÉPUBLIQUE DU TCHAD
PRÉSIDENCE DE LA RÉPUBLIQUE
MINISTERE DE L'ÉDUCATION NATIONALE

ملحــق (١٦)

UNITE - TRAVAIL - PROGRÈS

Visa : S.G.G.

Décret n° 017 /PR/MEN/95
Portant Reconnaissance d'utilité Publique d'un Etablissement Privé dénommé Université Roi Fayçal (U.R.F.).

LE PRESIDENT DE LA REPUBLIQUE,
CHEF DE L'ETAT,
PRESIDENT DU CONSEIL DES MINISTRES

VU La Charte de Transition ;
VU Le Décret n° 282/PR/93 du 09/04/93, portant publication de la Charte de Transition ;
VU Le Décret n° 728/PR/93 du 09/11/93, portant désignation du Premier Ministre ;
VU Le Décret n° 513/PR/PM/94 du 13/12/94, portant remaniement du Gouvernement de Transition ;
VU Le Décret n° 059/PR/MENCJS/94 du 30 Mars 1994, portant organisation du Ministère de l'Education Nationale, de la Culture, de la Jeunesse et des Sports ;
VU Le Décret 225/PR-EN du 4 octobre 1971, portant réglementation de l'Enseignement Privé ;
VU L'Arrêté n° 299/MEN/SEERS/DG/92, portant ouverture d'un Etablissement Privé d'Enseignement Supérieur ;

D E C R E T E

Article 1er : L'Université Roi Fayçal, Etablissement d'Enseignement Supérieur, soumis au régime de l'Enseignement Privé au Tchad (Décret n° 225/PR/En du 4/10/71), autorisée à fonctionner par Arrêté n° 299/MEN/SEERS/DG/92 du 21 Mars 1992, est reconnue d'utilité publique.

Article 2 : Le Ministre de l'Education Nationale est chargé de l'exécution du présent décret qui sera publié au Journal Officiel.

Fait à N'Djaména, le 30 JANVIER 1995

Par le Président de la République
Le Premier Ministre de Transition

Dr. NOURADINE DELWA KASSIRE COUMAKOYE

Le Colonel IDRISS DEBY

Le Ministre de l'Education Nationale

Mahamat-Ahmad ALHABO

ملحـــق (١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

بروتوكول توأمة

بين

ولاية الخرطوم بجمهورية السودان

و

بلدية مدينة إنجمينا بجمهورية تشاد

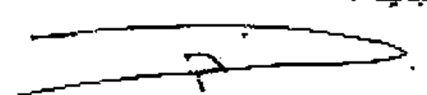
إن ولاية الخرطوم وبلدية إنجمينا :

- عملاً بمذكرة التفاهم التي وقعت بينهما إبان زيارة نائب عمدة إنجمينا إلى ولاية الخرطوم في الفترة من ٢٢ إلى ١٩٩٨/٤/٢٦م ،
- وأخذاً في الاعتبار عزيمة الرئيسين الفريق/ عمر حسن أحمد البشير والفريـق/ إدريس دبي في تطوير وتعزيز علاقات التعاون خدمة لرفاهية الشعبين والبلدين الشقيقين ،
- وإنطلاقاً من العلاقات العميقة التي تربط البلدين والشعبين الشقيقين ،
- ورغبةً منهما في تطوير التبادل الثقافي والريـــاضي والســياحي والاجتمـــاعي والاقتصادي والصحي والتجاري تحقيقاً لطموحات مواطنيهما ،

اتفقتا على :

المادة الأولى :

إقامة توأمة بين ولاية الخرطوم وبلدية إنجمينا .



المادة الثانية :

التوقيع على برنامج تنفيذي يوضح تفاصيل ومجالات التعاون المشترك .

المادة الثالثة :

التعاون وتنسيق المواقف بين وفود المدينتين في المحافل الإقليمية والدولية في مجالات اختصاصهما .

حرر بإنجمينا في ٢٦/١٠/١٩٩٩م من نسختين عربية وفرنسية ويكون ساريتا من تاريخ التوقيع عليها .

ع/ ولاية الخرطوم

المهندس/ الحاج عطا المنان إدريس

وزير المالية

ع/ بلدية إنجمينا

السيد/ علي هروز

العمدة

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الختامي

١. بدعوة كريمة من عمدة بلدية إنجمينا في إطار مذكرة التفاهم الموقعة بين الخرطوم وإنجمينا ، قام السيد المهندس / الحاج عطا المنان وزير مالية ولاية الخرطوم ورئيس هيئة وادي هور الشعبية بزيارة للعاصمة إنجمينا في الفترة من ٢٠-٢٧/١٠/١٩٩٩م .

٢. رافق السيد وزير المالية ورئيس هيئة وادي هور الشعبية وفد ضم ممثلين لوزارة المالية وهيئة وادي هور الشعبية وجمعية الصداقة السودانية التشادية وصندوق دعم الولايات وشركة شريان الشمال وبعثة طبية من ستة اختصاصيين (قائمة مرفقة) .

٣. خلال الزيارة استقبل الوفد السوداني من قبل فخامة رئيس الجمهورية ، كما قام الوفد بزيارة ودية إلى كل من رئيس الوزراء ورئيس الجمعية الوطنية ، ووزير الدولة والعدل الأمين العام للحركة الوطنية للإنقاذ ووزير الداخلية والأمن واللامركزية ووزير المالية ، ووزير الأشغال العامة والنقل والتمدن والإسكان والمستشار الخاص لرئيس الجمهورية ، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، كما قام الوفد بزيارة لمزيج فرشا وللشركة التشادية لصناعة السكر والغرفة التجارية والصناعية والشركة الوطنية لصناعة الطرق ومدرسة الصداقة السودانية التشادية وثانوية ابن سينا وشركة "إفكور" . وبرفقة الوفد التشادي زاروا منطقة دوقيا السياحية الواقعة على بعد (٨٠ كيلومتر) شمال غرب مدينة إنجمينا . كما شارك الوفد الطبي بمعالجة المرضى بالمستشفى الطبي ، وكما قام الوفد برش المدينة بالمبيدات من طائرة لمدة خمسة أيام . وقدم السيد وزير المالية بولاية الخرطوم لبلدية إنجمينا بعض

المساعدات العينية تمثلت في مقطورتين لنقل النفايات وبعض الأدوية والمـواد الغذائية .

٤. وفي نهاية الأعمال التي جرت في جوء من الأخوة الصادقة تم التوقيع علـى ثلاثة وثائق وهي :

- *بروتوكول التوأمة بين مدينة الخرطوم بجمهورية السودان وبلدية إنجمينا بجمهورية تشاد .*
- *بيان ختامي .*
- *برنامج تعاون لمدة أربعة سنوات .*
- *بروتوكول توأمة بين محلية الخرطوم وسـط والدائـرة الأولـى لبلديـة إنجمينا .*

٥. قدم السيد وزير المالية بولاية الخرطوم دعوة السيد والـي ولايـة الخرطـوم لرصيفه عمدة بلدية إنجمينا لزيارة الخرطوم في وقت سيحدد لاحقـا باتفـاق الطرفين .

حرر بإنجمينا بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٩٩م .

وزير المالية بولاية الخرطوم الاتحادية	*عمدة بلدية مدينة إنجمينا*
الحاج عطا المنان إدريس	*علي هارون*

▪ الفهـــارس

كشّاف الأعلام والأماكن الجغرافية

تشير الأرقام أدناه إلى رقم الصفحة التي يوجد فيها الاسم أو المكان .

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

إصدارات مركز البحوث والدراسات الإفريقية

م	الإصدارة	المؤلف	م	الإصدارة	المؤلف
١.	السياسة التعليمية والثقافية في جنوب السودان	د. حسن مكي	٢.	The spread of Islam in Uganda	Abdu B. Kasozi
٣.	التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة	د. حسن مكي	٤.	تطور أوضاع المسلمين الإرتريين	د. حسن مكي
٥.	الهجرة من جبال النوبة إلى العاصمة	أحمد علي مبيل	٦	السياسات الثقافية في الصومال الكبير	د. حسن مكي
٧.	مؤسسات التعليم الإسلامي العربي في الصومال	مهدي ساتي	٨	الهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في إفريقيا	د. عبدالرحمن أحمد عثمان
٩.	فهرست تحليلي لدراسة مصادر الإسلام في إفريقيا	د. عبدالرحمن أحمد عثمان	١٠.	مشروع تنصير قبيلة الفولاني	د. عبدالرحمن أحمد عثمان
١١.	المشروع التنصيري في السودان	د. حسن مكي	١٢.	مناهج البحث العلمي	د. عبدالرحمن أحمد عثمان
١٣.	AL- ISLAM	Mohammed Abadlla Dafaalla	١٤.	ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا	تحرير: د. عبدالرحيم علي - عبدالقيوم عبدالحكيم
١٥.	الثقافة السنارية المغزى والمضمون	د. حسن مكي	١٦.	ندوة مادة التربية الإسلامية	تحرير: عماد الأمين عمر – عبدالقيوم عبدالحكيم
١٧.	الشيخ أحمد بن إدريس	د. حسن مكي	١٨.	قصة انتشار الإسلام في إفريقيا	عبده كاسوزي . ترجمة: عبداللطيف سعيد
١٩.	الإسلام والثقافة العربية في السنغال	مهدي ساتي	٢٠.	قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي	أمباي لو
٢١.	مبارك قسم الله – الدعوة والعطاء ؟	كتاب تذكاري عن: المرحوم مبارك قسم الله	٢٢.	الطريقة الختمية في السودان	طارق أحمد عثمان
٢٣.	معالجة الصحافة السودانية لقضية الحرب في جنوب السودان	عمار الشيخ محمد	٢٤.	الصراع في جبال النوبة	سراج الدين عبدالغفار
٢٥.	نزاع ومشاكل الحدود السودانية الأثيوبية	يس الناصر محمدين	٢٦.	تجربة الدفاع الشعبي في السودان	سراج الدين عبدالغفار
٢٧.	المخدرات في ولاية الخرطوم	خالد صلاح الدين عتباني	٢٨.	الثابت والمتغير في السياسة الإسرائيلية تجاه إفريقيا	وضاح عارف خنفر
٢٩.	إشكالية انتقال السلطة في إفريقيا	أمباي لو	٣٠.	الأطماع المائية الصهيونية في مياه حوض النيل	عصام سليمان الفراحنة
٣١.	التغلغل الصهيوني في إفريقيا	ياسر عبدالغفار	٣٢.	التعليم الأساسي في دارفور	الطاهر حاج النور
٣٣.	التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا	تحرير: حسن الناطق والسر مقور	٣٤.	المقاومة السياسية في إرتريا	إبراهيم عثمان حامد
٣٥.	أثر منظمة الدعوة الإسلامية في ولاية الخرطوم	حيدر هجو موسى	٣٦.	الإخوان المسلمون والسلطة السياسية في مصر	فؤاد عبدالرحمن محمد البنا
٣٧.	القبيلة وأثرها في السياسة الصومالية	محمد يوسف موسى	٣٨.	Africa post coldwar era	Dr. Hassant A. Satti
٣٩.	اللاجئون وفرص السلام	د. شرف الدين إبراهيم بانقا	٤٠.	المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية	د. عبدالرحمن أحمد عثمان
٤١.	انتشار الإسلام في جنوب كردفان	ابن عمر عبدالله	٤٢.	التابعي الجليل السوداني يزيد بن أبي حبيب	د. حسن علي الشايقي
٤٣.	العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية	د. كمال محمد عبيد			

كما ظل المركز يصدر منذ العام ١٩٨٥م مجلة " دراسات إفريقية " وهي مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالشئون الإفريقية وقد صدر منها حتى الآن (٢٤) عدداً .

د. كمال محمد عبيد :



◊ ولد عام ١٩٥٣م بقرية أم درق ريفي كريمة ، الولاية الشمالية ، جمهورية السودان .

◊ حصل على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٨م .

◊ حصل على دبلوم الاقتصاد الإسلامي من جامعة أم درمان الاسلامية ١٩٧٩م .

◊ حصل على دكتوراه الدعوة من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ٢٠٠٠م .

◊ عمل معلماً بمدارس التعليم العام ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٩م .

◊ عمل بإدارة القوى العامة بوزارة العمل السودانية من ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٢م .

◊ عمل بشعبة الدعوة بالمركز الإسلامي الإفريقي من ١٩٨٢ وحتى ١٩٩١م .

◊ رئيس إدارة الدعوة بالمركز الإسلامي الإفريقي من ١٩٩١م وحتى ١٩٩٨م .

◊ مدير مركز الدعوة وتنمية المجتمع بجامعة إفريقيا العالمية من ١٩٩٨م وحتى ٢٠٠٠م .

◊ عميد المركز الإسلامي الإفريقي بجامعة إفريقيا العالمية .

◊ رئيس جمعية الصداقة السودانية التشادية .

◊ رئيس اللجنة المشتركة لتنمية الشريط الحدودي بين السودان وتشاد .

◊ مؤسس ورئيس هيئة تحرير مجلة " دراسات دعوية " .

◊ صدر له كتاب " رسالة إلى الشباب المسلم في إفريقيا " ١٩٨٣م .